

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

العدد (٤٠) - شوال ١٤٠٠ هـ السنة الرابعة - آب (أغسطس) / أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ م. ISSUE 40 AUGUST - SEPTEMBER 1980.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل

وعيسى التحرير

علوي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

العدد (٤٠) شوال ١٤٠٠هـ السنة الرابعة * آب (اغسطس) / ايلول (سبتمبر) ١٩٨٠م

نَدْوَةُ الْمَدِينَةِ

من كتاب هذا العدد ٤

الحركة الثقافية في شهر ٥

الإعلام .. والدعوة الإسلامية د. حسن فوزي التجار ١٧

مصطلحات صوتية ذات تاريخ د. كمال بشر ٢٥

المنطق الرياضي عند العرب د. إبراهيم كرو ٢٨

الشعر بين الصنعة والفن د. نبيل راغب ٣١

سامراء .. أو ستر من رأى (مدينة وتاريخ) عبد الجبار محمود السامرائي ٣٥

مونايزا .. (لوحة وفنان) ليوناردو دافنشي ٤٨

لغاء مع .. رجاء الغفاش أجرى اللقاء خليل إبراهيم الفزيع ٥١

غموض المعنى في بعض التراكمات اللغوية د. محمد علي الخولي ٥٨

الكندي .. فيلسوف العرب ملمون غريب ٦٢

بقينا كما كنا .. (قصيدة) د. عبدالله الصالح العثيمين ٦٧

علامة علم الفلك د. علي عبدالله الدفاع ٦٨

الوليد الكسبح .. (قصيدة) أحمد سالم باعطب ٧٢

نظوير البلاغة العربية .. (ندوة الشهر) ٧٤

وضح الدليل .. (قصيدة) مصطفى عكرمة ٨٢

الفلسفة النقدية للتاريخ .. (رحلة في كتاب) عرض وتحليل: جمال بدران ٨٣

ابن قتيبة وكتابه عبرن الأخبار (من كتب التراث) د. كامل السوافيري ٨٨

قصة الخلق .. من النطفة إلى الجنين عبد الرحمن حريثاني ٩١

الهنسد .. (من عادات الشعوب) ١٠٧

من غرائب المخلوقات هشام سلجان أبو عودة ١١١

الفن التشكيلي المغربي .. ومشاكله إعداد: سمير ظريف ١١٨

لبلة الرابعة .. (قصيدة) محمد بن علي السنوسي ١٢٣

الشطرنج عند العرب محمد عدنان الجومرجي الدمشقي ١٢٤

الحمائم في الأندلس صلاح جرار ١٢٨

بالبل .. (قصيدة) أحمد مرتضى عبده ١٣٣

طبيب يتحدث عن القصور التنفسي ترجمة: سعاد دركونلي ١٣٤

لبن الأم .. أكمل غذاء د. ندى المناقلي ١٣٦

الشكوك .. (فصة) غالب حمزة أبو الفرج ١٣٩

عسكر وحرامية .. (فصة) أحمد عودة ١٤٣

أذرع الواحات الشمسية .. بين الخدائفة والتقليد ١٤٧

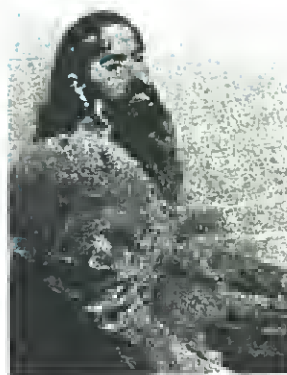
(مطالعات في الكتب) عبد الرحمن شلش ١٤٧

دائرة معارف .. (أدباء سعوديون) ١٥٢

منافشات وتعليقات ١٥٥

كتب وردت إلى المجلة ١٥٨

مسابقة مجلة الفيصل ١٥٩



★ كلما عاش الإنسان طويلاً
على الأرض فإنه سوف يصادف
بكثر من غرائب الحياة ، وعجائب
المخلوقات ، من هذا المنطلق ننقل
لك على ص (١١١) بعضاً من
غرائب المخلوقات ★

[illegible][illegible]

★ الشطرنج .. لعبة
استراتيجية .. وفن من الفنون
يجمع بين الحرب والخطا ، وبعد
النظر والحركة والنصور .. كيف
اخترع الشطرنج .. متى استعمله
العرب .. طالع ص (١٢٤) ★



★ يشهد العالم العربي نهضة
فاعلة في الفن التشكيلي .. وليس
المغرب الشقيق الذي تقدم أحد
فنانيه إلا صورة للحركة التشكيلية
في الوطن العربي ..
ص (١١٨) ★



أحمد عوادة

- من مواليد أذنية (الرملة) فلسطين عام ١٩٤٥ م.
- دبلوم التأهيل التربوي.
- يعمل في ملاك وزارة التربية والتعليم الأردنية.
- صدرت مجموعته القصصية الأولى عام ١٩٧٣ م، بعنوان «حين لا ينفع البكاء» كما صدرت مجموعته القصصية الثانية «زعر» التل» عام ١٩٧٩ م، من منشورات رابطة الكتاب الأردنيين.
- يمارس النقد الأدبي لبعض الأعمال المحلية والعربية على نطاق ضيق.
- له من الأعمال المخطوطة في الرواية والمرحبة، إلى جانب القصص القصيرة.
- بدأ النشر منذ عام ١٩٧٣ م، في الصحف والمجلات المحلية ومعظم المجلات العربية.
- عضو رابطة الكتاب الأردنيين.



أحمد سالم يعقوب

- من مواليد عام ١٣٥٥ هـ.
- بكالوريوس تجارة - جامعة الرياض.
- عمل مدرساً، ثم مدققاً للحسابات بمؤسسة الخطوط السعودية.
- يعمل حالياً مشرفاً على إدارة التدقيق بمؤسسة النقد العربي السعودي.
- له ديوان شعر «الروض الملتب».
- عضو النادي الأدبي في الرياض، إلى جانب عضويته بنادي جدة الأدبي.
- له أعمال إذاعية شعرية.



د. محمد علي الخولي

- من مواليد فلسطين عام ١٩٣٩ م.
- دكتوراه الفلسفة في التربية.
- عمل في حقل التدريس.
- يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في كلية التربية بجامعة الرياض.
- له عدد من المؤلفات باللغة الإنجليزية وعدد من المقالات والأبحاث المنشورة في المجلات الأجنبية.

د. عبد الله الصالح العثيمين

- من مواليد مدينة عنيزة - القصيم بالملكة العربية السعودية عام ١٣٥٦ هـ.
- دكتوراه في التاريخ.
- عمل أستاذاً في قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الرياض.
- يعمل حالياً رئيساً لقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الرياض.
- له كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره» وله أيضاً عدد من الأبحاث المنشورة في الصحف.



تامر سرحان

- من مواليد السنديانة في فلسطين عام ١٩٣٨ م.
- يعد لنيل الدكتوراه عن الفن الشعبي الفلسطيني.
- نشرت له مجموعة من الأبحاث عن الدراسات الفولكلورية الفلسطينية.
- أصدر أربعة أجزاء من «موسوعة الفولكلور الفلسطيني».
- له نشاط في الصحافة.

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من إصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق * *

في الوطن العربي :

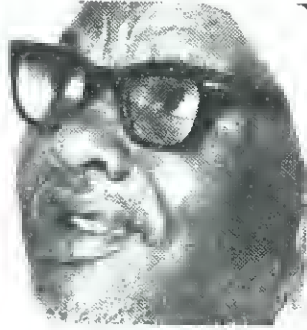
- مركز ثقافي عند مدخل المنطقة الأثرية بالدرعية .
- معرض للكتاب الإسلامي في الأحساء .
- ندوة عالمية حول حقوق الإنسان في الإسلام تقام في الكويت .
- ندوة عالمية في العراق لدراسة تاريخ البصرة ومصادره .
- ترجمة كتاب الطب للرازي إلى الإنجليزية في تونس .
- انعقاد ندوة التراث اللساني العربي في دمشق .

في العالم :

- افتتاح متحف لكنوز الإمبراطورية الرومانية في فرنسا .
- مؤتمر دولي لعلماء طبقات الأرض في فرنسا .
- ترجمة كتاب دلالة الخائرين لموسى بن ميمون في باريس .
- معجم عربي - ألماني في سبعة أجزاء يصدر في ألمانيا .
- مؤتمر لقبائل الهنود الحمر في قارتي أميركا .



★ عبد حسين علي ★



★ طاهر زعخري ★

الكتاب الإسلامي

أقام المركز الصيفي بالأحساء - الذي يتخذ من (المعهد العلمي) مقراً له - معرضاً للكتاب الإسلامي، اشتركت فيه مكنتات من الرياض والدمام والأحساء، وعرض فيه أكثر من تسعة آلاف كتاب في مختلف فروع المعرفة الإسلامية، بالإضافة إلى أشرطة تضم محاضرات في القرآن الكريم والأناشيد الإسلامية، وقد عمل المركز تخفيضات على الكتب والأشرطة التي عرضت في هذا المعرض رغبة في تشجيع طلبة العلم.

* كتب جديدة *

● «عبر الذكريات»، ديوان شعري للشاعر طاهر زعخري، صدر عن إدارة النشر بمؤسسة تهامة للإعلان.

صدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع :
★ «لا تفل وداعاً»، رواية اجتماعية كتبها سيف الدين عاشور.

★ «رباعيات»، ديوان شعري للشاعر محمد حسن فني.

● «أغنية الشمس»، ديوان شعري للشاعر إبراهيم الزيد، صدر عن نادي الطائف الأدبي.

● «معاناة»، ديوان شعري للشاعر محمد المنصور الشقحاء، صدر عن نادي الطائف الأدبي.

● «رحلات ١»، تأليف حمد الجاسر، صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض.

● «على درب الجهاد»، ديوان شعري تأليف الدكتور زاهر عواض الألمي، صدر عن مطابع الفرزدق بالرياض.

● «بسمه من بحيرات الدموع»، قصة تأليف عائشة زاهر أحمد، صدرت عن نادي جدة الأدبي.

● «الشباب - دراسات ولقاءات»، تأليف أحمد محمد جمال، صدر ضمن سلسلة المكتبة الصغيرة ورقم (٣١).

● «محاضرات في تاريخ العلوم»، تأليف الدكتور فؤاد سزكين، صدر عن لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

مركز ثقافي

تعزز الإدارة العامة للأثار التابعة لوزارة المعارف، إنشاء مركزاً ثقافياً عند مدخل المنطقة الأثرية بالدروعية، وسيشتمل على معلومات عن تاريخ هذه المدينة ومعرضاً تاريخياً بالصور، وكتباً عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكذلك مقراً لراحة زائري هذا المركز وصالة عرض.

مسابقة لإثراء الجانب التربوي

من أجل إثراء الجانب التربوي بالبحوث العلمية التطبيقية في إطار العقيدة والمبادئ الإسلامية قامت جامعة الملك عبد العزيز بجدة بوضع مسابقة تهدف إلى ذلك، وذلك لفتين هما :

★ أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية أو الباحثين.

★ طلبة الجامعات بالمملكة.

وموضوع المسابقة بالنسبة للفتة الأولى كتابة بحث عن (تخطيط وإدارة وتنفيذ المناهج التطبيقية اللازمة لتحقيق البناء الفكري والسلوكي للطلاب الجامعي في إطار العقيدة الإسلامية)، أما الفتة الثانية فيكون موضوع البحث (إعداد طلاب الجامعات لاسهام الإيجابي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العالم الإسلامي)، وقد وضعت آخر موعد لهذه المسابقة نهاية شهر محرم عام ١٤٠١هـ، وتعلن النتيجة خلال شهر صفر من نفس العام.

ناديان أدبيان

رغبة في تشجيع الحركة الأدبية في المملكة، قررت الرئاسة العامة لرعاية الشباب افتتاح (ناديين أدبيين) في كل من مدينة (الدمام) و(حائل). ومن المعروف بأن هذه الخطة التي تهدف إليها الرئاسة قد شملت عدداً من المدن الكبيرة في المملكة قبل هاتين المدينتين.

المعاناة .. والقدرة المجردة

● هناك سؤال أبدي :

— أيهما يصنع التفوق : المعاناة أم القدرة المجردة ؟!

● وأنا عندما أطرح هذا السؤال : أشعر بأن هناك فريقين .. مختلفان في إعطاء الإجابة على هذا السؤال . وأن هناك فريقاً آخر يحاول أن يقف من السؤال موقف المستمر لأحسن ما في الحقيقتين من معانٍ .

— غير أن السؤال هو :

● وهل هناك تجربة ناضجة تنقصها المعاناة ؟!

— سؤال هام : لا يجب تجاهل خطورته وعمق مضامينه لأن أي تجربة هي جماع : الممارسة والانفعال والتمازج ثم الحكم أخيراً على تقويم العملية الذهنية والخلوص منها جميعاً إلى الموقف « الموحد » أخيراً . وهذا يعني أن قدرة الإنسان تظل جزءاً من التفاعل التلقائي بين طاقاته الذهنية ، وبين معطيات الممارسة كفعل وكاستقبال طبيعي لردود الفعل المختلفة .

● وإذا كان الأمر كذلك ، فإن عمق التجربة أو ضحالتها هو الذي يتوقف على حجم المعاناة .

أو بمعنى آخر ، فإن الكثير من التجارب لا يشترط أن تكون محصلة طبيعية لمعاناة من نوع آخر .

● وهكذا .. فإن تفاوت المفكرين في الإحساس بمشكلات المجتمعات المعاصرة .. يرجع أول ما يرجع إلى درجة الانغماس في هذه المشكلات ، مضافاً إليها بعد ذلك وليس قبله ، القدرة على استشعار الواقعة بكل أبعادها والنجاح في تصويرها أو التعبير عنها بنضج وكفاءة أو سطحية وقصور .

● إن سحب هذه المعايير على الكثير من العطاء الفكري العربي هذه الأيام ، يعطينا نتيجة غير مرضية . ذلك أن الكثير من الإنتاج يعدم التميز بهذه الخصائص .. فلا يعبر إلا عن شخصية الأديب « المهزومة » بفعل المتغيرات الحادة من حوله .

ونلك ظاهرة تعتبر مؤشراً غير مشجع على القول بأن المفكر العربي أصبح أكثر إخلاصاً لحياته اليومية من الفهم والمعايير الفكرية الرفيعة .

هاشم عبده هاشم
جدة



★ الدكتور زاهر عواض الأنسي ★



★ الشيخ محمد السعيد ★

● « أعماق البحار » ، مجموعة قصصية تأليف فاطمة حناوي ، صدرت عن نادي جدة الأدبي .

صدرت الكتب التالية عن مؤسسة تهامة للنشر والإعلان وذلك ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي :

★ « من ذكريات مسافر » ، تأليف معالي الأستاذ محمد عمر توفيق .

★ « قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسورية » ، تأليف الدكتور سليمان محمد الغنام .

★ « غداً أنسى » ، رواية من تأليف الدكتورة أمل شطا .

مكتبة للمكفوفين

خدمة للمكفوفين سفتحت (مكتبة لهم) وذلك من قبل جامعة القاهرة في أوائل العام الدراسي القادم ، وستتسع لمائة طالب ، ويجرى حالياً تزويدها بأحدث المواد التعليمية السمعية وبطريقة برايل وذلك تسهيلاً هؤلاء الطلاب ، وتعد هذه المكتبة أول مكتبة لهذه الفئة في مصر .

* كتب جديدة *

● « الحب في زماننا » ، ديوان شعري للشاعرة وفاء وجدي ، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

● « هذا العصر وثقافته » ، تأليف الدكتور زكي نجيب محمود ، صدر عن دار الشروق بالقاهرة .

● « وقائع عام الفيل » ، تأليف عبد الفتاح الجمل ، صدر عن دار الفكر المعاصر بالقاهرة .

● « تصوف للبيع » ، تأليف الدكتور محمد شعلان ، صدر عن دار العربي للنشر والتوزيع .

١٩٨٠ م ، ندوة عالمية حول (حقوق الإنسان في الإسلام) وذلك بتنظيم من الهيئة الدولية لرجال القانون وجامعة الكويت واتحاد المحامين العرب ، وسوف تناقش فيها موضوعات متعددة مثل المفاهيم الإسلامية والمجتمع المعاصر ، والمشكلات الاجتماعية والقانونية التي تواجه الأقليات الإسلامية في الدول العلمانية ، وحق العمل ، والمساواة أمام القانون ، وسبب ترك في هذه الندوة مختصون في هذا المجال من جميع الدول .

* كتب جديدة *

● « العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة » ، دراسة الدكتور عزت قرني ، صدرت في كتاب صدر ضمن سلسلة عالم المعرفة التي تصدر عن المجلس الوطني للعلوم والثقافة والفنون .

● « انتحار أيوب » ، ديوان شعري للشاعر محيي الدين اللاذقاني ، صدر عن دار الفكر المعاصر .
● « قلبي طفل ضال » ، ديوان شعري للشاعر نصار عبد الله ، صدر عن دار العربي للنشر والتوزيع بالقاهرة .

* كتب جديدة *

● « معارك العرب في الأندلس » ، تأليف بطرس

حقوق الإنسان في الإسلام

سوف تعقد خلال الفترة من ٩-١٤ ديسمبر/ كانون الأول عام

٥ - حق البحث العلمي ، فإن المعرفة غاية نستحق منا جميعاً الجهد لتوفير وسائلها . ثم تحدث عن منهجه في البحث ، فقال إنه قائم على « هذا الأصل العام ، وهو أن آثار الأديب ثمرة التفاعل بينه وبين بيئته ، على أن يراد بالبيئة ، ذلك المعنى الواسع الذي يتناول العناصر الجغرافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية » .

●● في الباب الأول « عصر الراعي » ، يتحدث المؤلف عن الحياة السياسية ، ويذكر أن قيس عيلان - قبيلة الشاعر - كانت زبירתه الهوى ، وخاصة (مرج راهط) فسد

بني أمية ، متاً أحسن بني أمية على قيس عيلان ، وبخاصة عبد الملك ابن مروان الذي أخذ يناصبها العداء ، ويرميها بأفنى السؤالات ، ويثقلها بفادح الخراج (ص ٩) .

ثم تغير الموقف في عهد هشام ابن عبد الملك ، الذي « مال إليهم ، وقربهم نحوه ، وأخفهم بالديوان ، وفرض لهم الرواتب

يقول المؤلف : « وكان أول ما أهتمني أن أحصل على نسخة من ديوانه مهما يكن موضوعها من المكتبات ، ولما أعياني البحث ، أخذت نفسي بجمع شعره من المصادر العديدة لغسوة وأدبية ، حتى استطعت أن أجمع له من ثنائياها ما يقرب من ثلاثمائة بيت ، بعدها نضجت الموارد والمصادر » ، ويقول المؤلف أنه قصد من دراسته هذه :

١ - جمع ما يمكن جمعه من شعر الراعي .

٢ - وضع الراعي - متكثراً على قدر من النصوص - بين شعراء عصره .

٣ - بيان منزلة الراعي في تاريخ الشعر الإسلامي .

٤ - لفت النظر إلى هذا الشاعر ، على أحد ما يقتر يدبوانه ، أو يتابع دراسته .

عشرين عاماً إلى كلية دار العلوم ، فحصل بها على درجة الماجستير .
والراعي النخري - كما يقول المؤلف - من شعراء الطبقة الأولى بين الفحول الذين عاشوا في القرن الأول من الهجرة ، ولكن المأثور من شعره قليل ، مفترق في ثنايا الكتب ، لا يكاد الإنسان يظفر منه بقصيدة كاملة .

وقد قام المؤلف بجهد كبير في جمع شعر الراعي من مصادر متفرقة - لغوية وأدبية - وفام بهذه الدراسة في ثلاثة أبواب :

١ - عصر الراعي . ٢ - حياة الراعي . ٣ - شعر الراعي .

★ ★ ★

في الخهيد تحدث المؤلف عن الراعي وطبقته الشعرية ، ورغم أنه من الفحول ، فإن شعره الذي بين أيدينا قليل مفترق في ثنايا الكتب ،

عصر الراعي النخري

الراعي النخري^(١)

تأليف : د . محمد نبيه حجاب

(الراعي النخري : عبيد بن حصين ، شاعر بني ثعلبة ، عصره وحياته وسفره) هذا هو عنوان الدراسة التي نعرض لها الأستاذ الدكتور محمد نبيه حجاب ، وقد قدمها عن الشاعر الراعي النخري منذ



★ بطرس البستاني ★

- «إيران ١٩٠٠-١٩٨٠»، دراسة وضعت في كتاب من قبل عدد من المختصين، صدر عن مؤسسة الأبحاث العربية في بيروت.
- «مذاهب الأدب - معالم وانعكاسات»، تأليف الدكتور ياسين الأيوبي، صدر عن دار الإنشاء بطرابلس.
- «الفلسفة السياسية عند أبي الربيع في كتابه سلوك الممالك»، للدكتور ناجي التكريتي، صدر عن دار الأندلس.
- «فاتحة لنهايات القرن»، بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة، تأليف الشاعر أدونيس، صدر عن دار العودة.
- «النقد المزدوج»، تأليف الدكتور عبد الكبير

- البستاني، صدر عن دار مارون عبود.
- «الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معطياته»، تأليف محمد حسين فضل الله، صدر عن السدار الإسلامية للطباعة والنشر ببيروت.
- «وثائق المؤتمر العربي الأول لعام ١٩١٣م»، تقديم ودراسة وجيه كوثراني، صدر عن دار الحداثة في بيروت.
- «المرود»، مجموعة قصصية تأليف مؤنس الرزاز، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- «أشياء شخصية»، تأليف الدكتور عبد السلام العجيلي، صدر عن دار الحقائق ودار الكرمل.
- «محاولة للخروج»، رواية ألفها عبد الحكيم قاسم، صدرت عن دار الحقائق.
- «باقات من حداثتي مي»، تأليف فاروق سعد، صدر ضمن منشورات زهير بعلبكي ببيروت.
- «عندها تبكي الألوان»، مجموعة قصصية تأليف زين العابدين، صدرت عن دار العودة.
- «الشوقيات المجهولة»، تحقيق وتقديم الدكتور محمد صبري، صدر عن دار المسيرة.

والتغلبية» (ص ٤٠).
ولقد كانت «بنو نمير» التي ينتسب إليها الشاعر حمزة من جمرات العرب الثلاث، فهي إذن من أشرف بيتوتات «قيس عيلان» الجند الأكبر للراعي.
- ثم يتحدث المؤلف عن الشاعر، وكنيته، ونسبه، ثم مقوماته الأدبية، ويرى أنه اشترك في تكوين شخصيته الأدبية ثلاثة عوامل، هي:

- ١ - الطبع، أو النفس الشعرة.
 - ٢ - البيئة التي نشأ فيها، ويسمها المؤلف البيئة الطبيعية.
 - ٣ - البيئة العلمية.
- ويتحدث المؤلف عن مدرسة الراعي، فيرى أنه تلميذ للتأبغة وطروقة، وأستاذ لايتة جندل وفي الرمة والطرماع «وهذه هي مدرسة الراعي التي كان لها طابع خاص في هذا العصر، فقد حافظت على المناهج الجاهلية أكثر من سواها، كما أن أعضائها أخذوا يقسط من

وخير من يمثلهم: عمر بن أبي ربيعة، والأحوص، وكثير، وجميل... وكان موطنها الحجاز.
وإذن - على أساس هذا التقسيم - فقد كان الراعي من شعراء الطبقة الغنية المحافظة، ولقد عده ابن سلام - في طبقاته - من شعراء الطبقة الأولى، مع جرير والفرزدق، والأخطل.

★ ★ ★

●● في الباب الثاني (حياة الراعي) يتحدث المؤلف في الفصل الأول عن قبيلته، فتذكر أن الراعي ينسب إلى بني نمير إحدى بطون قيس عيلان المضربة. وكانت قيس هذه عشيرة الجاثم. مرهونة السلطان، بوفرة عددها، وسالة فرسانها، حتى انضمت إليها في الجاهلية. بعض القبائل المستضعفة، كي تحتمي بها وتعيش في كنفها. «أما في الإسلام فقد بلغت من عزتها أن ضمنت في الخلافة، وكادت تغفر بها من أيدي الأمويين لولا استنجاذهم يسلمية

ومديحاً، وهجاء، وغزلاً.
«ولقد كان خلفاء بني أمية وولاهم يميلون إلى الأدب ويصترون له، ففروا إليهم الشعراء، وأجزلوا لهم العطاء، وهذا غضت بهم مجالس الأدب في دمشق، وساحات الولاة والقواد والأقاليم» (ص ١١).
والشعراء في عصر الراعي ثلاث طبقات:

١ - طبقة الشعراء التقليدي: وهي الطبقة الغنية المحافظة، وموطنها العراق، وأغلب شعرائها قدموا من البادية، وتضم من فحول الشعراء: جرير، والفرزدق، والأخطل، والراعي، وذا الرمة، والقسطامي، ورؤبة، والعجاج.

٢ - طبقة الشعراء السياسي: كمعبد الله بن قيس الرقيات، والكنيت، والطرماع بن حكيم، وغيرهم من شعراء الأحزاب، وكان العراق موطن هذه الطبقة.

٣ - طبقة الشعراء الغزلي:

والجرايات. ومنذ ذلك الحين ارتفع شأن القيسية، وصاروا من أنصار بني أمية» (ص ١٠).

● في الفصل الثاني يتحدث عن «الحياة الاجتماعية» فتذكر أن العصبية اشتعلت من جديد يظهر الأحزاب السياسية «على أن هذه العصبية التي كانت في دماء العرب لم تكن قليلة فحسب، بل كانت أيضاً إقليمية كذلك التي بين الشام والعراق، ومدينة كالثي حدثت بين الكوفة والبصرة. كما كانت أيضاً جنسية بين العرب والموالي». وفي ظلال هذه وتلك ازدهر «الشعر السياسي»، كما ازدهرت (النفاض الأموية) بين جرير وخصومه في ظلال العصبية القبلية خاصة، وكان «الراعي النميري» أحد شعرائها القحول، الذين ملأوا بها جيوانب «المريد» (ص ١١).

● وفي الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن «الحياة الأدبية» خاصة الشعر، الذي عاد إلى سابق عهده من حيث القوة، والازدهار: فخرأ،

★ «نجمة»، تأليف الكاتب الجزائري كاتب ياسين، ترجمة ملك أبيض العيسى.

★ «مقالة في اللغة الشعرية»، للشاعر محمد الأسعد.

● «سلخ الجلد»، مجموعة قصصية تأليف محمد برادة، صدرت عن دار الآداب ببيروت.

● «أفغانستان: حرب أم ثورة»، تأليف فريد هاليداي،

ترجمة سامي الجندي، صدر عن دار الحداثة في بيروت.

● «شعر الرمادي: يوسف بن هارون»، جمع وتقديم ماهر

زهير جرار، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «الاغتراب»، تأليف ريتشارد شاخ، ترجمة كامل

يوسف حسين، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «يوليوس قيصر»، تأليف بسام العسلي، صدر ضمن

سلسلة «مشاهير قادة العالم» التي تصدر عن المؤسسة العربية

للدراستات والنشر.

● «صلاة بلا مؤذن»، تأليف ناصر الدين النشاشيبي،

صدر عن دار الشورى ببيروت.

● «الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية وآدابها»،

تأليف الدكتور محمود أحمد السيد، صدر في جزءين عن دار

العودة.

● «النفط والسيطرة»، تأليف الدكتور أبو الحسن بني

— بعد ذلك — يصف حال قومه، وعشيرته، وما حل بهم من طرد وتشريد، وهم المسلمون، المؤمنون، الموحدون بالله، المؤذون للزكاة، ثم ناشد الخليفة، وهو مناضل الأمل، ومغدد الرجاء أن يتكلم بهؤلاء السعاة الخطاء، ويتدارك قومه، ويرفع عنهم المظالم التي ألقت بهم على أيديهم.

● الفصل الثالث (خصائص شعره): يتحدث المؤلف عن الألفاظ والأساليب، فيرى أن حيانه في البادية، أثرت في ألفاظه وتركيبه، لهذا رأينا في شعره: الأنثى، والفردوس، والتبران، والذئاب العساوية، والسوحوش الضارية، وعزيف الريح، وهدير السيل، وصليل السيوف، وفحيح الأفعى. أما عن التركيب، فلم يدرك الراعي عصر التكلف والصنعة، ومن ثم جاءت تراكيبه طبيعية تحاكي المعاطلة، والمعاناة، والتعسف،

كتب في كل الأغراض الشعرية مثل: الوصف، والنسب، والفخر، والخمريات، والحماسة، وانجفاء، والنقائص، والحكم، والأمثال... وهي كلها أغراض تقليدية، كتب فيها الشعراء وأجادوا، ولكن هذه الدواية أظهرت عجزاً جديداً استحدثه الراعي هو «شكوى العيال». فزاد في قصيدته اللامبة، وقد عز عليه أن يرى قومه فريسة الجور والطغيان، بيت الخليفة «عبد الملك بن مروان» شكواه من عماله، وفيها يقول:

أخيفتني الرحمن، بما معشر حنفاء - سحق كره وأصعبا
عسرت، ترى لله في أموالنا
حق الزكاة منزلاً تسترنا
إن السعاة عصوك يوم أمرتهم

وأنز دامي لو علمت وغولاً
ثم يعدد أساليبهم واحتياجه
للغش، بألحاح الأساليب، ونراه

ديوانه)، يذكر المؤلف أن ياقوتاً الحموي، ذكر في أكثر من موضع من معجم البلدان، أن شعر الراعي كان مجموعاً في نسخة قرئت على ثعلب. ولكن المؤلف لم يعثر عليها، ومن هنا أخذ نفسه بجمع أشعار الراعي من مظائنها المختلفة (ص ٨١).

ومن هذا الفصل نعلم:

١ — أنه ليس لدينا من شعر الراعي إلا أبيات متفرقة.
٢ — جمع هذه الأبيات من مصادر، أغلبها لغوية.
٣ — لم تحفظ المصادر الأدبية من شعره إلا النذر اليسير.
وهذا فقد جاءت أشعاره التي جمعناها «ديواناً» تغلب عليه الصيغة اللغوية، وإذن فدلالتها على ديوانه الأصلي دلالة السفل على العودة (ص ٨٢).

● في الفصل الثاني (فتون

شعره) يقول المؤلف: إن الراعي فند

نعاليم الإسلام، تجلّى في شعرهم، وبذلك كانت هذه المدرسة آخر حلقة من حلقات الشعر الجاهلي القديم، وإن امتد بها الزمن إلى آخر العصر الأموي (ص ٦٠).

— وفي الحديث عن حياته العامة — في (الفصل الثاني) — يتحدث المؤلف عن رحلات الشاعر، وأسفاره. واتصالاته بشعراء عصره وولائه، وإذا كان التاريخ، لم يجد لنا بشيء عن مولده، فإنه لم يجد لنا عن وفاته. ولكن المؤلف يرى أنه مات بين عامي ٩٦، ٩٧ هـ. ويدلل على ذلك، ببعض الأحداث المؤسفة من صحتها تاريخياً.

★ ★ ★

● الباب الثالث: (شعر

الراعي) تنظمه ثلاثة فصول:

— في الفصل الأول (مصادر



★ د. عمر فروخ ★



★ أحمد عبد الغفور عطار ★

صدر ، ترجمة فاضل رسول ، صدر عن دار الكلمة .

● «دولة بني حمدان» ، تأليف الدكتور عبد الحليم عويس ، صدر عن دار الشروق .

● «الحركة النقابية في مواجهة عملية السلام المنفرد» ، دراسة أعدتها الدكتورة هالة أمين ووضعتها في كتيب صدر عن مؤسسة الأبحاث العربية في بيروت .

● «هذا الشعر الحديث» ، تأليف الدكتور عمر فروخ ، صدر عن دار لبنان للطباعة والنشر .

● «الم الكتابة عن أحزان المنفى» ، لوحات نصية تأليف واسيني الأعرج ، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● «بيلينسكي» ، تأليف الدكتور حياة شراري ، صدر ضمن «سلسلة أعلام الفكر العالمي» التي تصدر عن المؤسسة العربية للدراسات . وهو ناقد روسي .

● «تابع في الجسد القادم» ، مجموعة شعرية للشاعر قيصر غصوب ، صدرت عن دار مارون عبود في بيروت .

● «القمر كان يبكي» ، مجموعة شعرية تأليف الدكتور شوقي العمري ، صدرت عن دار القدس ببيروت .

● «أيها الولد المحب» ، عنوان رسالة لأبي حامد الغزالي ، تحفيق وتعليق عبد الله أحمد أبو زينة ، صدرت في كتيب عن دار

وذى الرمة .

★ ★ ★

في ختام هذا العرض ، لا يسعنا إلا أن نقرر أن هذه الدراسة قد أنصفت شاعراً فحلاً ، بقي طلبة تاريخنا الأدبي ينتظر الدارس المتصف الذي يخرج شعره من بطون كتب الأدب والتاريخ ، ويلقي الضوء على حياته وشعره في إطار عصره . . وجاء الدارس محمد نبيه حجاب ليعطيه بعض حقه .

حسين علي محمد

حواشي

(١) د. محمد عبد الحليم عويس ، الرعي حبي . ٢٠٠٨ صفحات في ١٤٠٠ دار بيسان مصر . القاهرة ، ١٩٩٣ . (مع مقدمة لـ لساند أحمد شبيب) .

وتخضع للنسق الطبيعي ، فلا تعقيد ، ولا التواء ، ولا غموض ، ولا اضطراب ، ولا تقديم ولا تأخير إلا ماعدت إليه دواعي البلاغة (ص ١٦٠) .

وقد استحسن شعره : أبو عمرو الشيباني ، وأبو هلال العسكري ، وابن رشيق القيرواني ، لإصابته المعنى ، وروعة الخيال ، وتناسب القافية (ص ١٧٢) .

ولقد كان الراعي حجة في النحو واللغة ، اعتمد عليه النحاة في تأييد مذاهبهم النحوية ، كما اعتمد عليه اللغويون في تقرير ألفاظهم اللغوية . وحق لهم ، فهو شاعر أموي بدوي تمجج بشعرهم . كما قال السبوتي والقاضي الجرجاني (ص ١٨٤) .

وفي النهاية ، يقوم المؤلف بعمل موازنة بغیره من شعراء طبقتهم : كالفردوسي ، وجبري ، والأخطل ،

الشروق .

● «الرهائن» ، مجموعة قصصية تأليف عوض شعبان ، صدرت عن دار الكلمة .

صدر عن دار الطليعة :

★ «المناحي الفلسفية عند الجاحظ» ، تأليف الدكتور علي بو ملحم .

في سبيل موسوعة فلسفية ، صدرت الكتب التالية عن دار الهلال :

★ «برغسون» وهو فيلسوف فرنسي ، تأليف الدكتور مصطفى غالب .

★ «سارتر» وهو فيلسوف فرنسي ، تأليف الدكتور مصطفى غالب .

★ «هيغل» ، وهو فيلسوف ألماني ، تأليف الدكتور مصطفى غالب .

البصرة وتاريخها

سوف نعقد خلال الفترة من ٢٢-٢٤ ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٨٠م ، ندوة عالمية لدراسة تاريخ البصرة ومصادره ، وسيشارك فيها مؤرخون من جميع أنحاء العالم وكذا المؤسسات المهتمة بالتاريخ وأبحاثه .

* كتب جديدة *

● «محاولة عيش» ، رواية ألّفها محمد زفزاف ، صدرت عن وزارة الثقافة والإعلام ببغداد .

● «سمفونية الحب» ، مجموعة قصصية تأليف السيد حافظ ، صدرت عن دار الرشيد للنشر ببغداد .

ترجمة كتاب (الطب)

رغبة في التعريف بالدور الكبير الذي قام به العلماء العرب والمسلمون في ارساء قواعد الطب والعلوم ، يعكف لفيف من الخبراء والمتخصصين في منظمة (الثقافة والعلوم بتونس) على ترجمة كتاب (الطب) للعلامة العربي (الرازي) إلى (اللغة الإنجليزية) . والمعروف أن (الرازي) من فلاسفة القرن الرابع الهجري ، وقد درس الطب والرياضيات والفلسفة والكيمياء والمنطق والأدب ، وألف كثيراً من الرسائل في شتى الأغراض ترجمت إلى اللاتينية ، واستمرت حتى القرن السابع عشر ، المراجع الأولى في الطب .

معرض للكتاب العربي

أتم بمدينة (تونس) معرض للكتاب العربي شاركت فيه دور النشر العربية ، وقد اتخذ من المركز الثقافي بتونس مقراً له ونحت عنوان (التنوع والشمول) .

* كتب جديدة *

صدر عن الدار التونسية للنشر الكتب التالية :

- « قضية الإسلام والحوار » ، تأليف الدكتور محمد الطالبي ، صدر باللغة الفرنسية .
- « الإسلام والمسيحية » ، تأليف ميكال دي إيبليزا ، باللغة الفرنسية .
- « الصبغة المستقبلية للإسلام » ، تأليف اسكندر فوتتان .
- « عهد البراق » ، مسرحية من تأليف الحبيب بو العراس ، صدرت عن دار سيريس للنشر والتوزيع بتونس .
- « الثقافة رهن حضاري » ، تأليف الشاذلي القليبي ، صدر عن الدار التونسية للنشر .

قضايا اللغات والتراث اللساني

عقدت في دمشق الندوة العالمية الخامسة لمعالجة قضايا اللغات (العربية والإنجليزية والفرنسية) وكذلك ندوة عن (التراث اللساني العربي) ، وقد نظمت بواسطة جامعة دمشق بالاشتراك مع منظمة (اليونسكو) ، وقد حضر الندوة التي استمرت

- « مدينة العطش » ، مجموعة شعرية للشاعر فؤاد كحل ، صدرت عن دار الرشيد ببغداد .
- « صورة الكون » ، تأليف الدكتور محمد عبد اللطيف مطلب ، صدر عن وزارة الثقافة والإعلام ضمن سلسلة « الموسوعة الصغيرة » .
- « المنعطف » ، مجموعة قصص قصيرة ، تأليف أحمد عودة ، صدرت عن دار الرشيد ببغداد .
- « نقد الفكر البرجوازي المعاصر » ، تأليف مومجان ، ترجمة يوسف ثروة .

* كتب جديدة *

- « في اتجاه صوتك العمودي » ، مجموعة شعرية للشاعر محمد بنيس .
- « وجه في المرايا » ، مجموعة قصصية تأليف أحمد الزيادي ، صدرت عن دار النشر المغربية بالدار البيضاء .
- « درجة الوعي في النقد » ، مجموعة دراسات نقدية تأليف نجيب العوضي ، صدرت عن دار النشر المغربية بالدار البيضاء .
- « أماندا وبعدها الموت » ، قصة في كتاب ، تأليف أحمد عبد السلام البقالي ، صدر عن « ميثاق المغرب » .
- « رجال ولد المكسي » ، رواية تأليف محمد حوف ، صدرت عن دار النشر المغربية بالدار البيضاء .

* كتب جديدة *

- « الحرف والضوء » ، مجموعة شعرية للشاعر محمد بلقاسم ، صدر في الجزائر .

مؤتمر تاريخ بلاد الشام الثالث - فلسطين في العهد الإسلامي -

نشأت فكرة مؤتمر أكاديمي يختص بتاريخ بلاد الشام، في الجامعة الأردنية عام ١٩٧٤ م. وأخذت الفكرة كثيراً من الجهود لبورتها واقناع المسؤولين بجدوى المؤتمر وغماره الخيرة. وقد كان المؤتمر الأول ناجحاً إلى أبعد الحدود. إذ تداعى إلى حضوره أكثر من سبعين عالماً في مجالات التاريخ أنوا من سبعة وثلاثين معهداً وجامعة على رجب الكرة الأرضية. ومن أهم ما خرج المؤتمر به جملة توصيات كان أبلغها أن هؤلاء العلماء السبعين يستنكرون جعل التاريخ أداة لاضطهاد الشعوب ومبعثاً للعرقية والعنصرية. وكان المقصد إدانة حادة للصهيونية.

اقتصرت المؤتمر على الفترة ما قبل العهد العثماني، أي حتى عام ١٥١٦ م.

وبعد أربعة أعوام، وقد كان مقررأ أن يكون بعد عامين، انعقد المؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام، في جامعة دمشق، واقتصرت على تاريخ بلاد الشام منذ عام ١٥١٦ م، أي العهد العثماني حتى الحرب العالمية الأولى. وبعد عامين، عقد المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام.. في هذه المرة، اقتصرت على منطقة جغرافية بعينها، هي فلسطين.

إن اختيار الموضوع، في هذا الطرف بالذات، هو اختبار ذكي، يتم عن حصافة في الرأي وحسن وطبي أسر، وإنهاء قومي عريض القاعدة. وتحددت موضوعات المؤتمر التي يمكن للباحثين الاشتراك بها، في جملة دوائر، جلها في تأكيد الحقوق العربية الإسلامية في فلسطين. وكان شعار المؤتمر «فلسطين في العهد الإسلامي»، وقد حضر المؤتمر أكثر من مائة وعشرين عالماً وباحثاً من سبعة وستين معهداً وجامعة من جميع أرجاء العالم.

يأتي مؤتمر تاريخ بلاد الشام الثالث - فلسطين في العهد الإسلامي - في هذا الطرف التاريخي الحاسم من مسيرة العرب والمسلمين، وفي آخر سنوات القرن الرابع عشر الهجري، يأتي شاهداً دامغاً للعالم قاطبة بأن هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، ما زالت حية تنبض عروقها بدفق الحياة المنجددة، وبأن الحق العربي في أرض العروبة والإسلام، فلسطين، مهد الأنبياء، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى الرسول العربي الكريم ومعراج، عليه الصلاة والسلام، إنما هو حق لا تزيله حرا ب الطغاة، ولا حقد المختصين. وستبقى فلسطين عربية، والقدس عربية، وسيبقى شعب فلسطين عربياً مسلماً مطالباً بحقوقه في أرض آباءه وأجداده ما دام للحق دولة، وللعدل ميزان.

د. فواز أحمد طوقان
عمان / الأردن



* د. الأدب حسن فتح الباب *



* الشافقي الفلبي *

أربعة أيام أكثر من (٥٠٠) باحث ودارس لغوي يتنمون إلى سبع وأربعين جامعة عربية وأجنبية وعدد من المنظمات والمؤسسات العلمية المعنية باللغات الحية، والهدف الرئيسي من هذه الندوة التأكيد على أهمية اللغة العربية ودورها في التعبير عن فكر الإنسان العربي في الماضي والحاضر والمستقبل، وقدرتها على التلاؤم مع المتغيرات الفكرية.

* كتب جديدة *

- «اللغة والأسلوب»، تأليف عدنان بن ذريل، صدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- «معزوفات الحارس السجين»، مجموعة شعرية للدكتور حسن فتح الباب، صدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- «القادمة من ساحات الظل»، مجموعة قصصية تأليف ضياء قصبجي، صدرت عن المكتبة العربية بجلب.
- «سلاماً أيها السعداء»، مجموعة قصصية للقاص يوسف أحمد المحمود، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- «ومضات في ديوان العواد»، (ج ١) تأليف الدكتور علي المصري، صدر عن دار مجلة الثقافة بدمشق.
- «اللوز المر»، قصة تأليف محمد هراي، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- «أولبياد اللغة المؤجلة»، ديوان شعر للشاعر أسعد الجبوري، صدر عن دار الكرم بدمشق.
- «مدينة الإسكندر»، مجموعة قصصية تأليف إعتدال رافع، صدرت عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- «عطاء السنا بِل»، مجموعة قصص للأطفال، تأليف إسكندر نعمة، صدرت عن وزارة الثقافة السورية.
- «مرة واحدة إلى الأبد»، مجموعة قصصية تأليف عبد الستار ناصر، صدرت عن وزارة الثقافة.
- «من كتاب الإعتبار»، لأسامة بن منقذ الكنان، اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها الدكتور عبد الكريم الأشتر، صدر ضمن سلسلة «المختار من التراث الإسلامي» التي تصدر عن وزارة الثقافة.

كانوا يودعون بها موتاهم .

طبقات الأرض

عقد في باريس المؤتمر الدولي (للعلماء طبقات الأرض) حضره خمسة آلاف عالم واختصاصي ينتمون إلى نحو مائة دولة ، والهدف من هذا التجمع العلمي التعمق في الأبحاث المتعلقة بحفوف الأرض ، ثم البحث عن جميع التطبيقات العلمية الممكنة .

ترجمة كتاب (دلالة الحائرين)

صدر في (باريس) ترجمة لكتاب موسى بن ميمون : دلالة الحائرين ، ومن المعروف بأنه يعرف لدى الغربيين باسم «ميمونيدس» وقد درس العلوم العربية واستقر بالقسطاط وعمل طبيباً لصالح الدين الأيوبي ، وقد ألف كتباً كثيرة في الطب وأخذ عنه الرازي وابن سينا وابن زهر .

* أحدث الكتب *

- «الرجل ذو المانة وجه» ، تأليف هذين بارمولان ، صدر في باريس بمناسبة مرور سبع سنوات على وفاة الرسام العالمي بيكاسو .
- «الموت التدريجي» ، رواية ألّفها أندريه شديد ، صدرت

متحف الفن والتاريخ

افتتح حديثاً متحف الفن والتاريخ بمدينة (ميترز) الفرنسية التي تحتوي على كنوز الإمبراطورية الرومانية القديمة ، ويضم هذا المتحف الذي أنشئ في القرن الخامس عشر ، الكنوز التي حصل عليها (شارلمان) من غزواته المتعددة ، كما يحتوي على الحفامات التي كان يستخدمها الرومان ووسائل التدفئة وتذكاء ، كما يضم الأدوات التي كانت تستخدم في بناء وطلاء المنازل إلى جانب الطقوس الدينية التي

الملابس ، وكم من الأيدي العاملة اللازمة لخياطة تلك الأزرار .

وقد قام مخترع فرنسي بجهوده الفردية في البداية ، ثم بالتعاون مع شركتين ، بتطوير آلة لخياطة الأزرار توفر كثيراً من الوقت والجهد ، وقد أطلق عليها اسم (فيكسون ٩٠٩) Fixon 909 . وتبلغ طاقة الآلة -أو بالأحرى طاقة العامل الذي يشغلها- ١٢٠٠ زر في الساعة الواحدة ، ويمكن للآلة أن تعمل بسرعة أكبر من ذلك فبدلاً من ٣ ثوانٍ للزر الواحد يمكن زيادة السرعة إلى ٠,٢ من الثانية .

وقد تم صنع أزرار من البلاستيك القابل للتشكيل بمختلف الأحجام والأشكال ويمكن أن تغطي هذه الأزرار بطبقة معدنية . أما المبدأ الذي تقوم عليه الآلة فهو مبدأ اللحام بواسطة الموجات فوق الصوتية . فالأزرار تأتي جاهزة مثبتة على حافة تثبيت من نفس المادة البلاستيكية . ويتم وضع الزر في مكانه على القماش ، أما من الطرف الآخر



البصريات القديمة

يصنع في فرنسا لوحدها خمسة عشر مليار من الأزرار في كل سنة . وتستخدم الإدارة الحكومية من تلك الأزرار مقداراً يتراوح بين (٧٠٠) مليون ومليار زر . وعندما يقوم الجيش الفرنسي بالإعلان عن مناقصة للثياب فإنه يحتاج لأربعين مليون بزة ، ولا شك أن هذه الأرقام تجعلنا نحلم . . فالأزرار صناعة لا ندرك أهميتها جيداً ، وليس من السهل علينا أن نقدر الزمن اللازم لتثبيت تلك الأزرار على



★ جاك بيرك ★



★ عمود درويش ★

في باريس .

● «المغرب بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر» ،
تأليف جاك بيرك ، صدر عن دار غاليمار .

● «إفريقيا للإفريقيين» ، تأليف بيير بيرنس ، صدر في
باريس .

● «العواطف الخيرة» ، تأليف ماريلين فرانش ، صدر في
باريس مترجماً إلى اللغة الفرنسية عن دار أكروبول .

● «الإسلام في أول عظمته» ، تأليف موريس لومبارد ،
صدر في باريس .

* أحدث الكتب *

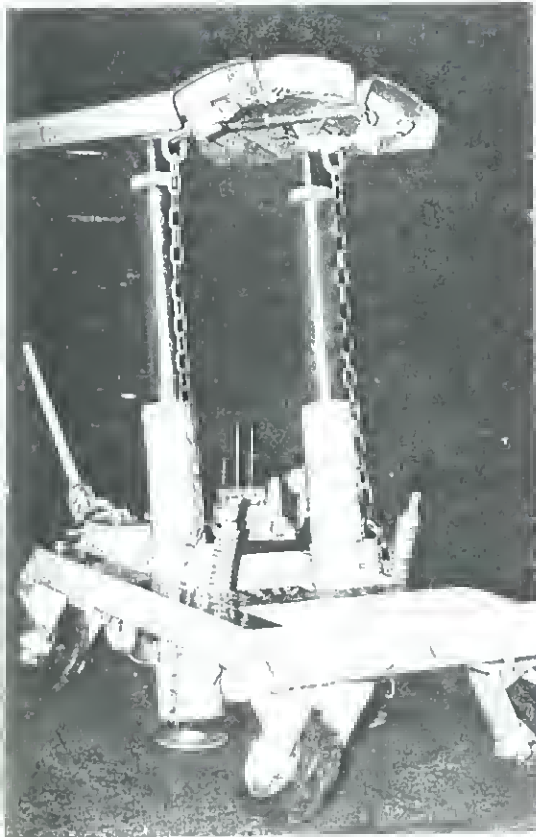
● «مهر ونجوم» ، ديوان شعري جديد للشاعر حسامد
كرتاريوري ، صدر في الأسواق الباكستانية .

● «رسالة إلى صديق ضائع» ، تأليف باتريك بيسون ،
رواية أصدرتها دار لوسوي للنشر .

* أحدث الكتب *

● «آخر الليل» ، ديوان شعري للشاعر محمود درويش ،

● «ارتداد كازانوف» ، مجموعة قصص الروائي الألماني هرمان
هيس ، ترجمها إلى الفرنسية ادمون بوجون ، صدرت عن دار
كالمان ليفي .



هذا الخطر إذا كان تركيب تلك الأنابيب يتم
داخل خنادق (كأنابيب البترول مثلاً) .

ويحتاج الأمر لآلة دقيقة يمكن بواسطتها
التحكم في ترتيب أطراف الأنابيب بحيث
تتداخل تلك الأطراف بسهولة ودقة ، والآلة
الجديدة (التي تظهر صورتها هنا) تسهل
هذه المهمة إلى حد بعيد ، كما أنها تقلل من
أخطار الحوادث أثناء العمل . وهي عبارة عن
عربة صغيرة ذات عجلات يمكنها أن تتحرك
داخل أحد الأنابيب الموضوعة على الأرض ؛
وللعجلة ذراعان متداخلان يحملان فوقها سرجاً
محبذاً له حافة بارزة يمكنها أن تظهر من طرف
الأنبوب ، ويمكن تثبيت الآلة داخل الأنبوب
ومنعها من الحركة أو الإنزلاق ، ويمكن تقريب
الأنبوب الثاني وتركيب طرفه داخل الطرف
(المؤنث) للأنبوب الأول . ويمكن بعد تثبيت
الأنبوبين تحريك الآلة ونقلها .

(الشركة ل . مارتينيز - كامباري -
فرنسا) .

فترض حافة تثبيت ويضع الجميع على
(سندان) في الآلة . وتقوم مطرقة تهتز
بسرعة (٢٠,٠٠٠) هزة في الثانية بشكل
عمودي ولها قوة ضغط يمكن أن تصل إلى
(٢٠٠) كغ . وتتحول الطاقة الاهتزازية
إلى حرارة في نقاط تماس الزر مع حافة

التثبيت ، وهنا يحدث نوع من التجميع في
البلاستيك يؤدي إلى التحام الزر بالحافة . وقد
برهنت الأضرار المثبتة بهذه الطريقة بأنها لا تنقطع
ولا تسقط .

(المخترع ز . بابازيان - مدينة أنيسي - فرنسا) .

بشكل تثبيت الأنابيب الكبيرة وتركيبها
خطراً على حياة العمال ، بسبب صعوبة تحريكها
وإعطائها الوضع الصحيح لإدخال أطرافها
ولحامها معاً عند عملية (التجميع) . ويزداد

ميدالية الأدب القومي البرونزية وعلى ١٥ ألف دولار وذلك نتيجة لأعمالها وجهودها الأدبية . من أهم أعمالها : (العريس اللص) و(التفاحة الذهبية) و(الابنة المتفائلة) وبعض القصص القصيرة .

وفاة فيليب جوستون

توفي الرسام الأمريكي الشهير (فيليب جوستون) عن عمر يناهز السادسة والستين ، والذي يعد واحداً من ممثلي المدرسة التعبيرية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ، ومن المعروف بأن (جوستون) ولد في عام ١٩١٣ م ، ودرس في نفس المدرسة التي درس فيها الرسام (جاكسون بولوك) ، أقام في حياته أعمالاً عرضت في معظم متاحف الولايات المتحدة ، وكان آخر معرض أقيم له في (سان فرانسيسكو) .

الفن البريطاني

يقام حالياً في نيويورك معرض تحت اسم «الفن البريطاني الآن» ، ويضم المعرض أعمال ثمانية من أشهر الفنانين البريطانيين في العصر الحديث ، ويغلب فن النحت على هذه المعارضات ، ومن بين محتويات المعرض أعمال للفنان «ديفيد ناش» الذي قام بعرض العديد من الأعمال التي تصور فروع الأشجار الجافة والأشجار النامية ، كما يضم المعرض أعمالاً للفنان «هرج أودنيل» من بينها لوحات رسمها خلال عام ١٩٧٩ م .

أمسيات لمي الريحاني

في أمسيتين شعريتين قدمت «مي الريحاني» غزارات من ديوانها «حضر على الأيام» و«اسمي سواي» في مركز كندي للثقافة في واشنطن بدعوة من نادي الكتاب والشعراء الأمريكيين ، وفي «جورج تاون» بدعوة من دائرة الآداب واللغة العربية في الجامعة ، وقد قام الشاعر الأمريكي أندرو أوركلي بترجمة ثمان عشرة قصيدة ألقاها في الأمسيتين مع النصوص العربية بصوت الشاعرة نفسها .

مؤتمر للهنود الحمر

افتتح في بيرو بأمريكا الجنوبية أول مؤتمر لقبائل الهنود الحمر في قارتي أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، ويقول علماء اللغات إن التفاهم بين رجال القبائل في هذا المؤتمر سيكون شاقاً وعسيراً ، حيث إن سكان أمريكا اللاتينية وحدها من هذه القبائل يستخدمون خمسمئة لغة مختلفة من بينها الإسبانية والبرتغالية .

ترجمه إلى الفارسية موسى إسماعيل ، صدر في طهران .

* أحدث الكتب *

● «لغة الزهور» ، تأليف الدكتور روبرت توم ، صدر في بروكسل .

معجم عربي - ألماني

يقوم الدكتور (شريكه) بتفويض من جمعية المستشرقين الألمان ، بتأليف معجم (عربي - ألماني) موسوعي حديث يصدر على شكل أجزاء وسيستغرق إصداره سبع سنوات ، وذلك بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب بالرياض في ميدان المصطلحات العلمية والتقنية باللغة العربية .

* أحدث الكتب *

● «نيتشه - ترجمة حياته» ، تأليف كورت بول جانز ، صدر في ثلاثة أجزاء بالمكتبات الألمانية .

جائزة الكتاب الأمريكي

منحت جائزة (الكتاب الأمريكي) للروائية والكاتبة الأمريكية أيو دور ديبستي لعام ١٩٧٩ م ، وبذلك تكون قد حصلت على

﴿إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ (سورة آل عمران ، الآيتان ١٩ ، ٢٠) .

الاحلام

والدعوة الإسلامية

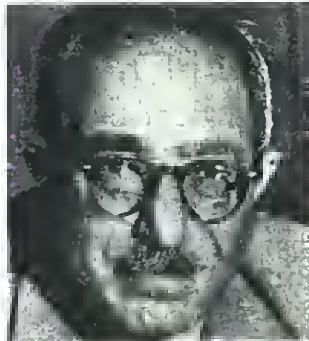
بقلم : د . حسين فنوزعي المنبجاري

وإن كنت أفضل كلمة « الناس » وهي الكلمة القرآنية على كلمة « الجمهور أو الجماهير » وهي الكلمة التي شاعت على ألسنة المترجمين أخيراً بظهور « فن الإعلام » .

والفرق بين الدعوة والدعاية ، أن الدعوة هي للفكر أو العقيدة أو للتعبير عن الضمير الاجتماعي للأمة ، وتقوم في مضمونها على الحقائق الصلبة الجارية ، أو المعرفة الجديدة التي غابت عن الناس ، كالدعوة الدينية ، أو الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي ، أو الدعوة إلى

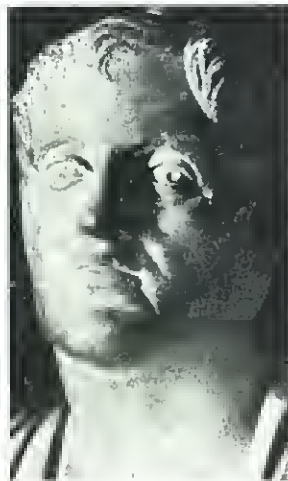
وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم بهدى الله وتوفيقه منهاج الدعوة الإسلامية والإعلام بها وبلاغها إلى الناس ، لما كان له أن يحمل الناس على الإسلام قهراً وإن كان عليه ألا يبي في البلاغ : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (سورة المائدة ، الآية ٦٧) .

والإعلام هو التعبير عن الشيء والتعريف به لدى الناس ، أو هو الخبر نعمل على إشاعته ونشره بين المجموع بشق وسائل الذبوع والانتشار ، وهو غير الدعاية وإن كانت الوسيلة فيها واحدة ، من الكلمة المنشورة إلى الكلمة المسموعة ، ومن الحديث الجاري إلى حديث الندوة ، ومن الرسالة يقصد بها المرسل فوماً آخرين إلى الكتاب يشرح فيه صاحبه ما يجب للناس أن يعلموه ، فالإعلام وسيلة المعرفة وهو غايتها في نفس الوقت . فحيث يقصد صاحب المعرفة أن يعلمها الناس فإنه يقصد بها إليهم بشق وسائل الإعلام التي يقدر عليها ، وهي نفس الوسائل التي يقصد بها صاحب الدعاية السبيل إلى من يتغيهم بدعايته . فالدعاية هي التأثير في الناس لغاية ما بغض النظر عن مكانها من الحقيقة ، والناس في كلا الحالين هم موضع الدعوة والدعاية ، وإن اتخذنا وسائل واحدة ، هي ما أطلق عليه اصطلاحاً في العقود الأخيرة « وسائل الاتصال الجماهيري » — MASS MEDIA —



★ د . محمد حسن مكي

★ أرسطو



إلا أن مسمى «الإعلام» قد ساد على المستوى الأكاديمي في الوقت الحاضر، كما ساد على المستوى العام، وحين تحول قسم الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة إلى كلية مستقلة حملت مسمى «كلية الإعلام»، وأصبح لفظ الإعلام هو السائد في اللغة العربية وبين الشعوب الناطقة بها جميعاً.

الإعلام قديماً

وقد عرف العالم العمل الإعلامي قبل أن يسميه أو يعرف اسمه، بل إنه نشأ مع نشأة الجماعة الإنسانية المنظمة، وهي الجماعة التي تنتظم فيها علاقات الأفراد بعضهم ببعض، حين يدرك الفرد ذاته في غيره وحاجته إلى هذا الغير وحاجة الغير إليه، ففي هذه الجماعات البشرية الأولى عرف الناس الإعلام في صورة أخبار عن العدو أو عما يهدد الجماعة من أخطار حتى تحذرها الجماعة، فعند زحف العدو يكون هناك من يرصده لينذر القوم به، كما كان هناك من يراقب حركة الوحوش واقتربها ويستطلع مواطن الطعام والصيد.

ومع ارتفاع الإنسان وتقدم الحضارة تقدمت وسائل الإعلام، فكانت دقات الطبول إما إعلاناً للحرب أو دعوة الناس للتجمع أو إعلاماً بحديث ما، وكان لكل دقة معناها، ومازالت دقات الطبل في بعض القرى المصرية وفي غيرها من قرى العالم العربي تنبئ عن وفاة، ومازالت في بعض القبائل الإفريقية نذيراً بحرب أو دعوة للتجمع، كما كان النداء يدور به المنادي معلناً عن حدث ما. وكذلك كانت الساحات والمنتديات وحلقات السباق والرياضة ودور اللهو والمسارح والحفلات العامة، أماكن يلتقي فيها الناس يتبادلون الأخبار، ويعرف كل منهم خبر أخيه أو خبراً يدور حول المجموع. وكثيراً ما كان يدعى الناس في روما وفي أثينا إلى هذه الأماكن التي كانت شائعة ومنتشرة، ليعلم إليهم الرؤساء ما يعينهم من أمور.

ومن قبيل تلك الأماكن، كانت دار الندوة بمكة المكرمة منتدى قريش قبل الإسلام، وفيها دعا قصي القرشيين إلى رفادة الحاج، فجمعهم وقال لهم:

«يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل حرمه وأن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الأضياف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم».

وحين تعلن قريش الحرب في دار الندوة، وفيها يعقد اللواء لمن يولونه القيادة، فيعلم الناس جميعاً عن الحرب ومن يتولى قيادتها. ومن دار الندوة تسمع القوم بغارة أبرهة الحبشي. وكان الحديث فيها بينهم عما يكون من أمرهم.

ولم تكن دار الندوة وحدها مصدر الإعلام للقرشيين، فقد كانت هناك الأسواق تعقد في مواسمها من الأشهر الحرم، يثوب فيها الناس إلى السلم ويحظر سفك الدماء، وأشهرها سوق عكاظ وكانت بين الطوائف

التقدم الحضاري والأخذ بوسائل الحياة الجديدة، أما الدعاية وقد أصبحت علماً جديداً قائماً بذاته، فهي فن التأثير في الناس لغاية ما قد لا تقوم على حقيقة ثابتة، وإن كانت ترمي إلى تصديقها وحملها عميل الحقيقة، كالدعاية الانتخابية، أو الدعاية لسلعة تجارية، أو مفهوم سياسي معين. وحين عرف أرسطو الخطابة قال: «إنها كافة الوسائل المتاحة للإقناع». وقد تكون الخطابة للدعوة، كما كانت خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم، في حجة الوداع حين قام يوصي المسلمين بما يجب أن يكون عليه أمرهم من بعد، فالخطابة في هذا المضمار تعلم وتعريف وتوجيه، وقد تكون للدعاية كما كان خطاب أنطونيوس على جثة قيصر حين أراد أن يقتنع الرومان بأمر يخالف ما ذهبوا إليه، وهو ما صورته شيكسبير أروع تصوير في مسرحيته «يوليوس قيصر».

وقد يجمع الإعلام بين الدعوة والدعاية، ولكنه جمع لا يتعدى الوسيلة، ويبقى الإعلام بعد ذلك قاصراً على التعريف بالحقائق المجردة القائمة، فإننا نعلم خبر الشيء إذ نعرف حقيقته، فالإعلام هو لغة الحضارة، يجمع إليه كل صنوف العلم والمعرفة، ويستعين بكل ما تقدمه تكنولوجيا العصر من وسائل، وهي الوسائل التي تقوم عليها الدعاية أيضاً في كل ما تنشده أو تبتغيه من أهداف.

ويعني التعبير الإنجليزي عن الإعلام مدلولاً أوسع مما هو عليه في العربية والفرنسية، إذ يعني الاتصال بالناس في شتى ضروبه ومعانيه، وهو ما يعنيه مصطلح «الاتصال بالناس» تماماً «Mass - Communication»، أو الاتصال الجماهيري على ما جرت عليه الترجمة العربية الشائعة للمصطلح الإنجليزي. سواء كان الاتصال بالناس بقصد التعليم «المسرفة»، أو بقصد الدعاية «الإقناع»، أو بقصد الامتناع «التسليية»، وهي الأمور الثلاثة التي يقوم عليها الاتصال بالناس، وهو تعبير كما يبدو يجمع بين الإعلام والدعاية، في حين أن التعبير الفرنسي «l'information» أقرب إلى التعبير العربي عن الإعلام، بل إن كلمة «إعلام» العربية تكاد تكون ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية.

وأول ما ظهر مسمى «الإعلام» في مصر وفي البلاد العربية تعبيراً عما يراد بالتعريف به كان خلال الأربعينات، وكان أول من قال به وأدخله إلى قاموس العربية أستاذ الصحافة العربية ومؤسس أول معهد للصحافة في العالم العربي أستاذنا المرحوم الدكتور محمود عزمي، وكان لي شرف اختياره لي للكتابة عن الإعلام في الأمم المتحدة، وكان قد تولى منصب مندوب مصر الدائم لديها حينذاك. وبدأ لي المصطلح غريباً فلم تكن مصر قد عرفت أجهزة الإعلام بعد، وحين أنشأت هيئة الاستعلامات أوائل الخمسينات دعماً «إدارة الاستعلامات»، ولكنها حين أقامت بالتعاون مع ألمانيا الاتحادية مركزاً ملحقاً بها للتدريب الإعلامي في العامين الأخيرين دعت «مركز النيل للإعلام»، كما كانت إدارة الإعلام بجامعة الدول العربية تسمى حتى وقت قريب «إدارة الاستعلام والنشر»، وقد أتاحت لي فرصة إدارتها لفترة خلال الخمسينات وهي تحمل اسمها الأول ذاك.

ونخله بنجوة من مكة، وشبيهة بها «محنة» و«ذو الحجاز»، ولكن عكاظ وحدها كانت تجمع الناس من العرب أجمعين، يقصدونها في موعدها، فيتداولون أخبارهم، وينشدون أشعارهم، ويتغنون بأبجادهم ومفاخرهم، وكان الشعر ديوان العرب وملحمة تاريخهم وسجل أيامهم، وكانت تلك الأسواق أشبه ما تكون في الوقت الحاضر «بوكالات الأنباء» تأتيها أخبار الداني والقاصي على ألسنة الرواة من كافة الجهات، ثم تصدر عنها إلى حيث يضي بها الرواة من روادها.

وشبيه بالأسواق محافل السمر حول الكعبة. وكان لكل قبيلة من قبائل العرب فيها صنم أو أكثر، يجتمعون حوله في أسماهم، حين يرون بمكة في ترحالهم أو بتجارهم، وكانت مكة عمر القوافل الغادية والرائحة شملاً وجنوباً، تحمل تجارة الشام وتجارة اليمن، إليها ترد أخبار البادية من كل صوب، كما ترد أخبار اليمن وجماعة المناذرة في الحيرة والغساسنة في الشام، وقد يعينهم أن يعلموا منها أخبار فارس وبيزنطة، وكذلك أخبار النجاشي في الحبشة وحمير في اليمن. وكانت لقريش بكل هؤلاء صلات وعلاقات، فقد عقد هاشم بنفسه مع بيزنطة ومع أمير غسان معاهدة حسن جوار ومودة، وحصل من الإمبراطور على الإذن لقريش بأن تجوب الشام في أمن وسلام، وعقد عبد شمس معاهدة تجارية مع النجاشي، كما عقد نوفل والمطلب حلفاً مع فارس ومعاهدة تجارية مع الحميريين في اليمن.

وهكذا كان للعرب قبل الإسلام مكانة بين الشعوب المجاورة، وصلات مع دولها فرضت عليهم أن يعلموا عنهم ومن أخبارهم ما يعزز مكانتهم وييسر أمورهم ومصالحهم لديهم.

ولعلنا نرى الشبه قائماً بين محافل الأسواق وأسما الليالي حول الكعبة ووكالات الأنباء حين قيامها، فعندما أنشأ «هافاس» أول وكالة للأنباء في باريس عام ١٨٢٥ م، حين افتتح بها مكتباً يتلقى فيه أخبار مراسليه في العواصم الأوروبية الأخرى عن طريق البريد أو يحملها إليه الرسل، حتى استخدم الحمام الزاجل عام ١٨٤٠ م، كوسيلة أسرع. وكانت أخبار المال والتجارة والعلاقات الدبلوماسية هي أكثر ما تعنى به، ولم يكن الخبر العام موضع حفاوة الصحف، فلما حفيت به بعد أن اجتذب العدد الأكبر من القراء دون غيره من أخبار المال والتجارة، بدت حاجتها إلى معونة هافاس، فحول مكتبه الصغير في باريس عام ١٨٣٥ م، إلى وكالة للأنباء أقامت لها فروعاً أخرى في بقية العواصم الأوروبية، ولم ينتصف القرن التاسع عشر حتى قامت إلى جوارها وكالة ولف الألمانية عام ١٨٤٩ م، ووكالة رويتر عام ١٨٥١ م، ومع تقدم وسائل الاتصال غدت وكالات الأنباء أولى وسائل الاتصال الإعلامي الدولي، وحرصت كل دولة على أن يكون لها وكالة للأنباء تصدر بأخبارها إلى كل بقاع العالم.

وقد شهد القرن العشرين تطوراً هائلاً في وسائل الإعلام، فتعددت وسائلها واتسعت آفاقها وامتدت آثارها وتنوعت مراميها بتطور الحضارة وتقدمها واتساع المعرفة الإنسانية وذيوها وتشابكها، فلم تعد وفقاً على أمة

من الأم كما كانت في الحضارات القديمة، بل غدت ملكاً لكافة الأمم، وتلك هي ميزة الحضارة الحديثة على غيرها من الحضارات السابقة، والفضل في هذا كله لتطور وسائل الإعلام، هذا التطور الذي حول الكرة الأرضية إلى عالم صغير.

ومع تطور وسائل الإعلام، بقي للإعلام وظيفته وممرماه وغايته كما هي لم تتغير على مر العصور، فالإنسان الحديث هو إنسان العصور الخوالي، والإنسان الذي راد الفضاء ونزل على القمر هو إنسان العصر الحجري وساكناً الكهف القديم، غايته أن يسعد ويأمن ويعيش، فإن غدت به المعرفة الإنسانية، وما قدر عليه من كشف الجاهول إلى آفاق أرحب من الحياة على الأرض، فإن غايته بقيت كما هي يعيش ليسعد ويأمن، وقد ينشد السعادة والأمن في رحاب الله، فيسلك سبيل الله أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ليقم مجتمع الخير والصلاح، وقد يحرفه عن طاعة الله فيضل ويطنى، وينأى به الضلال عن حياة الخير والصلاح فيشقى.

الإعلام الإسلامي وحضارة العصر

وحيث يحكم العصر طبيعة الإعلام، وتمتد به آفاق المكان وعوالمه فيتسع مدها ويغدو أمره يسيراً، فيجد في المسرة بديلاً عن المندوب، وفي الصحيفة بديلاً للإخباري، وفي الإذاعة بديلاً عن المشادي، وفي التلفزيون بديلاً عن الندوة والمشاهدة، وفي السيئنا بديلاً عن السامر، وفي وكالات الأنباء بديلاً عن الحمام الزاجل، كما يزوده الكتاب بصور من المعرفة ما كان ليحصل عليها ما لم يشد إليها الركائب وتحمله إليها الرواحل. وقد روي عن الجاحظ أنه كان يحمل أسفاره أينما ذهب.

وبقدر ما تتصل وسائل الإعلام الحديثة وتتكامل، بقدر ما تمتد منها آفاق الدعوة الإسلامية ويتسع مداها، فلم تعد قاصرة على جهد الدعاة وترحالهم وظعنهم من مكان إلى آخر، وإنما غدت والعالم كله يقع في نطاقها، تحكمها حاجة العالم إليها، كما يحكمها وجوب الدعوة وعالميتها. أما حاجة العالم إليها فقد عبر عنها «لورد لوتشيان» في الخطاب الذي ألقاه في المؤتمر الديني بجامعة عليكرة الإسلامية في الهند عام ١٩٣٨ م.

«من الواجب ألا يقف الدين بالإنسان على حل لغز الكون، وإنما عليه أن يفسر في دقة علمية كيف يسيطر على القوى الجديدة التي تهدد حياته بالدمار أكثر مما تنفعه، كيف يتفادى البطالة والحيث والاستغلال والظلم والحرب وغير ذلك من أوضاع المجتمع، وكيف يعالج الخلافات الشخصية والعائلية التي تهدد سعادة الفرد. فالإنسان، بعد أن تراكمت عليه مشاكل العلم وثقافت دون حل، يلتمس في الدين الهداية، والتحرر من الشك وقهر ما يلقاه من مشكلات. وعلى الدين، إذا أراد أن

يستعيد مكانته أو يبقى عليها ، أن يقدم حلولاً روحية يسندها العلم وتؤدي إلى نتائج حتمية ثابتة » .

ويقرر لورد لوتشيان في هذه العبارة الموجزة ، حقيقتين قنيتين بالنظر : أولاهما أن الحضارة الأوروبية — وهي حضارة علمية — قد عجزت عن تحقيق الخير للإنسان ، وأنها قوضت كل ما غرسه الدين في نفسه من قيم الحق والخير والجمال ، وثانيهما أن هذه الحضارة قد عجزت عن التوفيق بين ما هو مادي وما هو روحي ، أو بمعنى آخر عجز الفكر المسيحي عن التوافق مع الفكر العلمي . إذ إن قدرة الدين — أي دين — إنما هي في التوفيق بين المادي والروحي ، وبين الفكر والواقع ، وبين ما هو طبيعي وما هو فوق الطبيعة .

وقد تزه الإسلام عن الاثنين . ففي ظله قامت أعظم حضارات التاريخ ، ويوم تنكب المسلمون طريق الإسلام ذوت حضارتهم ، وقام الإيمان برسالته ، وبما بعث به نبي الإسلام العظيم على العقل والنظر العقلي ، وإذا قامت الدعوة على العقل والنظر العقلي فإنها تخلو من العنت والإكراه وتقوم على المسالمة والإقناع ، وهو ما قامت عليه الدعوة إلى الإسلام .

ويرى المفكر الهندي المسلم ، همايون كبير أن تقدم العلم في ظل الإسلام ، كان لأن الإسلام رد العقيدة والإيمان إلى العقل والمنطق . فالإسلام لا ينكر العلم ولا يجفوه ، وقد جاء القرآن الكريم حاثاً على النظر في آيات الله وفي بديع صنعه ، داعياً إلى التأمل في هذا الكون الرائع والسنن التي تحكمه والكشف عنها ومعرفتها ، وكثيراً ما حفلت آياته بمثل ذلك : « لايات لقوم يعقلون ، لايات لأولي الألباب ، لايات لقوم يتذكرون » .

ومن قوله تعالى : ﴿ وإلهمكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لايات لقوم يعقلون ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٦٤-١٦٣) .

وقوله جل شأنه : ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٠٤) .

وإذا كانت حاجة العالم إلى تعاليم الإسلام ما يؤدي إلى الإعلام بها والدعوة إليه ، فإن عالمية الدعوة الإسلامية تجعلها فرض عين وفرض كفاية على كل قادر عليها ووجد الفرصة سانحة لبيانها ، وهي واجبة بإجماع الصحابة لا يقعد بها أن تعاليم الإسلام وسماحته خير دواع له . وقد قام بها الصحابة والتابعون ، فلما قعد عنها الخلفاء والولاة بعد عصر الراشدين ومن سار على هديهم ممن جاء بعدهم ، اضطلعت بها الأفراد كما اضطلعت بها الفرق الإسلامية على اختلافها ، وكان لهم ولها في نشر الإسلام باع

طويل ، قصرت عنه الدولة حين انتابها البوار ولم بها الوهن ، وهي التي تقوم به كفء الباقين ممن يقدرون عليها مادياً أو علمياً ، وكانت بداية ذلك الوهن عندما ناشتها الفرقة وساطها الجند من الترك والدليم بسياسات الخوف والهلع ، وغلب عليها الولاة ، فلم يعد الخليفة بين الجند الشائرين والولاة الغالبين غير رسم من مراسم الحكم ، وليس له من الأمر شيئاً .

ونعني بعالمية الدعوة الإسلامية أن الإسلام دين الناس كافة ، وأنه دعوة التوحيد إلى الخلق أجمعين لا فرق بين عجمي وعربي وأسود وأبيض ، وأنه ختام رسالات السماء ، وأن محمداً عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين ، ورسالته تمت نعمة الله على عباده ، وفي حجة الوداع كان ختام ما خاطب به المسلمين بعد خطابه الجامع نلاوة قوله تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٣) .

والإسلام دين السماء منذ اتصلت السماء بالأرض ، اجتمعت فيه كل رسالات السماء من قبل ، هو دين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وموسى وعيسى عليهم السلام أجمعين ، فإذا لم يكن هناك غير إله واحد ، فما ثمة أديان أخرى إلا أن تكون جميعاً ديناً واحداً هو الإسلام . وحين يسأل اليهود والنصارى محمداً عليه الصلاة والسلام عنمن يؤمن به من الرسل كان يتلو عليهم قوله تعالى :

﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٣٦) .

فإذا كانت العقيدة قد اكتملت برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإذا كانت رسالة محمد للناس كافة وهو ما تعنيه دعوى عموم الرسالة ، فإن الدعوة إلى الإسلام لم تكنم بعد ، وستبقى قائمة حتى يعم دين الله الأرض ومن عليها . ونلك هي رسالة الإعلام الإسلامي في عالمنا الحديث . لما زال الإنسان وقد انقطع ما بين السماء والأرض منذ أربعة عشر قرناً أو تزيد قليلاً ، بعيداً عن جوهر الرسالات السماوية ، وما حضارة العصر في حاجة إلى ما يصلح من خللها قدر حاجتها إلى تعاليم الإسلام .

فالإسلام أعظم ميراث روحي بعث الله به نبيه ليكون ختام رسالاته إلى الناس ، وقد « أطل العالم — كما يقول الدكتور هيكل مؤلف كتاب « حياة محمد » — ووجه حضارته خلال عدة قرون مضت وسيظل من بعد ويوجه حضارته حتى يتم الله في العالم نوره . وإنما كان لهذا الميراث كل هذا الأثر فيما مضى ، وسيكون له مثله وأكثر منه من بعد ، لأنه أقام دين الحق ووضع أساس حضارة هي وحدها كفيلة بسعادة العالم » وقد « جاء نبي الإسلام العظيم — كما يقول سيد أمير علي في كتابه « روح الإسلام » — فأعلن المساواة التامة بين البشر ، وحرر الكادحين من ظلم المستغلين ، وقضى على الفروق الطبقة ، والتسايز العنصري والديني ،

وجعل الناس سواء أمام القانون وأمام شريعة على درجة عظيمة من المرونة والبساطة والقدرة على التطور تبعاً لتطور الحياة وتقدمها» .

فإذا كانت الأديان السهاوية كلاً متكاملأ ، وكان الإيمان بالله ورسله وكتبه شرطاً من شروط الإسلام ، فإن ما جاءت به الأديان السهاوية جميعاً لا يختلف أوله عن آخره ، وإن اكتمل في الإسلام ، وكانت جميعاً لخبر الإنسان وصلاحه ، وإن كان علينا أن نقول إن الإنسانية ما زالت في سعيها دائبة لتحقيق ما جاءت به تعاليم الإسلام منذ أربعة عشر قرناً أو تزيد ، ولم يأت الإنسان بجديد ، ولكنه لا يعي ما يملك . فإذا كان الناس من غير المسلمين في الغرب وفي الشرق ، قد جهلوا تعاليم الإسلام ، فإن الوزر لا يقع عليهم بقدر ما يقع على المسلمين الذين جهلوا كيف بدعون إلى دينهم ويعلمون الناس به .

المبعوث والمعلم والقدوة

قام محمد عليه الصلاة والسلام برسالة ربه كما أمر ، وكانت سنته في الدعوة خير منهاج للإعلام الإسلامي — كما نقول بلغة الإعلام — وقد أعده الله للدعوة قبل أن يأمره بالبلاغ ، فشرح له صدره وظهره من كل وزر ، ورعاه في يتمه وجنبه كل ضلال ، بقوله تعالى :

﴿ ألم يمدك يتيماً فأوى . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عانلاً فأغنى ﴾ ، وقوله جل شأنه : ﴿ ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك ﴾ .

ونشأ عليه الصلاة والسلام في رحاب البادية ونهل من جوها الطلق ، حين قضى سني طفولته الأولى في بني سعد ، روح الحرية والاستقلال النفسي والعقلي ، ونشرب فيها لغة العرب مصفاة من كل لحن ، فكان يقول : « أنا أعربكم ، أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر » ، كما كان يقول : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » ، فكان هو الأمي أصدق الناس حساً وأكثرهم شغفاً بالمعرفة ونظماً إلى الكمال ، وكان منذ الصبا صورة للكمال والطهر وعفة النفس وصدق قول ، حتى دعاه أهل مكة جميعاً « الأمين » .

ثم كان بعد ذلك دائم التأمل والتفكير فيما يسمع وفيما يرى ، وما كان له أن يطمئن — وقد أعده الله لرسالته — إلى ما ألم بالناس من ضلال ، ولا بد أن يهديه الله إلى الحق من نفسه ، وأن يلتمس في هذا الكون الفسح الرائع غاية الهدى ، فيرى في التحنف خير ما يمكنه من التفكير والتأمل فيما شغلت به نفسه من خلق هذا العالم ، وما في هذا الكون من عظيم إبداعه ، فهو كجده إبراهيم عليه السلام يبحث عن علته هذا الكون ، ولا يرى في هذه الأصنام القائمة في جوف الكعبة وما حولها إلا حجارة لا نظر ولا نفع .

وشارف محمد عليه الصلاة والسلام الأربعين وقد أدرك ضلال قومه ، واستوى بنعمة الله عقلاً وروحاً وبدناً ، ونوائيه الرؤيا صادقة ، يرى من خلالها نور الحقيقة ، ولكن الحقيقة التي بنسدها ما زالت غامضة

عليه ، حتى يأتيه الوحي ، أول ما يأتيه في غار حراء ، ويقول له : اقرأ . ويقول محمد : ما أقرأ ، ويقول الوحي :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى . أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى . أرايت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرايت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فلیدع ناديه . سندع الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ .

وكانت « سورة العلق » أول سور القرآن الكريم . وهي صورة من البيان المعجز لقدرة الله سبحانه وتعالى على الخلق ، وقد خلق الإنسان من أصل ضعيف قادر على أن يعلمه القراءة والكتابة وأن يعلم ما لم يكن يعلم ، ولكنه يطغى ويستعلي ومرجعه إلى الله ، وأنه لبنى عبداً عن الصلاة ، أنراه بجهل أن الله يراه ويعلم خافية أمره ، فإن لم ينزجر قلباً أخذن الله بناصيته إلى النار ومن معه إذا نصره ، فامض في سبيلك يا محمد ودم على صلاتك وسجودك ، والله ناصرك بمجنده .

وكان ذلك هو الإعداد النفسي للمبعوث العظيم ، بآتيه من بعده الأمر ، ويوافيه الوحي في نومه ، ويقوم ليستمع :

﴿ يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر ﴾ . أما وقد جاءه أمر الله ، فقد قال لزوجته خديجة حين تقدمت إليه في رقة وضراعة أن يعود إلى فراشه وأن ينام ليستريح : « انقضى يا خديجة عهد النوم والراحة ، فقد أمرني جبريل أن أنذر الناس وأن أدعوهم إلى الله وإلى عبادته ، فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب لي ؟ وجهدت خديجة تهون عليه الأمر وتنبه ، وقصت عليه نبأ ورقة بن نوفل وما حدثها به ، وأعلنت إليه إسلامها له وإيمانها بنبونه .

وكانت خديجة قد انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عم لها ، تخبره بما رأى محمد وسمع ، وكان ورقة قد هجر دين قومه ونصر وقرأ الإنجيل ونفل بعضه إلى العربية ، فقال لها : « قدوس ، قدوس ! والذي نفس نفسي ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة ، فقول له فليثبت » .

وإذ بلغ عليه الصلاة والسلام ورقة بن نوفل وقد خرج يوماً للطواف بالكعبة ، فبقص عليه أمره ، فبقول له ورقة في دعة : « والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، وقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى . ولتكدبن . ولتؤذين . ولتخرجن . ولتقاتلن . ولئن أنسا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه » .

أفكان محمد عليه الصلاة والسلام في حاجة إلى من يهون عليه الأمر ويثبت به بعد أن جاءه أمر ربه ؟ إنه لبطلب الهداية من الله في أمره ، وكيف

يدعو الناس من قريش إلى ما آمن به وهو يعلم أنهم أشد حرصاً على باطلهم حتى ليقاتلون في سبيله ويقتلون ، وهم بعد أهله وعشيرته . إن عمداً بشر يوحى إليه ، فإذا لم يؤمن به الناس فإذا يكون من أمره ؟ إنه في حاجة إلى هداية الله لينير له سبيله . ويفتر عنه الوحي وينتابه الخوف والوجل ، حتى روي أن خديجة قالت له : ما أرى ربك إلا قد قلاك ، ويأتبه الوحي بعد طول فتور ، وينزل عليه بقوله تعالى :

﴿ والضحي . والليل إذا سجي . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يكدك يتيماً فأوى . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى . فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ .

وسكنت نفسه واستراحت ، فليدع الناس ، ذلك أمر الله إليه وقد اصطفاه ما ودعه وما قلاه .

وهكذا كان البعث بعد نهبة وإعداد بدني وعقلي ونفسي ، فقد نشأ في بادية بني سعد — كما قلنا — حيث الحياة الرحبة الطليقة تضفي على الإنسان سلامة البدن وصفاء الروح ، اشتغل بالرعي ، فكان يرعى غنم أهله وغنم أهل مكة ، وكان يقول : « ما يعث الله نبياً إلا راعي غنم » ويقول : « يعث موسى وهو راعي غنم . ويعث داود وهو راعي غنم ، ويعث أنا ، وأنا أرى غنم أهلي بأجساد » .

« راعي الغنم — كما يقول مؤلف كتاب « حياة محمد » — الذكي القلب يجد في فسحة الجو الطلق أثناء النهار ، وفي تلالو النجوم إذا جن الليل موضعاً لتفكيره وتامله يسبح منه في هذه العوالم يتغنى أن يرى ما وراءها ويلتمس في مختلف مظاهر الطبيعة تفسيراً لهذا الكون وخلقه . . . وهذا التفكير والتأمل من شأنها صرف صاحبها عن التفكير في شهوات الإنسان الدنيا والسمو به عنها بما يبسدها له من كاذب زخرفها . لذلك ارتفع محمد في أعماله وتصرفاته عن كل ما عيس هذا الاسم الذي أطلق عليه بحكمة وبقي له : « الأمين » .

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أراد له اليتيم صغيراً ، وأن ينشأ في فسحة الصحراء وأن يرعى الغنم ، فإنه سبحانه وتعالى قد وقاه أيضاً شر السوء ، فقد قيل إنه كان يرعى الغنم مع صاحب له ، وحدثته نفسه أن يلهو كما يلهو شباب مكة ، فعهد إلى صاحبه بحراسة غنمه حتى يعود من لهو ، ولكنه ما لبث أن جاء أبواب مكة حتى غلبه النوم فنام ، وأراد أن يعود مرة أخرى إلى ما حدثته نفسه به ، وبينما هو في طريقه إلى مكة امتلأت آذانه بنغم موسيقى ، وكأنه صادر من السماء ، فجلس يستمع حتى غلبه النوم فنام حتى الصباح ، وصالته قدرة الله عن رجس الشيطان .

وكان له من رجاحة العقل وكريم الصفات ما أثر عنه حتى ارتضاه أهل مكة ليحكم بينهم في وضع الحجر الأسود مكانه في بناء الكعبة ، وكانوا قد ارتضوا بعد أن لج بهم الخلاف حتى آذن بالحرب ، أن يحكم بينهم أول من يدخل عليهم من باب الصفا ، وكان محمد أول من دخل ، فلما راوه قالوا : هذا الأمين رضينا بحكمه . فسمع لهم ، وقضى بينهم

بما رضوه جميعاً ، فلما اشتركوا جميعاً في رفع الحجر الأسود ، كان هو الذي أخذ الحجر من الثوب حيث كانوا يمسكون جميعاً بأطرافه ، ووضعه مكانه حيث كان من يوم أن رفع إبراهيم القواعد من البيت . وكأنما أراد الله له أن يقوم بما قام به جده إبراهيم عليه السلام في إقامة البيت ونائه . فقد شارك في البناء ، كما شاركت فيه كل بطون قريش ، وكان هو وحده الذي وضع الحجر الأسود مكانه حيث هو من أول يوم وضع للناس مباركاً وهدي للعالمين .

فلما جاءت الرسالة وأمر بها كان قد اكتمل بدنأً وعقلأً وروحاً وغدت نفسه راضية مؤمنة بما أعده الله له .

وتلك سنة علينا أن نحتذيها في إعداد رجل الإعلام الإسلامي ليكون فينا بالدعوة إلى الإسلام ، ونشر تعاليمه في الخافقين اقتداء بالمبعوث والمعلم الأول .

منهج الإعلام الإسلامي : إعلام الرسول

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتبع في إعلامه بالإسلام ، ما وجهه إليه الله سبحانه وتعالى ، فقد أخذ يدعو الناس سراً إلى الإسلام ، يختار منهم أقرب الناس إليه ، حتى يكونوا له ردفاً وسنداً حين يجهر بدعوته ويعلمها على الملأ ، وكان أهل بيته أول من دعاهم وأول من لبوا دعوته ، فآمنت به زوجته خديجة — كما قلنا — ثم دعا إليه ابن عمه علياً ابن أبي طالب ، وكان يقيم في كنفه وفي رعايته صبياً لم يبلغ الحلم ، واستمهله علي حتى يشاور أباه ، فلما كان صبح اليوم التالي جاءه وأعلن إليه إسلامه من غير حاجة لرأي أبيه . وقال : « لقد خلقني الله من غير أن يشاور أبا طالب ، فما حاجتي أنا إلى مشاورته لأعبد الله » . وكان علي أول من أسلم من الصبيان ، كما أسلم من بعده زيد بن حارثة مولى الرسول . وكان أبو بكر صديقاً قريباً إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان أول من دعاه إلى الإسلام بعد أن حدثه بما رأى وما أوحى إليه . ولم يتردد أبو بكر في تصديقه وإجابته إلى الإسلام ، وكان أول من صدقه وآمن به من الرجال فدعي « الصديق » من يومئذ . وجعل أبو بكر يدعو إلى الإسلام من يتألفه من قومه ، فأسلم على يديه عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، ثم أبو عبيدة ابن الجراح . وأصبح هؤلاء من بعد قتاديل الإسلام وأبطاله الميامين . وكانوا إذا أسلم الواحد منهم ذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأعلن إسلامه إليه وتلقى عنه تعاليم الدين ، وأسلم غيرهم من أهل مكة ، فأصبحوا للإسلام عزوة إن لم يكن لهم من القوة ما يواجهون به قريشاً ، فإنهم قد أصبحوا ردفاً وسنداً للدعوة في أي متددى وفي أي جمع كهذا الجمع القرشي عندما تشيع الدعوة ويعلم بها الناس .

ففي مثل الإعلام بدعوة جديدة ، غالباً ما يتساءل الناس عنها ، ولا بد لصاحب الدعوة من أنصار يؤيدونه ويقفون إلى جانبه ليتحدثوا عنها إلى الناس ويعلموهم بأمرها ، والأرجح أن يستجيب الناس للجماعة أكثر مما

يستجيبون للفرد ، فهذا من طبائع النفوس .

فإذا كانت الدعوة إلى الإسلام قد بقيت سرّاً طوال ثلاث سنوات ، فمن أجل أن تتألف الأنصار الذين يسندونها ويؤيدونها أمام المجموع ، ولكن الدعوة إلى التغيير والإصلاح كما كانت دعوة الإسلام لا يمكن أن تبقى سرّاً ، إذ إنها تخاطب الناس وتقصد الجميع ، ومن أقوى ملامحها الإعلام والعلائية ، والعلائية شرط من شروط الإعلام ، لذلك أمر الله رسوله أن يجهر بدعوته وأن يسفر عنها ، ويخص أول ما يجهر بها عشيرته وذوي قريبه ، وجاءه الوحي :

﴿ وَاذْهَبْ بِعَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ - وَاخْفُضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الشعراء ، الايات ٢١٤-٢١٦) .

وعليه أن يصدع بما أمره الله : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (سورة الحجر ، الآية ٩٤) .

ودعا محمد صلى الله عليه وسلم عشيرته إلى طعام في بيته وحاول أن يجذبهم داعياً إياهم إلى الله ، فقطع عمه أبو لهب حديثه ، واستنفر القوم لينفضوا ، ثم دعاهم في الغداة كره أخرى - فلما طعموا قال لهم : « ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به . قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه . فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر » .

وهزئ به بنو هاشم وقهقه بعضهم ، ثم انصرفوا ساخرين . ثم كانت دعوته إلى الجمع من قريش ، أن قام على الصفا يوماً ينادي : « يامعشر قريش » . وسمعت قريش النداء ، وما من سبيل للإعلام غير ذلك ، فقالت : محمد على الصفا يهتف . وأقبلوا عليه يتساءلون ، وأراد في البدء أن يستهيم إليهم ، وتلك هي الحصافة في رجل الإعلام ، فبراعة الاستهلال خير سبيل للاستهواء ، إذا ما من في أذهان الناس حقيقة يسلمون بها ، أما وقد عرف بينهم بالأمين ، فما من حجة تقوم بعد ذلك على تكذيبه ، فراه يذكرهم بذلك ، قبل أن يبدأ حديثه إليهم بما يريد ، فيقول : « أرايت لو أخبرتكم أن جنداً بسفح هذا الجبل ، أكنتم تصدقون ؟ » قالوا : نعم ، أنت عندنا غير متهم وما جرتنا عليك كذباً قط . قال : « فإني نذير بين يدي عذاب شديد ، يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني زهرة ، يا بني تم ، يا بني مخزوم ، يا بني أسد ، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله » ، أو كما قال . فنهض أبو لهب ، وكان رجلاً بديناً سريع الغضب ، فصاح : تباً لك سائر هذا اليوم ، ألهذا جمعتنا » .

ولم يكن رد أبي لهب في صورته الإعلامية خالياً من الحصافة والمكر ، فهو كاره لمحمد ودعوته ، فلم يتركه يكمل ما جمعهم من أجله ، وأنه ليعرف مكانته بين الناس وأنه الصادق الأمين ، ولا يستبعد أن يستهوي بعضهم إليه ، فأراد أن يهون ما جمعهم من أجله ، وأنه أمر لا يستحق منهم مثل هذا العناء ، وكأن الجمع لا يكون إلا لأمر يهيم الناس في معاشهم وفي مألوف حياتهم ، أما أن يدعواهم لغير ذلك فشيء لا يتصل بحياتهم

القائمة ، ولا لما يرجون من منفعة .

ويقول رواية السيرة إن القول قد ارتج على محمد ، فنظر إلى عمه ، ثم ما لبث أن جاءه الوحي بقوله تعالى : ﴿ تَبَيَّنَ لَكَ أَهْلُ هَبٍ وَتَبَيَّنَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ هَبٍ ﴾ (سورة المسد ، الايات ١-٣) .

فإذا كان الجمع لا يكون إلا لمنفعة أو كسب مال ، فإن الوحي يأتي معلماً بهلاك أبي لهب ، وأن ماله وجاهه لن يغنيا عنه شيئاً ، ومصيره النار وثنس القرار ، وليس بعد كهدي الله هدياً ولا حكمة كحكته جل شأنه ، وأن أبا لهب ليكر ويمكر الله به والله خير الماكرين وما كان الله ليضيع رسوله أو يخذله .

ويقوم الإعلام بالإسلام على خطاطب العقل ، والحجة والعقل في الإعلام خير سند للداعية ، والحقيقة المجردة والتعبير عنها هما خير ما يقوم عليه الإعلام ، أي إعلام ، فحين يذهب القوم يسألون محمداً عليه الصلاة والسلام عن معجزاته التي يثبت بها رسالته ، كما كانت معجزات موسى وعيسى ، وما باله لا يحيل الصفا والمروة ذهباً ، وما بال هذا الكتاب الذي يتحدث عنه لا ينزل عليه مخطوطاً من السماء ، ولا يرون جبريل الذي يطول حديثه عنه ، ولم لا يفجر ينبوعاً أعذب من ماء زمزم ومكة في ميسر الحاجة إليه ، ويطول بهم اللجاج فيسألونه : لم لا يوحى إليه ربه ثمان السلع حتى يضاربوا على المستقبل ، فينزل عليه الوحي يرد على لجاحهم بقوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَيَشِيرُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، الآية ١٨٨) .

وإذا كانوا يطلبون منه المعجزات ، فما بالهم لا يطلبونها من آلهتهم ، ويمتنطق الداعية الإعلامي ، بادأهم بذكر آلهتهم وكان من قبل لا يذكرها ، وجعل يعيها حتى يبرز لهم ما هي عليه من عجز وأنها حجارة لا تضر ولا تنفع .

ولا بد لرجل الإعلام ما يؤمن به سنداً لدعوته ، فإذا خلا الإعلام من الإيمان واليقين غدا باهتاً لا حس فيه ما يصرف الناس عنه ، واليقين الذي يقود إلى الإيمان هو عروة الإسلام الكبرى ، وقد بدا هذا اليقين أول الدعوة الإسلامية ، حين سألت قريش أبا طالب أن يكف عنهم ابن أخيه أو ينزلونه وإياه « حتى يهلك أحد الفريقين » . فما يكون من محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن يقول لعمه :

« يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

هذا هو إيمان المبعوث يغرسه فيمن بعث إليهم ، يصفه صاحب كتاب « حياة محمد » بقوله :

« بالعظمة الحق وجلال الإيمان به اهتز الشيخ لما سمع من جواب محمد ووقف كذلك مبهوراً أمام هذه القوة القدسية ، والإرادة السامية ، فوق الحياة وكل ما في الحياة . وقام محمد وقد خنقته العبرة مما فاجأه به

عمه ، وإن لم تدر بنفسه خلجة ريب في السبيل الذي يسلك . ولم تك إلا لحظة اهتز فيها وجود أبي طالب متحرراً بين غضبة قومه وموقف ابن أخيه حتى نادى محمداً أن أقبل . فلما أقبل قال له : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء تكرهه أبداً .

وأنضى أبو طالب إلى بني هاشم وبني المطلب بما كان وطلب إليهم أن يمنحوا محمداً من قريش ، فاستجابوا له جميعاً إلا أبا لهب فإنه صارحهم بالعداوة وأخذ جانب خصومهم .

وما كان بنو هاشم لينصروا محمداً عن عصبية ، بل كان موقف محمد عليه الصلاة والسلام منهم ، وشدته إيمانه برسالته ودعوته الناس بالحنس إلى عبادة الله الواحد الأحد ، جعلهم يرون له حقاً أن يعالن الناس برأيه كما كان يفعل أمية بن أبي الصلت وورقة بن نوفل وغيرهما ، فإن كان على الحق ، فسيغلب حقه باطلهم ، وإلا انصرف الناس عنه كما انصرفوا من قبل عن غيره ، وليس لهم في الحالين أن يخرجوا على تقاليدهم وأن يسلموه لخصومه كي يقتلوه . وكان من ثبات الرسول ، وإيمان من أقبلوا على الإسلام واعتنقوه وثباتهم عليه ، حتى هان عليهم كل عذاب وأذى يلحقهم من قريش ، أن ازداد بنو هاشم وبني المطلب منعاً له ودفعاً للأذى عنه ، حتى إن حمزة عمه وأخاه في الرضاع ، وكان لا يزال على دين قريش ، لما سمع أن أبا جهل قد أذى ابن أخيه وشتمه ونال من دعوته وعابها ، وكان قد عاد من الصيد لتوه وكان به ولوعاً ، وهو فارس مرهوب الجانب قوي البأس ، وعرف أن ابن أخيه لم يرد أذى أبي جهل ، ملأه الغضب وذهب إلى الكعبة ، ولم يقف مسلماً على أحد كعادته ، وقصد أبا جهل حتى إذا بلغه رفع القوس فضربه بها فشججه شجة منكورة ثم أعلن إسلامه ، وعاهد ابن أخيه على نصرته والوقوف إلى جانب الإسلام والمسلمين حتى النهاية .

ويقوم الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته ، يعلم بها غير آبه بإساءات القوم فإذا تحرش به سفهاؤهم ونالوه بسوء فإن مسأمتهم لا تغير من نفسه عليهم مؤمناً بنصر الله ، واثقاً من غلبة الحق على الباطل ، وقد أمره الله أن يجادل الناس بالتي هي أحسن ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وأن يقول لهم قولاً ليناً لعلهم يذكرون أو يحشون وأن يصبر على أذاهم فإن الله مع الصابرين .

ولا يقف الرسول بدعوته على قريش وحدها ، فقد جاء الإسلام للناس كافة ، ويوم تكون له عصابة ممن بعث فيهم فإنهم سيحملونها إلى الناس جميعاً داعين لها من بعد كما يدعو الرسول بينهم ملتزمين بنهج الله وسنة رسوله في دعوتهم . فلما كان موسم الحج لقي جماعة من الخزرج ، وعرف أنهم من موالي يهود يثرب ، وكان اليهود يقولون لهم إذا اختلفوا وإياهم : « إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظلم مكانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وأرم » . فلما كلم النبي أولئك النفر من الخزرج ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : « والله إنه للنبي الذي تواعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه » وأجابوه إلى دعوته وأسلموا ، وقالوا له : « إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك وأن يجمعهم عليك فلا رجل أعز

منك » وكان من هؤلاء النفر اثنان من بني النجار أخوال عبيد المطلب جد محمد الذي كفله منذ مولده ، فلما عادوا إلى قومهم وذكروا لهم إسلامهم ، ألفوا منهم فرحاً وغبطة بدين يجمع بينهم ، ولم تبق دار من دور الخزرج والأوس إلا وفيها ذكر محمد عليه الصلاة والسلام .

وكان هذا اللقاء مقدمة لبيعة العقبة الأولى فالثانية ، ثم الهجرة إلى يثرب وقد أصبحت مدينة الرسول ومقر جماعة المسلمين الأول ومركزهم للدعوة التي عمت الدنيا من بعد .

وما زالت الدعوة إلى الإسلام قائمة ، وستبقى قائمة حتى يعم دين الله الأرض ومن عليها ، ومع تعدد وسائل الإعلام وتباينها وتطورها على مر العصور والأزمان بقيت الدعوة إلى الإسلام ، وبقي نهج الإعلام بها على ما نزل به الوحي من عند الله وعلى سنة رسوله ، ومن سار على هديه من الصحابة والتابعين أصالة وتعبيراً وغاية ومرمى ، وإن حملها العلم والاختراع إلى آفاق أوسع للتعبير عن حقيقة الإسلام وأركانه وجوهر الدعوة الإسلامية ومبناها ، حين سخر للإنسان من وسائل الإعلام الحديثة ما تتعدى به الدعوة أبعاد المكان إلى عوالم تبعد عن الرؤيا المباشرة حيث تنقل الأثار الصناعية الحديثة والصورة إلى أجهزة الاستقبال في كافة أرجاء الأرض حيث تبثها كلمة وصورة إلى الناس جميعاً فلا يبقى منهم إلا وقد سمع من دعوة الإسلام وشريعته وتعاليمه ما يأخذ بيد الإنسانية إلى الخير من أمرها .

وحتى نتبين حاضرتنا من ماضينا ، علينا أن نعرف كيف اختط الرسول صلى الله عليه وسلم الطريق إلى عالمية الدعوة وكيف حملها الدعاة فرقاً وأحاداً إلى العالم أوسع ، وكيف انتشر الإسلام في الدنيا جميعاً وكيف حال أمر الدعوة حتى وقف الإسلام عند حدوده الأولى لا يتجاوزها ، وكيف تحمل رسالته من جديد لنهدي إلى الدنيا خير ما جاء من عند الله مستعينين بفن الإعلام الحديث لتعريف الناس بالإسلام على حقيقته بعيداً عن زيف المبشرين وأباطيل المتعصبين من المستشرقين وعداوات الفرق الضالة .

المصادر

- ١ - حياة محمد : د . محمد حسين هيكل .
- ٢ - في منزل الوحي : د . محمد حسين هيكل .
- ٣ - الإسلام والسياسة : د . حسين فوزي النجار .
- ٤ - الإسلام وروح العصر : د . حسين فوزي النجار .
- ٥ - الإعلام له تاريخه ومذاهبه : د . عبد اللطيف حمزة .
- ٦ - الدعوة إلى الإسلام : الشيخ محمد أبو زهرة .
- ٧ - انتشار الإسلام في القارة الإفريقية : د . حسن إبراهيم حسن .
- ٨ - التصوير الفني في القرآن : سيد قطب .
- ٩ - Ameer Ali, Sayed: The Spirit of Islam
- ١٠ - Ikbal, Mohammed: Reconstruction of Islam
- ١١ - Arnold, Sir Thomas: The Preaching of Islam

مصطلحات صوتية ذات تاريخ

بمقام : د. د. كمال يشور

كان للبحث الصوتي عند الخليل بن أحمد حظ واف ونصيب راجح . يظهر هذا الحظ ويتضح ذاك النصيب من تلك المقدمة الرائعة التي مهد بها لكتابه الموسوم بكتاب « العين » . فهناك — في تلك المقدمة — يسجل الخليل جملة من المبادئ العامة لعلم أصوات العربية ، ويضع القوانين الأساسية التي بنى عليها الدارسون من بعده كل تفريعاتهم وتفصيلاتهم في هذا المجال .

المذهب الأول

يرى فريق منهم أن « الذلاقة » ذات مفهوم بلاغي يتعلق بسهولة النطق وذرب اللسان وحدته . ولكنها عند هذا الفريق تتوزع على منطقتين من مناطق النطق : ثلاثة « ذلوقية » أو « ذلقية » — نسبة إلى ذلق اللسان أي طرفه — وهي الراء واللام والنون ، وثلاثة شفوية وهي الباء والميم والفاء .

وفهم هذا الكلام من رواية الأزهري في « التهذيب » عن الخليل حيث يقول : « قال (يعني الخليل) : والحروف الصالح على نحوين : منها مدلق ومنها مصمت . فأما المدلقة فإِنَّها ستة أحرف في حيزين : أحدهما حيز الفاء ، فيه ثلاثة أحرف كما ترى : ف ب م ، مخارجها من مدرجة واحدة لصوت بين الشفتين لا عمل للسان في شيء منها . والحيز

ومن جملة ما أتى به الرجل في هذا العمل الصوتي مجموعة من المصطلحات التي وجدت لنفسها مساراً عريضاً عميقاً في آثار الباحثين من لغويين وبلاغيين وغيرهم . وهذه المصطلحات كثيرة متنوعة ، وسوف نكتفي اليوم بتناول واحد منها ، لما له من تاريخ مشهود ودلالة خاصة على عمق التفكير اللغوي عند العرب .

هذا المصطلح هو مصطلح « الذلاقة » أطلقه الخليل على مجموعة من الأصوات هي : الباء والميم والفاء ، واللام والراء والنون . وقد عبّر عنها بعضهم بقوله « مر بثقل » أو « فر من لب » وما أن ظهر هذا المصطلح في كتاب « العين » حتى تلقفه علماء العربية وغيرهم ممن عتوا بفن القراءة والإقراء ، وأخذوا في تفسيره ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، أظهرها اثنان .

الأخر حيز اللام ، فيه ثلاثة أحرف ، كما ترى ، ل ر ن ، مخارجها من مدرجة واحدة بين أسلة اللسان ومقدم الفك الأعلى . فهاتان المدرجتان هما موضع الذلاقة ، وحروفها أخف الحروف في النطق وأكثرها في الكلام وأحسنها في البناء .

المذهب الثاني

يرى فريق آخر أن مصطلح الذلاقة يعني صفة مخرجية ، فيطلقه على هذه الأصوات الستة ، ولكن بالنسبة إلى مخارجها ، ويقطع النظر عما يرتبط بها من خفة وسهولة في النطق . يقول ابن سنان الخفاجي : « ومن الحروف » حروف الذلاقة « . ومعنى الذلاقة أن يعتمد عليها بذلق اللسان وهو طرفه . وذلق كل شيء حده . وهي ستة أحرف : السلام والراء والنون والفاء والباء والميم .

وهذا الاتجاه نفسه أخذ به ابن جني وغيره من الدارسين على أساس أن هذه الحروف يعتمد عليها « بذلق اللسان وهو صدره وطرفه » . وهناك من الدارسين من ينجح هذا الفريق الثاني في نسبة هذه الأصوات جميعها إلى ذلق اللسان أو طرفه ، ولكنهم في الوقت نفسه يخلعون عليها صفة الخفة والحسن في الأداء . يقول صاحب الجمهرة : « وسمعت الأشناندي يقول : سمعت الأخفش يقول : سميت هذه الحروف مذلفة لأن عملها في طرف اللسان وطرف كل شيء ذلقه . وهي أخف الحروف وأحسنها امتزاجاً بغيرها .

ومهما يكن من أمر ، فإن القضية الأساسية التي نود إبرازها في هذا المجال ليست قضية اختلافهم في مفهوم مصطلح الذلاقة ، أو في تحديد مواضع النطق لهذه الأصوات الستة ، وإنما هي قضية إدراكهم العميق لقيم هذه الأصوات ودلالاتها على خواص اللغة العربية وتركيبها الصوتي . يظهر هذا الإدراك لقيم هذه الأصوات في نقطتين اثنتين مهمتين : أما أولاهما فتتمثل فيما عمد إليه الخليل من اتخاذ هذه الحروف الستة معياراً صوتياً للتعرف على أصالة أبنية معينة من الكلمات أو توليدها وابتداعها ، أو للحكم على « عرويتها » أو « عدم عرويتها » .

يقرر الخليل أن حروف الذلاقة — لما خفت في النطق وسهل على اللسان مذاقها — كثرت في أبنية كلام العرب . ودليل ذلك أنك لا تجد الكلمة العربية الأصيلة من أبنية الخفاسي والرباعي خالية من واحد من هذه الحروف أو أكثر . « فإن جاءت كلمة معرأة منها فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ، ليست من كلام العرب ، لأنك لست واجداً من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر » .

حكم الخليل

هذا الحكم الذي قرره الخليل بالنسبة لعروبة هذه الأبنية أو عدم عرويتها ينسحب على البناء الخفاسي مطلقاً دون استثناء . وأما البناء

الرباعي فقد أشار الشيخ إلى جواز وقوع كلمات منه خالية من هذه الحروف ، ولكنها كلمات نادرة ، ولها في الوقت نفسه سمات معينة ، بحيث تقع في واحدة من الإمكانيات التالية :

١ — يخلو البناء الرباعي من حروف الذلاقة ، لكن مع وجوب احتوائه على صوتي العين أو القاف ، وذلك — كما قرر هو — لما يتسمان به من طلاقة ووضوح جرس ، كما في « العسجد والقداحس » .

٢ — إذا كان البناء الرباعي اسماً فن الجائز خلوه من حروف الذلاقة ، ولكن مع اشتغاله على السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف . وسوغ هذا في نظره أن « الدال لانت عن صلابه الطاء وكرازتها وارتفعت عن خفوت الباء فحسنت . وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي فعذبت » .

٣ — إذا كان بناء الرباعي مؤلفاً لحكاية الأصوات جاز خلوه من أحرف الذلاقة ، ولكن مع لزومه الهاء فاصلة بين حروفه المتشابهة مع لزوم العين أو القاف ، كما في « دهذاق » .

٤ — أما بناء الرباعي المضاعف فقد توسعوا فيه قليلاً ، إذ يجوز خلوه من حروف الذلاقة وبخاصة إذا كان « حكاية مؤلفة » لتقليد الأصوات أو الأحداث المعبر عنها بهذا البناء ، كما في « الضكضاكة » (من النساء) ، وذلك لأن الحكاية المضاعفة يجوز فيها « ما لا يجوز في غيرها من تأليف الحروف » . أو بعبارة أخرى ، لأن المضاعف (للكحاية) « يجوز فيه كل غث وسمين من المفصول الأعجاز والصدور وغير ذلك » .

هذه المعايير الصوتية الرائعة فتحت مجالاً واسعاً أمام الدارسين ، ومكنتهم من التعرف العلمي على الكلمات الأجنبية عن طريق النظر في خواصها الصوتية . وما كان ذلك ليقع لهم إلا بفضل الخليل الذي أدرك بثقاب نظره قيمة هذه الأصوات الستة التي شغلته وشغلت الباحثين من بعده .

وقد انتقل هذا المبدأ المهم إلى أعمال من خلفوه الذين تؤكد لهم صدق ما قرره الشيخ الأول . من هؤلاء ابن جني الذي صرح بما صرح به الخليل ، وإن كان ذلك في عبارة أوضح وأسهل مثلاً . يقول ابن جني في كتابه « سر صناعة الإعراب » : « وفي هذه الحروف الستة (حروف الذلاقة) سر طريف يتتبع به في اللغة . وذلك أنك متى رأيت اسماً رباعياً أو خماسياً غير ذي زوائد ، فلا بد فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين وربما كان فيه ثلاثة » .

ثم ينتقل إلى بقية القصة مقرأً أنك إذا « وجدت كلمة رباعية أو خماسية معرأة من بعض هذه الأحرف الستة فاقض بأنه دخيل في كلام العرب وليس منه . وربما جاء بعض ذوات الأربعة معرى من بعض هذه الستة ، وهو قليل جداً ، منه « العسجد والعسوطوس » ، والذهقة والزهرقة » ، على أن العين والقاف قد حسنتا الحال لصناعة العين ولذاذة مستمعها وقوة القاف وصحة جرسها ولا سيما وهناك الدال والسين . وذلك أن الدال لانت عن صلابه الطاء وارتفعت عن خفوت التاء . والسين أيضاً لانت عن استعلاء الصاد ورققت عن جهر الزاي فعذبت وانسلت » .

ولا يفرد ابن جني بهذا التأثير وذلك النقل عن الخليل ، فإنك لو تتبع آثار الدارسين على اختلاف مناحيهم لوجدت هذه الفكرة وما ارتبط بها من قضايا مبنوثة هنا وهناك في أعمالهم على فترات الزمن المختلفة . وإنما كان اقتصارنا هنا على أبي الفتح لتأكيد فكرة التأثير هذه بذكر واحد من أشهر خاصتهم الذي يرجى معهم أن يكونوا دائماً مبتكرين لا مقلدين أو مرددين لأقوال غيرهم ، كما هو الحال عادة عند عامة الباحثين منهم .

وتظهر النقطة الثانية التي تشير إلى معرفتهم العميقة بأسرار الأصوات وخواص لغتهم في تلك الحقيقة الناصعة التي تقرر أن هذه الأصوات الستة هي أكثر الأصوات العربية وروداً في أبنية الكلمة ، وبخاصة الأبنية ذات الأصل الثلاثي .

يؤكد هذه الحقيقة ما قام به علم اللغة الإحصائي في السنوات الأخيرة . لقد جاء في بحث إحصائي قم أجراه الدكتور علي حلمي موسى على « الجذور الثلاثية » للكلمات العربية ، كما وردت في معجم « الصحاح » ، أن أكثر الأصوات العربية وروداً في هذه الجذور هي الأصوات التالية على الترتيب :

« الراء — الميم — النون — اللام — الباء — العين — الفاء » ثم الدال — القاف — السين ^(١) .

السبق والتفوق

وهكذا نرى أن أصوات الدلالة قد فازت بالمرتبة الأولى من حيث نسبة ورودها وكثرتها في الاستعمال وفي بناء الأصول الثلاثية . وهناك سر لطيف ربما ينتفع به في تفسير هذه الظاهرة . ذلك أن أصوات اللام والميم والنون والراء (لم نر) تتميز من بقية الأصوات الصامتة أو الساكنة (Consonants) بخاصة صوتية تقربها من الحركات وترشحها لهذه المرتبة : رتبة السبق والتفوق من حيث كثرة دورانها على اللسان وخفتها في النطق . ونعني بهذه الخاصة « قوة الوضوح السمعي » (Sonority) ، أي تأثيرها على السمع بصورة أقوى وأوضح من أخواتها الصوامت . فاللام والميم والنون تشبه الحركات في أن الهواء حال النطق بها يخرج حرراً طليقاً ليس في طريقه عائق أو مانع ، غاية الأمر أن هواء اللام يخرج من جانبي الفم (أو من الشدقين ، كما قرر ابن جني) وهواء الميم والنون يخرج من الأنف ، في حين أن هواء الحركات جميعاً يخرج من وسط الفم . وهذا هو أساس الفرق بين الحركات وهذه الأصوات الثلاثة . أما الراء فتظهر قوة وضوحها السمعي وشبهها بالحركات في أنه عند النطق بها يتحقق نوع من حرية الهواء ، بسبب تكرار عملية الاتصال والانفصال بين جزء اللسان وجزء الحنك الأعلى عند إصدارها ، الأمر الذي سوغ تسميتها بالصوت « المكرر » أو صوت « التكرار » ، كما قرر علماء العربية . أضف إلى هذا أن هذه الأصوات الأربعة أصوات مجهورة ، شأنها في ذلك شأن الحركات تماماً .

لهذا الشبه الواضح أطلقنا نحن على هذه الأصوات الأربعة المصطلح « أشباه الحركات » . ويبدو أن علماء العربية قد أدركوا هذه الخاصية

الصوتية المميزة فسموها « بالأصوات المتوسطة » ، وضموا إليها صوت العين وجمعوها جميعاً في قولهم « لم نر » ، على أساس أنها تكون مجموعة ذات سمات ترشحها لتصنيفها فصيلة من الأصوات تفتقر في بعض وجوهها عن الأصوات « الشديدة » (الانفجارية) و « الرخوة » (الاحتكاكية) أو لأنها تقع في الموقع الوسط بين الأصوات الصامتة جميعاً والحركات .

وضم العين إلى هذه الأصوات الشبيهة بالحركات أو المتوسطة له ما يسوغه . ذلك أن العين — كما قرر العلم الحديث — أضعف الأصوات الاحتكاكية احتكاكاً ، وذلك يعني اتساع مجرى الهواء نسبياً عند نطقها ، الأمر الذي يسمح بشيء من حرية مرور الهواء ، وذلك وضع يقربها من الحركات بصورة أو بأخرى . وقد لحظ الخليل (وغيره) شيئاً مما نقول في هذا الشأن حيث قرر أن بالعين « طلاقة ووضوح جرس » ، ومن ثم وجب أن تشتمل عليها الأبنية الرباعية من الكلم التي تخلو من حروف الدلالة .

أما الباء والفاء وهما الصوتان الباقيان من أصوات الدلالة فربما سوغ كثرة ورودهما وكثرة استعمالهما النسبي في الكلام العربي سهولة نطقها وخفة تناولها لخروجها من أدنى مخارج النطق ، تلك المخارج التي تتمثل في الشفتين في حال الباء والأسنان العليا والشفة السفلى في حال الفاء . وهي مخارج — كما ترى — لا تحتاج إلى عناء أو مجهود يذكر عند استخدامها في عملية النطق ، ولأمر ما كانت الكلمتان « بابا وماما » أولى الكلمات أو من أولى الكلمات التي يبدأ الطفل بها حياته اللغوية ، وذلك أمر معروف مشهور .

ووقع الدال والقاف والسين في المرتبة الثانية من حيث كثرة الورد والاستعمال له ما يفسره ويوضح أسرارها . لقد تكفل علماء العربية أنفسهم بهذا التفسير وذلك التوضيح ، حيث قرروا أن هذه الحروف هي الأخرى لها خواص صوتية تؤهلها لأن تقع هذا الموقع التالي لحروف الدلالة والسابق لبقية الأصوات . فهذه الحروف الثلاثة تنتظم صفات تقربها من صفات حروف الدلالة وتجعلها شبيهة بها . ففي القاف قوة وصحة جرس ، كما قال ابن جني . وفي الدال عذوبة ولين فضاقت أختيها التاء والطاء . أما السين فقد « لانت عن استعلاء الصاد ورتت عن جهر الزاي فعذبت » ، وخف نطقها لهذه الصفات . ومن ثم كانت القاف والدال والسين أصواتاً صالحة لأن تحل محل أصوات الدلالة في الكلمات الخالية منها ، كما قرر علماء العربية أنفسهم .

فلهذا در هؤلاء القوم الذين استطاعوا بحسبهم المراهف أن يقفوا على ما وصل إليه العلم الحديث ، ممثلاً في تلك النتائج التي وضعها بين أيدينا ذلك الجهاز العلمي الخطير المعروف بالكمبيوتر أو « الحاسبة الآلي » ، كما يسميه بعض الدارسين .

الهوامش

(١) انظر : دراسة إحصائية لجذور مفردات اللغة العربية (الجذور الثلاثية) للدكتور علي حلمي موسى (الجندول رقم ٧ ، ص ٣٥) مطبوعات جامعة الكويت ، رقم ٧ ، سنة ١٩٧١ م .

المنطق الرياضي

قبل أن أبدأ بالحديث عن دور العرب في المنطق الرياضي ، علي أن أقدم للقارئ العربي لمحة عن معنى هذا العلم ، وأقدمه بأسلوب يستسيغه الباحث غير المختص . المنطق الرياضي هو علم مهضوم حقه في التأليفات العربية بشكل مخجل ، بل كل ما قيل عنه لا يتجاوز الفصول أو السطور القليلة في كتب تعد على أصابع اليد الواحدة . بالرغم من أن هذا العلم قد تغلغل عميقاً ليس في قلب الرياضيات فحسب ليقبلها ويدها ، وإنما أخذ يمد جذوره إلى علوم كثيرة ليجدها من أسسها أو يضفي عليها طابع المثانة والبرهان الرياضي .

رأي الباحثين ، وما كان عثوري على جذور عربية له إلا من باب المصادفة .

فالعلماء العرب عرفوا باهتمامهم الشديد وولعهم بعلم المنطق التي أخذوها عن اليونان ، كما أنهم أخذوا عنهم أساس الرياضيات ، وامتاز تفكيرهم بالمقارنة والتجريد وهما العنصران الأساسيان في عملية مزج المنطق بالرياضيات واستخراج المنطق الرياضي منها ، فلم لا يكون العرب قد فكروا واهتدوا إلى هذا العلم ؟

طرحنا هذا السؤال على نفسي وأنا أبحث في المؤلفات الفلسفية عند قادة مفكري العرب ، فبحثت في مؤلفات الكندي لما عهدته عند هذا العالم العربي من سيرة منهجية وولع كبير بالعلوم الرياضية ، واهتمام بتطبيقها في علوم لم تطرقها من قبل ، وإقدامه على ذلك بكل جرأة وإبداع . فهو الذي طبقها في علم الموسيقى ووضع أسس رياضية لعلم الموسيقى والتأليف الموسيقي .

كما أنه طبقها في الدراسات الفلكية كما فعل في رسالته عن برهان كروية الأرض . . لا بل وطبقها في علم العقاقير . واقتادني البحث إلى دراسة رسائله في الممتناهي واللامتناهي ، وهناك ثلاث رسائل يعالج فيها هذا الموضوع عدا رسالته الطويلة في الفلسفة الأولى .

إن الكندي وصل بفكره الثاقب ومحاولاته المتكررة في رسائله المذكورة إلى وضع أساس لحساب جديد أشبه بحساب الأعداد الترتيبية ordinal arithmetic الذي تركز عليه نظرية المجموعات في المنطق ، الذي وضعت أسسه بشكلها الحديث على يد بعض علماء القرن التاسع عشر كالعالمين الألمانين كانتور وفريجة . ولا يعتبر عمل الكندي مساهمة

قد يظن القارئ لأول وهلة أن المنطق الرياضي هو باب من أبواب الفلسفة ، أو على الأقل فلسفة الرياضيات ، أو لون من ألوان المنطق الكلاسيكي استعملت فيه الرموز الرياضية . لكن القارئ يستبعد جداً كون هذا العلم نموذجاً من نماذج الرياضة الحديثة ومدخلاً جديداً إليها ، كان له شأن كبير في حل الكثير من معاضلها وفك عقدها ، فلقد استعمل بنجاح في حل مسائل مستعصية في نظرية الأعداد والجبر الحديث .

وبما أن محاولات تقديمها على مستوى يستوجب القارئ العادي تكاد تكون شبه مستحيلة ، سأقصر بحثي هذا على مواضيع يمكن تبسيطها ويسهل استيعابها . لكنني أريد أن أحذر من أن هذه المواضيع لا تأتي على كل أبواب هذا العلم ، لذلك فإنني أجد نفسي محدوداً بالصعوبات الآتية الذكر .

تعريف المنطق الرياضي

ولو حاولنا تعريف المنطق الرياضي في عبارة قصيرة لقلنا : إنه نتيجة تطور فكري حل بالمنهج الرياضي ، فاستبدل اعتماد الرياضيات على البديهيات الحسية كالأعداد الطبيعي والفراغ الإقليدي بالاعتماد على مبادئ منطقية . ولقد أوردت هذا التعريف لكونه أساسياً وتاريخياً وإن لم يكن ليحيط بجميع ما دخل تحت لواء هذا العلم . كما أنني سأستغل هذا التعريف لعرض بعض ما قدمه العرب في ذلك المجال .

إن القارئ الملم بتاريخ المنطق قديماً وحديثاً ليستغرب من موضوع هذا البحث لانعدام أي نسبة إلى دور لعبة العرب في ذلك العلم الحديث على

عند العرب

بقلم : د. إبراهيم كرو



★ د. إبراهيم مذكور ★

كبرى في وضع أسس رياضية لذلك الحساب فحسب بل يتعداه إلى تقديم دراسة فلسفية مستفيضة في أسس نظرية المجموعات وهذه الدراسة موجودة بالأصل في رسالته في الفلسفة الأولى .

والغريب في الأمر أن المناسبة العلمية التي اقتادت الكندي إلى ذلك الاكتشاف هي نفس المناسبة التي اقتادت بعض مؤسسي المنطق الحديث في الغرب كالراهب الهولندي بروور والقديس اوكستين من قبله . لقد اعتقد الكندي بتناهي الجسم والحركة والزمان فأقر بمحدوثها جميعاً عن ليس (لا شيء) بفضل محدث واحد هو الله . وهذا هو الإبداع عند الكندي ، وهكذا خالف الكندي معلمه أرسطو في مسألة حدوث العالم كما تبعه فلاسفة ومتكلمي الإسلام من بعده ، وأجاز اللانهاية بالقوة والإمكان دون الفعل حتى لا تتعارض مع قدرة الخالق وصفاته ، واستعان بالعلم الرياضي على إثبات وتقديم البراهين سنداً لإيمانه .

ولقد عرضت استنتاجاتي هذه لأول مرة على الباحثين في تاريخ العلوم في الندوة العالمية الأولى التي عقدت في حلب عام ١٩٧٦ م ، كما تليت ذلك بنشرها في مجلات عالمية وعرضها على الباحثين المختصين في عدة دول . وكان همي في ذلك هو طرح هذا الموضوع الهام على طاولة البحث العالمي .

أسلوب الكندي

ويمكن تلخيص أسلوب الكندي الجديد في الحساب بأنه أجاز القيام بعمليات الجمع والطرح على الأعداد أو الأعضام اللامتناهية بأسلوب مقبول علمياً . . إن التعامل والحساب باللانهايات ظل طويلاً موضع ضعف وحذر عند الرياضيين حتى القرن السابع عشر حين استعمل العالم الرياضي جان واليس لأول مرة إشارة اللانهاية . لكنه لم يم إلا في القرن التاسع عشر حين تمكن الرياضيون من الحساب باللانهايات .

صحيح أن الكندي قد تأثر بالعلماء اليونان كإقليدس حين استعمل طريقة المسلمات كما فعل إقليدس في كتاب الأصول ، لكن



★ ابن الهيثم ★



★ الفارابي ★

بحته يختلف جذرياً عن هذا العمل . فإقليدس وضع مسلماته لدراسة حساب النسب العددية مستعملاً مفهومي النقطة والخط الهندسيين . بينما بحث الكندي في العلاقة بين المتناهي واللامتناهي مستعملاً طرق هندسية منطقية أوسع مما عند إقليدس . لأنه استعمل مفهوم الأجسام المتجانسة مستخدماً علاقات التساوي والكبر والصغر . أي أنه قدم حساباً ترتيبياً لا عددياً لوصف علاقات هذه الأجسام . صحيح أنه استعمل بعض المفاهيم الأساسية في التناهي واللامتناهي كما وردت عند أرسطو في كتابه الطبيعة - الكتاب الثالث الباب الخامس أو كتاب ما بعد الطبيعة - الكتاب الثالث الباب العاشر .

لكن ذلك لم يكن عنده إلا منطلقاً إلى استنتاجات ونتائج خالف فيها أرسطو الذي لم يقرن بحته في هذه المواضيع بأي حجج رياضية أو هندسية كما فعل الكندي . وبالإمكان القول إن مفهوم اللانهاية عند الكندي أسلم رياضياً وأدق مما هو عليه عند أرسطو .

ومن الكندي نتقل إلى رسائل إخوان الصفا ، الذين عالجوا مواضيعاً هي من اختصاص المنطق الرياضي وأسس الرياضيات ، ففي رسائلهم الأولى في علم العدد يرون أن علم العدد هو جذر العلوم وعنصر الحكمة ومبدأ المعارف واسطقس المعاني - ويدخلون في شروح متأثرة بالبيثاغوريين بعد ذلك يبدؤون بدراسة علم العدد دراسة لغوية



★ ابن سينا ★

القرن الثامن عشر فيما بعد . وقد لاحظ العالم الروسي الكبير يوشكيفش في كتابه الشهير عن الرياضيات عند العرب أن ابن الهيثم حيناً برهن مسلمة إقليدس الخامسة وطلب سحبها من قائمة المسلمات اقترح الفرضية القائلة إن الخط الذي يقطع أحد ضلوع المثلث ولا يمر بالرؤوس يقطع لا محالة ضلعاً آخر ، ولقد استخدم هذه الفرضية العالم الرياضي موريز باش عام ١٨٨٢ م كنظرية هامة في الهندسة حيناً وضع أسساً رياضية جديدة تعتمد على المنطق وليس على الإحساس البدهي وكان ذلك تمهيداً لدراسة الهندسة اللاإقليدية تحت لواء المنطق الرياضي .

فالمنطق الرياضي يسمح بدراسة هندسات منقضة للتجربة بل ومتناقضة مع بعضها لخدمة غايات معينة ألا وهي دراسة مقارنة للمسلمات المذكورة وبحث خواص كل منها على حدة .

وأحب أن ألفت النظر أخيراً إلى مكانين ذكر فيها أثر للمنطق الرياضي عند العلماء العرب : المكان الأول هو إشارة عند العالم سركين في مؤلفه الشهير تاريخ المخطوطات العربية - ناسباً مبادئ المنطق الرياضي إلى الفارابي ولقد عجزت عن العثور على هذا الأثر . والمكان الثاني هو تنويه الدكتور إبراهيم مذكور في مقدمته لكتاب الشفا (المنطق) لابن سينا - أن الجبر الفلسفي - كما سماه المؤلف - الذي استعمله ابن سينا في رسالته النيرونية سبق به جبر المنطق عند راسل وكوتوراه وتبين لي بعد مراجعة المقالة الآنفة الذكر عدم صحة ذلك الزعم . لكننا نستطيع أن نقول إن ما فعله ابن سينا إنما هو أشبه بالرياضيات اللغوية mathematical linguistics منه بالمنطق الرياضي .

ولا أحب أن أترك القارئ فريسة لظن خاطئ عن كمال معلوماتنا عن دور العرب بالتفكير في أسس الرياضيات والمنطق الرياضي بمعناها الحديث بل العكس هو الصحيح . وأهيب بالعلماء والمستشرقين بالجد والبحث في هذه الطريق التي لا تزال في أولها . وليكن حافزنا وداعينا أهمية هذه العلوم المتزايدة على النطاق العالمي وفي المؤتمرات الدولية .

فيقولون : « الألفاظ تدل على المعاني والمعاني هي المسميات والألفاظ هي الأسماء ... » وهذا يشير إلى الدراسة اللغوية لعلم الحساب كما يفعله علم المنطق الرياضي الحديث . ثم يساهمون في وضع أسس الرياضيات عندما يعللون بناء الأعداد الصحيحة والكسور بناءً فلسفياً ، وفي آخر الرسالة نجدهم يقترحون تطبيق علم العدد في علوم مختلفة كالرسم والتأليف والطبخ والكيمياء والعقاقير .

وبعد الرسالة الأولى في علم العدد تأتي الرسالة الثانية في الهندسة التي يبدأ إخوان الصفا بوضع أسسها ودراسة فلسفتها فهم يقسمون الهندسة إلى حسية وعقلية ويقولون في ذلك بأن النظر في الهندسة الحسية يؤدي إلى الخلق في الصنائع العملية كلها . والنظر في الهندسة العقلية يؤدي إلى الخلق في الصنائع العلمية لأن هذا العلم هو أحد الأبواب التي تؤدي إلى معرفة جوهر النفس التي هي جذر العلوم وعنصر الحكمة ... الخ . ثم يأتون على بيان عناصر الهندسة الحسية والعقلية ، فيشرحون الفرق بين الخطوط والسطوح الحسية والعقلية ليتوصلوا إلى فلسفة الرياضيات وحقيقتها الانتولوجية . فوجود الهندسة عندهم هو وجود في جوهر الجسم أو جوهر النفس وهي لها كاهيولي وهي فيها كالصورة التي انتزعتها القوة المفكرة من المحسوسات .

وغرض العلوم الرياضية عندهم هو أن تتراض أنفس المتعلمين بأن يأخذوا صور المحسوسات عن طريق القوى الحساسة وتصورها في ذاتها بالقوة المفكرة .

ابن الهيثم والهندسة

ومن الحديث عن الهندسة عند إخوان الصفا تنتقل إلى الحديث عن الهندسة عند ابن الهيثم . إن دراسة ونقد ابن الهيثم لعناصر إقليدس في رسالتين خصصهما لهذا الغرض قادت إلى تعريف جديد لمفهوم المتوازيات أدى إلى الوصول إلى المسلمة الخامسة وبرهانها أو كان لعمله ذلك تأثير كبير في الهندسة الحديثة لأنه مهد الطريق الذي سلكه رياضيو

الشعر

بين

الصنعة والفن

بقلم : د . نبيل راغب

الصحيح ، بل إننا نستطيع القول بأنه من النادر وجود القصيدة الكاملة التي لا يستطيع أي ناقد في أي زمان أن يجد فيها ثغرة في التكنيك .

وقد يحدث العكس في الشعر عندما تكتشف أن أعظم منهج حرفي مكتمل سوف يعجز عن إنتاج أعظم القصائد إذا كانت الطاقة الشعرية عند الشاعر ما زالت ضعيفة ومتهافة ، ولكن نعود إلى القول بأنه لن يمد ابداع أية قصيدة دون اعتماد على قدر معين من المهارة والصنعة . وهذا القدر المعين يختلف طبقاً لطبيعة مضمون كل قصيدة وطبقاً لتنوع الأجزاء التي تتألف منها هذه القصيدة ، ولذلك كلما تمكن الشاعر من الصنعة كان هذا سبباً في جودة توصيل القصيدة إلى القارئ ، وما نسميه بالموهبة الشعرية لا يعني مجرد الإلهام الهابط على الشاعر في حالة من حالات

عندما نتمتع في فكرة الصنعة الشعرية بأسلوب تحليلي وموضوعي ، سنكتشف أن الشعر في حقيقته لا يكون نوعاً من الصنعة ، لأن هذا يعني أن الشاعر يجب أن يحصل على نوع من التخصص الحرفي الذي ينشد نفس المهارة التي يمتاز بها الصانع الذي يدرك كل أبعاد صنعته عن طريق خبرته الشخصية ، وكنتيجة لمشاركته في تجارب الآخرين الذين تتلمذ على أيديهم . ولكن المهارة الحرفية التي يحققها لا يمكن أن تجعل منه فناناً ، لأن الحرفي يصنع بينما الفنان يولد ، والدليل على ذلك أن بعض القصائد الرائعة والجيدة قد كتبت وما زالت تعتورها بعض العيوب في التكنيك . ومع ذلك ظلت من القسم الشاهقة التي يجب على كل شاعر مبتدئ أن يتذوقها ويفهمها حتى يشق لنفسه الطريق

النشوة اللاوعية ، ولأن الموهبة الشعرية تحتاج إلى قدر من الصنعة حتى تبرز في أحسن وأجل صورها .

الصنعة الشعرية

وإن كان هناك ما يسمى بالصنعة الشعرية ، فلا يعني هذا أن الأعمال الشعرية يمكن أن ينتجها أي إنسان يبذل جهداً عملياً في سبيل تعلم أصولها ، فإن كانت الصنعة شريطاً ضرورياً لإنتاج الشعر الجيد ، إلا أنها لا تعد وحدها كافية لإنتاج هذا الشعر الجيد . وفي هذا يقول جورج كولنجوود :

« في قصيدة لين جونسون يبدو لنا قدر كبير من المهارة الحرفية ، وقد يقوم ناقد باستعراض براعته ومهارته بتحليل ما تتضمنه القصيدة — وهو عمل لا يخلو من فائدة محققة — من أنماط محكمة ومبتكرة في الأوزان والقافية ، وأنغام متوافقة ومتناغمة ، ولكن بن جونسون ليس شاعراً عظيماً لمجرد مهارته الحرفية في اصطناع مثل هذه الأنماط الشعرية ، بل إن عظمتها الحقيقية تكمن في رؤياه التخيلية لألهة الشعر أو شياطينه ، وكانت عملية تجسيدها جديرة باستغلال مهارته ، كما أن دراسة الأنماط التي اصطنعها يستحق منا كل تقدير في سبيل متعتنا » .

وبمعنى آخر ، فإن كولنجوود يؤكد لنا أن الصنعة الشعرية يجب أن تكون مساوية تماماً للموهبة الشعرية ، بحيث تساعدنا وتساندها وتحمينا من الدخول في طرق مسدودة أو بعيدة حتى تصل إلى القارئ وهي في أحسن حالاتها المتجسدة ، ولو كان بن جونسون فاقداً للموهبة الشعرية التي أسماها كولنجوود بالرؤيا التخيلية ، لما نفعته مهارته الحرفية على الإطلاق ، وقد طبقت الشاعرة والناقدة إديث ستيويل في كتابها « ملامح الشعر الحديث » هذا المنهج على أشعار ت . س . إليوت ،

وقالت إن مهارته الحرفية قد بلغت شأواً بعيداً . ومع ذلك فقد ظل مخلصاً للطاقة الشعرية بحيث لم يقتلها وسط قيود الصنعة ، إذ إنه وضع الصنعة في خدمة الموهبة وليس العكس . وعندما قارنته إديث ستيويل

بشعراء معاصرين له اكتشفت أنهم يمتازون عنه بوعيم المطلق بالمهارة الحرفية ، ومع ذلك فقد ظلوا أدنى منه درجات ودرجات في المرتبة الشعرية ، لأنه مهما بدا من ضرورة توفر المهارة الحرفية عند الشاعر ، فإنه لن يعد شاعراً إلا إذا تساوت المهارة بفنّه .

وبمعنى آخر يجب أن تكون مساوية تماماً لشيء يستخدم في خدمة الموهبة الشعرية ، وهذا ما يقصده ت . س . إليوت بقوله :

« إن الشاعر الجيد يعرف متى يكون واعياً ومتى يكون لا واعياً ، فالصنعة الشعرية تتطلب الوعي الكامل بالتقاليد

السابقة وأصولها ، بينما الموهبة تتطلب درجات مختلفة من اللاوعي حتى تتدفق القصيدة بأسلوب طبيعي وتلقائي ، ولكنه في نفس الوقت محاط بوعي الشاعر بفنّه . من هنا كانت المعادلة الصعبة في النقد الحديث » .

وعندما نقول بأنه يتحتم على الشاعر أن يمتلك ناصية حرفته الفنية ، فمعنى هذا أن يقوم بمهمة مشابهة في طبيعتها لتلك التي يقوم بها الصانع ، ولكن هذا لا يعني أن الصلة بين هذه المهارة الفنية في حالة الشاعر وبين إنتاجه الشعري ماثلة للصلة بين مهارة النجار وإنتاج الكرسي ، فالقصد

من مهارة الصانع معرفته الواعية تماماً بالوسيلة الضرورية لتحقيق غاية معلومة ومحددة مسبقاً ، وتعني أيضاً مهارته في الإلمام بكل إمكانيات هذه الوسيلة . فالنجار الذي يقوم بصناعة كرسي ، يظهر مهارة حرفية عندما يعرف جيداً المواد والأدوات التي يحتاج إليها لصنع الكرسي ، وعندما يقدر على استخدام هذه الأدوات والمواد بطريقة تساعد على دقة إنتاجها طبقاً للمواصفات المسبقة المطلوبة منه ، والأداة التي يستعملها الصانع في

صناعة الكرسي هي نفس الأداة التي يستعملها في صناعة أي كرسي آخر ، ونفس الوضع بالنسبة للمادة التي لا تتغير ، أما في الشعر فالوضع يختلف تماماً ، لأن الأداة والمادة تختلفان من قصيدة إلى أخرى طبقاً لطبيعتها الشعرية ، بل إن الأداة والمادة يصيران شيئاً واحداً بحيث يصعب الفصل بينهما ومعرفة أحدهما من الآخر . بينما الأداة في صناعة الكرسي

● إذا كانت الصنعة شرطاً ضرورياً لإنتاج الشعر الجيد ،
إلا أنها لا تعد وحدها كافية لإنتاج هذا الشعر ،
ومع ذلك فإن الموهبة الشعرية تحتاج إلى
قدر من الصنعة حتى تبرز في أحسن صورها .

محددة ومنفصلة عن المادة ، لأنها تفترض نفسها فرضاً عليها ، وتحدد لها الشكل الذي ستتخذه بطريقة مسبقة .

التجربة الشعرية

والشاعر لديه تجارب معينة في حاجة إلى تعبير وهو يضع في ذهنه دائماً إمكانية ظهور قصيدة يعبر فيها عن هذه التجارب ، وبعد ذلك يتطلب اصطلاح القصيدة بوصفها هدفاً لم يتم بعد ممارسته بعض قدرات ومهارات معينة تمثل الصنعة الشعرية ، ولا يبدأ الشاعر في كتابة القصيدة إلا عندما تتوافر لديه تجربة في حاجة إلى التعبير في شكل قصيدة ، ولكن اعتبار هذه القصيدة غير المكتوبة غاية ، وصنعة الشاعر وسيلة لتحقيقها نظرة ضيقة وقاصرة إلى طبيعة الشعر كفن ، لأن هذا يعني أن الشاعر قبل أن يشرع في كتابة القصيدة يعرف ويحدد مواصفاتها بنفس الطريقة التي يتبعها النجار عند معرفة مواصفات الكرسي الذي بصدد صنعه . وإن كانت هذه

القاعدة تنطبق دائماً على الصانع فإنها تنطبق أيضاً على الشاعر في الحالات التي تكون فيها القصيدة عمل صنعة كذلك ، ولكنها لا تنطبق بأية حال من الأحوال على الشاعر الفنان الذي يمر بالعاناة الشعرية في أثناء كتابة القصيدة ، وهي المعاناة التي يفتقدها النجار أثناء صناعة الكرسي ، لأن كل شيء واضح ومحدود وموصوف مسبقاً ، أما الشاعر فلأنه يكشف ويحفز ويضيف في حساسية مرهفة للغاية ولا يستريح من هذا العبء إلا بعد الانتهاء من كتابة القصيدة . وأحياناً لا تكون لدى الشاعر أية فكرة عن التجربة التي تتطلب تعبيراً ، إلا بعد انتهائه من التعبير عنها وتجسيدها في قصيدة ، فإن ما يرغب في قوله لا يتمثل أمامه غاية محددة تبتكر الوسائل والأدوات لتحقيقها وإخراجها إلى الوجود ، فالغاية لا تتبين إلا بعد أن تتشكل القصيدة في ذهنه أو على الورق .

والصنعة الشعرية ليست مجرد القدرة التي ينشئ بواسطتها الشاعر شيئاً من الكلمات أو الإيقاعات ، لأن هذه المهارة لا تزيد عن تلك التي يستخدمها الصانع في تحقيق غاية سبق تصورها اعتماداً على وجود وسائل مناسبة ، والصيغ الشعرية شيء حقيقي ومهم ، والقدرة التي

يعتمد عليها الشاعر في تكوين هذه الصيغ أمر جدير بعناية الناقد وتحليله الموضوعي ، ولكننا إذا صممنا على اعتبار هذه القدرة نتيجة واعية لوسيلة ترمي إلى تحقيق هدف واع ، فإننا نكون قد حططنا ملكة الإبداع في الشعر التي تعد المصدر الأساسي والأول للشاعر ،

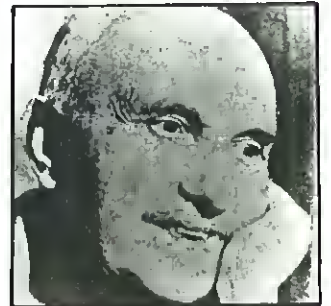
فاللاوعي مخزن ضخم لكل المواد الخام التي يشكلها وعي الشاعر في شكل قصائد ، ونحن لا ندرى سوى القليل جداً عن العمليات المعقدة التي تدور في ذهن الشاعر وجدانه حتى تخرج إلى النور على هيئة قصيدة ، لأن هذه العمليات تختلف من شاعر إلى آخر ، ومن ثم لا نستطيع أن نقرر معايير معينة ومحددة عن الكيفية التي تستحيل بها آلاف الصور والأصوات والالام والأفراح التي يزخر بها لا وعي الشاعر إلى ذلك الكيان الكلي النابض بالحياة والذي يؤلف القصيدة الكاملة . ولكننا نستطيع أن

نحكم على القصيدة من خلال منطقة الوعي عند الناقد الذي يجب أن يكون واعياً دائماً لك جزئيات الشكل الحسي الذي تتقمصه القصيدة ، وهنا يكمن الفارق الأساسي بين الشاعر والناقد ، الأول ينتقل من مرحلة اللاوعي إلى الوعي حتى يخرج القصيدة إلى الوجود بينما الثاني يحاول أن يطل من منطقة الوعي على منطقة اللاوعي .

وبمعنى آخر يحاول تحليل التوازن الدقيق بين الموهبة والصنعة ، أو بين المادة والأداة ، أو بين المضمون والشكل . ولكل فنان المادة الخام التي يصوغ منها أشكاله الفنية . فلنأخذ الحجر بينما يتعامل المصور باللون والخط ، وهذه مواد خام لا يستعملها الناس كثيراً في حياتهم اليومية ، أما المادة الخام التي يعتمد عليها الشاعر فهي اللغة ، واللغة بطبيعتها الوسيلة الأساسية التي لا يستغنى عنها في الاتصال بين الناس في حياتهم اليومية والمادية وبدونها يتعذر تحقيق الأغراض العملية للإنسان ، ولذلك فإن الشاعر عندما يستخدمها في تشكيل صورته وبناء قصيدته ، فإن مهمته تزداد صعوبة ووعورة إذا ما قورنت بمهمة الفنان التشكيلي الذي يتعامل باللون والخط ، لأن الشعر إذا أراد أن يكون فناً لا بد أن يغير في نوعية اللغة حتى ترتبط بالموسيقى التي تتقيد بإيقاعات متجسدة في لغة ما بين اللغات الإنسانية وفي نفس الوقت لا يمكننا أن ننكر عنصر التوصيل الذي تحتوي عليه القصيدة .

وعنصر التوصيل لا يقتصر على إيصال بعض المعاني - كما نجد في خطبة أو مقالة مثلاً - ولكنه يحرك الخيال عند المتذوق بحيث يدخله في تجربة نفسية تعيد تنظيم إحساساته في شكل جمالي لم يسبق له التمتع به ، والمعنى الشعري لا يكمن فقط في الفكرة بل يكتمل عن طريق الصوت والإيقاع ، فالكلمات ليست مجرد أدوات توصيل لمعان مجردة لا علاقة لها بتجارب نفسية ، بل إن ما تعنيه قد يكون له من السحر ما لكلمة « حبيبي » مثلاً أو له من التنفير ما لكلمة « كابوس » .

وليست المسألة مقتصرة على أن لكل كلمة المدلول الخاص بها ، بل تنفرع وتشابك إلى ما لا نهاية حسب السياق الذي ترد فيه هذه الكلمة



بحيث ترتبط بملايين المعاني والصور التي تحيل كل قصيدة إلى عمل فني متعارف عليه ؛ ومن هنا كان اصطلاح النقاد بأن كل قصيدة تختلف عن الأخرى اختلاف بصمات الأصابع ، فاللغة في الشعر ليست مجرد معان مجردة بل يضاف إليها الأصوات الموسيقية والآثار الوجدانية ، ولا بد أن يكون التفاعل عضوياً بين الجوانب الثلاثة حتى يرتفع التشكيل الشعري إلى مستوى القصيدة المتكاملة الحية .

صياغة الكلمات

ويقول الناقد سانتيانا إن الشاعر هو صانع الكلمات الذي يحيلها من مجرد حروف متتابعة إلى نبض حي يستولي على إحساسات القارئ عن طريق الصفات الحسية لصوت الكلمات وإيقاعاتها . وفي بعض الأحيان يغرم الشعراء بالإيقاعات إلى الحد الذي يستغنون فيه عن المعاني التقليدية بحيث تتحول القصيدة إلى قطعة موسيقية مكتوبة بالكلمات كما كان الشاعر الإنجليزي سوينبرن يفعل في بعض قصائده .

ويقول الناقد إروين إيدمان إنه من الممكن تصور فن شعري له ما للعمارة التجريدية من خصائص تختار فيه أصوات الحركة والسكون بأسلوب مثير حتى لتصبح عديمة المعنى التقليدي وإن استهوت السمع وملكت الحس كما تخلب اللب الألوان التي تغطي السجاجيد الفارسية مثلاً . وهناك شعراء ، كما أن هناك قراء ، تصل قوة سمعهم إلى هذه الحساسية الخارقة للعادة التي تجعل للصوت نفس الإغراء الذي يحسه الأشخاص الذين يمتازون بقدر وافر من الحب تجاه المراثيات كلون ورقة من أوراق الشجر أو بحجرة ، وقد أبدى أحد الأجانب الذين لا يعرفون اللغة الإنجليزية لدى استماعه إلى قصيدة شعر بالإنجليزية أنه لم يفهم كلمة واحدة ، ولكن كانت هناك بعض الإيقاعات الصوتية التي أثارت حسه الموسيقي وود لو أعاد الشاعر قولها مرة أخرى ، وفي هذا يتفق إيدمان مع الشاعر الفرنسي مالارمييه عندما يقول : « إن القصيدة لا تتألف من أفكار بل من كلمات » .

ولكن ليست صياغة الكلمات هي كل وظيفة الشاعر ، وأيضاً فإن ترتيب حروف السكون والحركة ترتيباً فنياً ليس هو كل التأثير الشعري الذي يراد ممارسته على القارئ ، فاللغة تشبه الموسيقى على نحو آخر أكثر من مجرد اقتصارها على إيقاعات تشبه نغمات الموسيقى القائمة بذاتها في عزلة ، وإذا كانت النغمات الموسيقية بمفردها ليست هي السمفونية أو الكونشرتو أو السوناتا ، فكذلك الإيقاعات القائمة بذاتها ليست هي القصيدة حتى لو كانت مصقولة وجميلة في حد ذاتها ، لأن لغة الشعر تتألف من إيقاعات متناسقة ومتناغمة بالضرورة ومؤثرة ومتأثرة في نفس الوقت . وعلى الشاعر أن يطوع هذه المقاطع والإيقاعات القائمة بذاتها حتى تنصهر داخل كل متكامل يسمى بالعمل الشعري .

ونجاح الشاعر أو فشله يتوقف على مدى سيطرته على هذه المقاطع والإيقاعات ومدى هضمه واخضاعه لها بحيث تفقد شخصيتها المميزة

وتتحول إلى خلية جديدة وحية في جسم القصيدة . وبناء على ذلك فإن إيقاع الشعر هو الأداة الفنية والسيكولوجية التي يستغلها الشاعر في السيطرة على الحس عند القارئ واخضاعه لمشيئته كما يفعل المنوم المغناطيسي .

الصناعة وليس التعبير

والقصيدة في حد ذاتها لا تعبر عن شيء بقدر ما تعبر عن نفسها . فعملية التوصيل مجرد وسيلة إلى هدف يكمن في عملية الصناعة نفسها . وفي هذا يقول ا. ا. رتشاردز إن أول شيء يهم الشاعر هو أن يجسد في نتاجه التجربة المعينة التي تتوقف عليها قيمة هذا النتاج فيجعله معادلاً للتجربة بحيث يمثلها أصدق تمثيل ، وفي حالات معقدة يشغل هذا الاهتمام كل فكر الفنان بحيث أنه لو شئت اتبناه وعنى بالتوصيل كان لذلك أسوأ الأثر على كيان القصيدة . واللغة هنا هي أداة الشاعر في تجسيد التجربة بحيث لو فشل الشاعر في تطويعها ، فإنه يفشل بالتالي في اصطناع عمل شعري له من الخصائص والملامح ما يساعد على التعرف عليه وسط آلاف الأعمال الشعرية الأخرى ، ويقول ت. س. إليوت : « إن الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الوجدان في الشعر تكمن في إيجاد معادل موضوعي له » .

الايقاع والحياة الإنسانية

والعلاقة الحية بين الشعر والحياة تكمن في الإيقاع ، فالطبيعة السيكلوجية والفسولوجية والبيولوجية للحياة ذاتها تتمثل في خفقة القلب وفي عملية التنفس المنتظمة ، وهذا ما يفسر استعداد الخيال الإنساني والأذن البشرية للتأثر بالإيقاع .

وهذا يؤكد أن التجربة الإنسانية يمكن أن تنتقل من القصيدة إلى القارئ عن طريق الإيقاع وحده ، بحيث تتراجع اللغة التقليدية الموصلة للمعاني إلى الخلفية ، فالإيقاع في الشعر لغة موسيقية تمهد الجو الشعري الخالص الذي يلتقي الشاعر فيه بالقارئ ، والذي يفصح فيه الشاعر عما يجب عليه أن يقوله ، وعلى هذا فاللغة في القصيدة ليست نقلاً لفكرة بقدر ما هي تجسيد لحلم أو حالة نفسية أو رؤيا .

لذا كانت عملية الإبداع الشعري في نهاية الأمر إبداع كلي وكائن عضوي في ذاته ، يمكن أن يعيش في استقلال تام مدة طويلة في أعماق اللاشعور عند الشاعر ، ويتمثل وجوده في ذلك الحلم الجميل المتناسق الذي يرسخ فوق صفحة من كتاب ، ونفون يرسخ لأن التناسق الذي ينتج عن تطويع الشاعر للأداة اللغوية هو المثل الأعلى للكمال الذي تهدف إليه الإنسانية التي تعاني من التشتت والضيق والتفتت ، وتطويع الأداة اللغوية لا بد أن يتمثل في الهارمونية البديعة بين المقاطع القائمة بذاتها والإيقاع الخاص بالكلمات والمعاني المرتبطة بها بحيث لا نشعر بأية فجوة بين هذه الشرايين الحيوية الثلاثة .

سامراء

أو

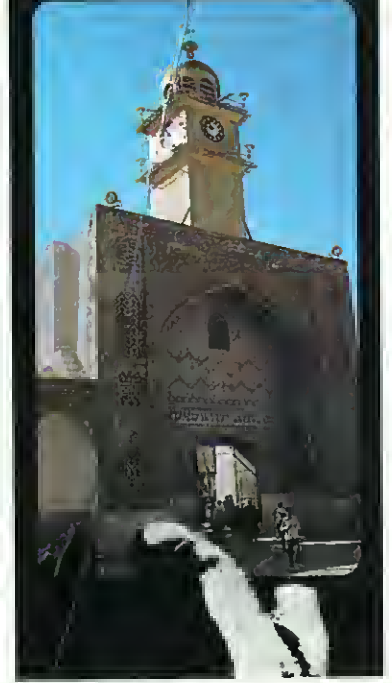
سُرْمَنْ رَأَى

بقلم : عبد الجبار محمود السامرائي

سامراء مدينة تاريخية من أجمل مدن العراق حالياً . . كان الخليفة العباسي الثامن المعتصم بالله قد أنشأها لتكون عاصمة لأكبر إمبراطورية إسلامية بدلا من بغداد في بداية القرن الثالث للهجرة ، المصادف للقرن التاسع للميلاد . وتوسعت هذه المدينة في زمن المتوكل - الخليفة العباسي الثالث - حتى صارت مدينة كبرى ، وصار لها صدى واسعاً في أطراف العالم .

★ جانب من مدينة سامراء مأخوذة من قبة مثمنة اللوية ★

مكة
وتاريخ





★ الواجهة الرئيسية للمعهد الإسلامي في سامراء ★

أسماء المدينة

تشير المراجع التاريخية والبلدانية إلى قدم (سامراء) وإلى توغّلها في أعماق العصور السحيقة . فقد قيل : إنها بنيت من قبل « سام بن نوح » ، ودعا أن لا يصب أهلها سوء ، فنسبت إليه وسميت (ساميرا) .

وقيل : إن هذا الاسم أطلق على موضع يقع بين قريتين كان (سام بن نوح) يتردد إليهما ، ويسمى بالفارسية (سام راه) أي « طريق سام » .

وقيل : جاء سام إلى هذه البقعة لما خرج نوح من السفينة فبنى فيها مدينة وقال : هذا وسط الدنيا فقيل : (سام راء) .

وقيل : إن اسمها ورد في الكتابات البابلية باسم «سيمورم» أو «سومورم» . وقيل : إن هذا الاسم يعود إلى أصل آشوري وهو «سرمارتا» Su-ur-mar-ta فحرفه العرب إلى (سُرْمَنْ رَأى) و(سامرا) .

وذهب بعض المؤرخين إلى أن اسمها بالأرامية (سامرا) .

وقيل : إنها سميت بـ «سرمن رأى» من السرور والرؤية ، بالاستناد إلى مسا

واستطاعت سامراء في غضون نصف قرن كعاصمة للخلافة ، أن تحتل مركز بغداد في كل شيء : في السياسة والتاريخ والعمارة والفن والعلم والأدب .

وقد قامت هذه المدينة ، بشهادة المصادر القديمة والحديثة ، وبروعة عدد من آثارها الشاخصة ، بدور خطير في الحضارة الإنسانية ، ونهياً لها أن تُمَد بعض المدن الإسلامية - ومنها بغداد - بما اشتهرت به من نماذج رائعة في روائع الفن والعمارة .

غير أن بغداد ، استعادت نفوذها السياسي لتصبح عاصمة الدولة العباسية مرة ثانية . وقد حصل ذلك قبل أن تبلغ سامراء العمام الخامسة والخمسين من عمرها ، فكانت أقصر المدن في التاريخ عُمرًا ، ولم نجد بعد هذا التحويل من يعنى بها ويجدد شبابها ، فاندثر الكثير من معالمها ومالت نحو الانكماش إلى أن أطل العصر الحالي ، وأشرف العراقيون على فجر نهضتهم فوجدوا المدينة وهي توشك أن تفقد البقية الباقية من كيانها العباسي السامق . . وإذ ذاك أسرع الأيدي البناء لتحفظ هذه المدينة من عوادي الخراب .

وصلت إليه من الازدهار والحضارة وما اتصفت به من لطافة المناخ وكثرة المياه وجودة التربة .

وقيل : إن اسمها قد اختصر من اسم آخر عرفت به عند اكتمال عمرائها وازدهارها وهو (سرور من رأى) فلما خربت وتنشوت خلقتها واستوحشت سميت (ساء من رأى) .

والحقيقة أن اسم (سامراء) - وهو الاسم الذي تعرف به هذه المدينة حالياً - لم يرد كثيراً في المصادر القديمة بالقياس إلى اسمها الأصلي الذي اشتهرت به وهو (سر من رأى) .

حضارة سامراء القديمة

أثبتت التنقيبات الأثرية في أطلال سامراء أن موضعها كان أهلاً منذ أدوار ما قبل التاريخ من الألف الخامس قبل الميلاد ، إذ إنه وجد دور حضاري من عصور ما قبل التاريخ عرف باسم « دور ثقافة سامراء » يمتاز بصناعة من الفخار وجدت نماذج منه في الحفر الذي أجراه الأستاذ هرتسفيلد الأثاري الألماني في مقبرة من هذا العهد تقع بين بقايا القصر العباسي (بيت الخليفة) والسنن الصخري الذي بنيت عليه المدينة العباسية « سر من رأى » ، على بعد نحو نصف ميل جنوب دار الخليفة أي « دار العامة » .

★ صورة من الجور الملوية سامراء ★



وعثر على موضعين من هذه الحضارة أحدهما في شمال المقبرة المذكورة ، والاخر إلى الجنوب على ضفة نهر دجلة شمال القائم في موضع يسمى « تل الصوان » . كما وجد شمال في « الاصطبلات » يرجع عهده إلى عصر فجر السلالات (٢٥٠٠ ق. م) مما يدل على وجود مستوطن قديم من ذلك العهد .

والمرجح كثيراً أن موضع سامراء مشتق من اسم مستوطن قديم عرفه الآشوريون والبابليون باسم « سومورم » Summurim أو باسم « سومارتا » Su-ur-mar-ta .

ولقد أجريت أعمال التنقيب الأركيولوجي في سامراء من قبل الدكتور هرتسفيلد في موسم (١٩٣٠ - ١٩٣١ م) ضمن نطاق المقبرة التي كانت قد ظهرت للعيان في بقعة شبيهة بالحاوي المظلة على نهر دجلة والواقعة في القرب من شريعة باب الناصرية شمالي سامراء الحالية ، على مسافة ميل واحد من بيت الخليفة جنوباً ، وذلك نتيجة تنقيب سابق كان الدكتور هرتسفيلد قد قام به في سنة (١٩١٢ - ١٩١٣ م) ، فثبت في نهاية تلك الأعمال أن كلاً من القبور والفخار المصنوع الذي وجد فيها يعود إلى أزمان الدور الحجري المتأخر أو العصر الحجري الحديث (العصر النيوليثي) ، وربما كان يمثل نوعاً من ذلك الفخار الذي يعود إلى الإيرانيين الذين عاشوا في عصور ما قبل التاريخ . وقد عرف العصر الذي تعود إليه مقبرة سامراء هذه بـ (عصر حلف) (٥٠٠٠ - ٤٥٠٠ ق. م) ، وهو العصر الذي يلي العصر الحجري الحديث ، والذي تمتاز آثاره بزخرفة الأواني المخشوة وبرقي أشكالها وتعدد ألوانها .

وعلاوة على هذه الأنواع الفخارية ، فقد ترك لنا أهل (حضارة حلف) دمي من الطين المشوي غريبة الصنع من الحروز المنقوشة ، وأول نوع من الختم المنبسطة . ويستدل من القطع المعدنية الصغيرة القليلة أنهم كانوا في بدء معرفتهم بالمعدن .

سامراء في العهد الساساني

وعرفت منطقة سامراء في أيام الساسانيين باسم (الطيرهان) . وكانت موضعاً مهماً في العهد الفارسي . وقد التقى فيها الجيش الساساني بالجيش الروماني بعد مقتل الإمبراطور جوليان في عام ٣٦٣ م ، وتراجع الجيش الروماني ، ودون أخبار هذه المعركة المؤرخ الكاتب الرومي (أميانس هرقلائس) في رحلته ، وكان قد رافق الحملة على بلاد الفرس في عهد الملك « سابور الثاني » المعروف بذي الأكتاف .

ومن المواضع المشهورة في أيام الساسانيين مرقع (الكرخ) الذي ينسب إلى الملك الساساني فيروز بن بلاش بن قباد ، وقد ورد هذا الاسم أيضاً في أخبار حملة جوليان .

كما أن حملة من أنهار الري تعزى إلى الساسانيين ، ومنها القاطول الكسروي ، الذي يمتد من دجلة عند بلدة « الدور » جنوباً إلى نهر ديبالى عند « بعقوبة » .

أيام الخلافة العباسية

أ - في عهد المعتصم :

عزم الخليفة المعتصم بالله بن الرشيد ، وهو ثامن خلفاء بني العباس (٢١٨ هـ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ م) ، على هجر العاصمة بغداد لأبواب عديدة ، فمنهم من يرى أنها ابتئت لتكون متزهة للخليفة ، يلجأ إليه ويتعد عن الغوغاء ومنهم من يرى أنها ابتئت لتكون حاضرة جديدة لأكبر إمبراطورية في العالم ، حتى أن بناءها قد أثر على بغداد تأثيراً عظيماً من حيث الحضارة والتجارة ، ومنهم من يرجع ذلك إلى

ثم يلتقي بمجرى الرصاصي قبل وصوله إلى العُظم بقليل ، فيحيط بالمدينة من الجهة الجنوبية .

ويضع هذا الموقع الاستراتيجي سامراء في موقف ملائم للسيطرة على الأجزاء المختلفة من جميع الإمبراطورية .

كما أن نهر (النهروان) بفرعيه ، يحف بموقع المدينة من جانبيه الشرقي ، وهكذا ، فليس هناك أدنى شك ، في أن كلاً من نهري دجلة والنهروان ، يمتحان هذا الموقع أهمية عسكرية عظيمة ، وعلى وجه العموم ، فإن مياه هذين النهرين يؤلفان سوراً طبيعياً يجعل المدينة في موضع أسين .

٢ - الموقع الجغرافي

إن ارتفاع موضع سامراء ، قد وهب المدينة حماية ضد خطر الفيضان الذي يهدد مدينة بغداد كل عام . وقد منح هذا الموقع ، المدينة سهولة الاتصال بكل من الأقسام الشمالية والجنوبية من العراق ، وكانت فائدته كبيرة جداً للأغراض السياسية والتجارية على حد سواء .

٣ - المناخ الملائم

وتتميز مناخ المنطقة بلطافة الهواء ، لغزارة المياه ، بالإضافة إلى جودة التربة . وبعد أن استقر رأي المعتصم على الموضع النهائي ، لإنشاء المدينة ، أمر بإحضار المهندسين فاختاروا عدة مواضع للقصور ، وصبر إلى كل رجل من أصحابه بناء قصر واقطع القواد والكتاب والناس ، وأعطاهم النفقات لبنائها ، ثم خط المسجد الجامع

★ مئذنة إسلامية في أحد جوامع سامراء الكثيرة ★



سبب ديني ، إذ إن الخليفة المعتصم كان يناصر أهل مذهب الاعتزال ، مما حدا بمسلمي بغداد إلى التذرر وعدم الارتياح منه .

ويذكر الطبري سبباً آخر لعزم المعتصم على الابتعاد عن بغداد ، ذلك أن الجند شغبوا حين بوع له بالخلافة ، فطلبوا العباس بن المأمون ونادوه بالخلافة ، فأرسل المعتصم إلى العباس فبايعه هذا وأسكت الجند .

وعند ذلك طلب المعتصم إلى وزيره أحمد بن خالد أن يشتري له بناحية سامراء موضعاً لبني فيه مدينة ، لأنه يتخوف أن يصبح الحرية صحيحة فيقتلون غلباته ، ولكي يكون فوقهم ، فإن رايه منهم ريب ، أتاهم في البر والبحر حتى يأتي عليهم .

وأما السبب الذي يكاد يتفق فيه المؤرخون ، فيرجع إلى كثرة جيوش المعتصم من الأتراك ، وإن اختلفوا في عدة أفراد هذه الجيوش ، فمنهم من أوصلها إلى سبعين ألفاً ، ومنهم من جعلها ثمانين ألفاً ، وذهب آخرون في تعدادها إلى (٢٥٠) ألفاً وكان أولئك الأتراك عجباً جفاة يركبون الدواب فيترأكضون في طرق بغداد وشوارعها ، فيصدمون الرجل والمرأة ، فكرههم أهل بغداد وضاقوا بهم ، فكانوا يقتلون بعضاً ويضربون بعضاً وتذهب دماؤهم هدرًا ، فشكت الأتراك ذاك إلى المعتصم من جهة ، كما شكوا إليه أهل بغداد ما كانوا يلاقونه من أذى الأتراك من جهة أخرى ، حتى بلغ بهم الأمر أن طلبوا من الخليفة أن يخرج عنهم مجنده وإلا حاربوه «بسهم الأسحار» فنقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد .

وقد يكون من الأسباب التي أدت بالمعتصم إلى اتخاذ سامراء مقراً له (أي عاصمة) ، أنه كان رجلاً يميل إلى الروح العسكرية ، وقد اتخذ له جيشاً كثيفاً أغلبه من الأتراك ، كما تجمع لديه عدد كبير من الخيول ، وهذه الجيوش اللجة ، والخيول الكثيرة بحاجة إلى مدينة جديدة ذات فضاء واسع يستطيع الخليفة أن يجمع فيها التكنات لجيوشه والاصطبلات وملحقاتها لخيول تلك الجيوش ، وأن بغداد أصبحت لا طاقة لها باستيعاب هذه الجيوش وخبوها ، إلى جانب ما كانت عليه من كثافة السكان .

ولعل من الأسباب أيضاً ما كان يدور في خلد المعتصم من تكوين طبقة خاصة نقية من الأتراك ، لتكون له سنداً وعروناً في توطيد الحكم والقضاء على من تسول له نفسه الخروج على سياسته واتجاهاته . فوجد أن لا مناص له من اتخاذ مدينة جديدة تمكنه من تطبيق ما كان يعتزم القيام به .

وهذا ما حدث فعلاً ، فقد أفرد - عند تخطيط المدينة الجديدة - قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعاً ، وجعلهم معترلين عنهم لا يختلطون بقوم من المولدين ، ولا يجاورهم إلا الفراغة ... ثم اشترى لهم الجوارى فأزوجهن منهن ، ومنهم أن يتزوجوا ويصاهروا إلى أحد من المولدين إلى أن ينشأ لهم الولد فيترجى بعضهم إلى بعض ، ولجئ لجواري الأتراك أرزاقاً قائمة ، وثابت أسماءهن في الدواوين فلم يكن يقدر أحد منهم أن يطلق امرأته أو يفارقها .

ولم يكن اختيار المعتصم لموضع سامراء اعتباطاً ، وإنما كانت هناك عوامل كثيرة حبت إليه هذا الموضع ، ودعته إلى تفضيله على غيره من الأماكن : فمن هذه العوامل :

١ - الموقع الاستراتيجي :

كان الحزام المائي الذي يحيط بالمدينة قد أكسبها مركزاً استراتيجياً مهماً لم يتوفر لغيرها من المدن ولا سواها في بغداد . وكان هذا الحزام يتألف من نهر دجلة الذي يسير بمحاذاة المدينة من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها من جهة الغرب ، ومن مجرى النهروان (مجرى الرصاصي أو القاطول الكسروي) الذي يتفرع من نهر دجلة من شمال المدينة متجهاً نحو نهر العُظم ، فيحيط بها من الجهتين الشمالية والشرقية ، ومن مجرى نهر القاسم الذي يتفرع من نهر دجلة من جنوب سامراء ،



★ القبة الذهبية في مسجد الإمام علي الهادي ★

الخلفاء - إلا أنه نجح من رغبته في تثبيت مركزه ، وهذا يظهر بوضوح في رواية لليمقوي مسجلاً سرور المتوكل بعد انتقاله إلى (المتوكلية) فقال : «الآن علمت أني ملك إذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها» .

ويبدو أن الخليفة المتوكل كان يشبه أسلافه المنصور والمعتمد في رغبته الشديدة بالبقاء على ذكره ببناء مدينة خاصة به تحمل اسمه وتبقى على ذكره ، وتأكيداً لنظرته هذه بنى (المتوكلية) في موقع الماحوزة بعد عودته من دمشق في عام ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) .

وبعد أن تم بناء (المتوكلية) انتقل المتوكل إليها وحاشيته ورجال دولته وعامة الناس ... وهجر سامراء .

ولأبي علي البصير وصف حال سامراء المدينة العظيمة التي أنفقت عليها الأموال الطائلة وحالها البائس بعد أن تحولت السلطة والرعية عنها ، فصيصة طويلة منها :

إن الحقيقة غير ما يتوهم

فأخسر لنفسك أي أمر تعزم

أنكون في القوم الذين نأخروا

عن حظهم ، أم في الذين نغدموا ؟

لا تقعدن تلوم نفسك حين لا

يحمدي عليك تلوم وتندم

وأشخص الفعلة والبنائين وأرباب الفنون ، وكتب في حمل سائر ما يحتاجه البناء من خشب ورخام وزجاج . وشقت الشوارع ، واختطت الأسواق ، وبنيت الدور ، وشيدت القصور ، وأنشئت الحمامات والمرافق الأخرى ، وحفرت الأنهار ، ونصبت الدواليب والدوالي عليها ، وحملت الغروس والنخيل من سائر البلدان ، وكان ميلاد هذه المدينة في سنة (٢٢٠ هـ) أو (٢٢١ هـ) .

ب - في عهد المتوكل :

ثم تتابع الخلفاء بعد المعتصم يبذلون جهوداً عظيمة في توسيعها وازدهارها ، ولا سيما المتوكل ، الذي كان شغوفاً بالبناء ، محباً للعمارة ، سخياً بالمال . فلا غرابة إذا ما رأينا عهده يتسم بطابع خاص به نستطيع أن نطلق عليه عصر العمارة وتشبيد القصور ... فانتعش البناء وازدهر ، واندفع الناس بشيكون البيوت والقصور وكان ذلك مدعاة لارتفاع لمن الأرض ارتفاعاً عالياً ، ومن أشهر أبنية المتوكل في سامراء بناؤه المسجد الجامع في أول (الحير) في موضع خارج منازل المدينة .

وأشارت بعض المصادر العربية إلى أن الخليفة المتوكل رغب في ترك سامراء والبحث عن مكان آخر لينتخذه عاصمة للدولة العباسية . ولكن هذه المصادر لم تشرح لنا الأسباب التي دعت الخليفة المتوكل إلى اتخاذ مثل هذا القرار ، ولم يكن هذا القرار لتأكيد شيء يبقى ذكره - وهي الرغبة التي استحوذت على معظم



★ الروضة العسكرية في سامراء ★

ج - في عهد المنتصر:

تولى الخلافة العباسية بعد مقتل المتوكل ابنه المنتصر، فقرر العودة إلى سامراء، وأمر الناس جميعاً بالانتقال عن الماحوزة «مكان المتوكلية» وأن يهدموا المنازل ويحملوا الأنقاض إلى سامراء. فصار الموضع موحشاً لا أنيس به، ولا ساكن فيه، والديار بلاقع كأنها لم تعمر ولم تسكن.

د - في عهد المستعين والمعتز:

توفي المنتصر سنة ٢٤٨هـ، وبيع في سامراء أحمد بن محمد بن المعتصم، ولقبه المستعين بالله.

وفي عهد المستعين جرت محاولة أخرى للانتقال عن سامراء، وكان السبب المباشر لهذا الانتقال هو السبب عينه الذي حدا بالمتوكل الانتقال عن سامراء والرجل إلى دمشق.

فبعد وفاة المنتصر بن المتوكل، اجتمع فؤاد الأتراك وتشاوروا فبمن سيخلفه من الأبناء، فاستبعدوا من الاستخلاف أبناء المتوكل خوفاً من نقمهم عليهم وأخذهم بثأر أبيهم، فلم يجدوا خيراً من المستعين ولد سيدهم وأستاذهم المعتصم.

بدا أنه لم يمض على حكم المستعين سوى سنتين وبضعة أشهر حتى اضطرت أموره في سامراء، بسبب قتله (باغر التركي) قاتل المتوكل، فهاجت الأتراك

أضحت قفاراً سرّ من را ما بها
إلا لمنقطع به منلوّم
تبكي بظاهر وحشة وكأنها
إن لم تكن تبكي بمن تسجّم
كانت معاداً للعيون فصأبحت
عظة ومعتبراً لمن يتوسّم

ولكن المدينة الجديدة (المتوكلية) لم تكن بالمدينة الناجحة أو الملائمة لحياة السكان، ذلك أن الذين أشرّفوا على مهمة إيصال الماء إليها لم يكونوا على خبرة واسعة وإمكانية وافرة، فجاءت النتيجة على عكس ما كان يرغب المتوكل والناس جميعاً، بسبب فشل مشروع النهر وعجزه عن تأمين إيصال المياه إليها في موسم الصيف.

وقد أقام المتوكل في المدينة الجديدة حوالي تسعة أشهر ثم قتل في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين للهجرة في قصره (الجعفري) على يد (باغر التركي) وأصحابه الأتراك.

وتقع آثار (المتوكلية) على بعد عشرة كيلومترات شمال مدينة سامراء، من آخر البناء الذي في الموضع المعروف بـ (دور العرياني) وهو الحد الشمالي لبناء المعتصم، على بعد حوالي عشرين كيلومتراً من شمال سامراء الحالية.



★ روائع الفن العربي الإسلامي داخل الروضة العسكرية ★

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً
وما من ذاك شيء في يديه
إليه تحمل الأموال طُرّاً
ويمنع بعض ما يُجِبِّي إليه

واستخدم الخلاف بين الموفق والمعتمد واشتد، فحاول الأخير في سنة ٢٦٩ هـ، الفرار إلى مصر وكتب في ذلك أحمد بن طولون الذي كان والياً عليها، ومشايماً له في خلافة الموفق، فخرج مع عدد من الفواد والأنباع قاصداً الشام - فلما علم بذلك الموفق، وكان مشغولاً بقتال صاحب الزنج، كتب إلى عامل الموصل والجزيرة، إسحاق بن كنداج بالقبض على المعتمد وأصحابه وإعادتهم إلى العاصمة سامراء، فقام ابن كنداج بتنفيذ ما طلب إليه وعزل المعتمد في شخصه عن دار ملكه وملك آبائه، وتركه أخاه وهو في حالة حرب مع الأعداء، ثم حمله ومن كان معه مصفدين حتى وافى بهم سامراء.

وبقي المعتمد في سامراء حتى سنة ٢٧٩ هـ، ثم عزم على الانتقال إلى بغداد وإعادة مقر الخلافة إليها، وبذلك يكون قد حقق ما فشل به غيره من الخلفاء السابقين.

على أن بعض المراجع قد أشارت إلى أن آخر من قام بالانتقال عن سامراء من خلفاء بني العباس هو (المعتضد بن الموفق).

وماجت، فلم يكن له بد من الهروب متسللاً مع فائديه الغالبين عليه، (وصيف) و(يغيا) والاحمدار سراً في سفينة إلى بغداد، مقر العنصر النساوي للأتراك والمشايع له في مقاومتهم.

وعلى الرغم من أن أهل بغداد قد رحبوا بالخليفة وأبدوا ماعتهم له، إلا أن الصدام والقتال بين أهل سامراء وخليفته (المعتز) الذي نصبوه بدلاً من (المستعين)، وبين أهل بغداد وخليفته المستعين، مدة تزيد على السنة، حتى مل الفريقان القتال والتناحر، ثم آل الأمر أخيراً إلى تنازل المستعين عن الخلافة للمعتز، فلم تفلح هذه المحاولة بنقل العاصمة سامراء إلى بغداد.

٢ - في عهد المعتمد والمعتضد:

وجرت محاولة أخرى للانتقال عن سامراء، وذلك في عهد الخليفة (المعتمد)، وكان السبب المباشر في ذلك اختلافه مع أخيه (الموفق) الذي استطاع بقدرته وجدارته، أن يهيمن على أخيه المعتمد الذي كان منصراً إلى اللهو والملاذات. ولكن المعتمد ما لبث أن وجد نفسه كالمهجور عليه، والمغلوب على أمره، وشعر أن الأمر والنهي قد آلا إلى أخيه، وليس له من شأن الخلافة إلا الاسم، فقال في ذلك ألباته المشهورة:

أليس من العجائب أن مثلي
يرى ما قل ممنوعاً عليه

خرايبها واندثارها

وهكذا انتهت قصة سامراء عاصمة للعباسيين ، والتي عاشت حوالي الخمسين سنة ، ملك بها ثمانية خلفاء هم : المعتصم ، الواثق بالله ، المتوكل على الله ، المنتصر بالله ، المستعين بالله ، المعتز بالله ، المهتدي بالله ، والمعتمد على الله .

وبانتقال الخليفة العباسي إلى بغداد ، انتقلت معه الدواوين وجميع أجهزة الدولة ، وبعد فترة وجيزة أصبحت سامراء من المدن الصغيرة ، بعد أن كانت قد ضاعت بغداد في سعتها وكثرة عمرانها وجمال قصورها ، ونضارة متزهاتها .

وأخذ الخراب يدب في قصور سامراء والدمار يسري في عابرها . فاستحالت تلك الأبنية الضخمة والمنشآت الفخمة إلى أطلال تمتد إلى مسافات شاسعة من الكيلومترات ، تبعث في القلب فزعاً وrehية وفي النفس عظة وعبرة .

وقد وصفت لنا بعض المراجع القديمة ما أصاب هذه المدينة الزاهرة من الانقراض وما آلت إليه معالمها من التفويض ، ولما يعض على الانتقال عنها إلا فترة وجيزة .

من ذلك ما كتبه عميد الله بن المعتز في رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه ، يصف فيها خراب سامراء واندثارها ، فقال : « كتبت إليك من بلدة قد أنقض الدهر سكانها ، وأقعد جدرانها ، فشاهد اليأس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، فكان عمرانها يطوى ، وكان خرابها يُنشر ، وقد وكلت إلى الهجر نواحيها واستحثت باقيها إلى فانيها ، وقد تمزقت بأهلها الديار ، فما يجب فيها حق جوار فالظاعن فيها محمو الأثر والمفعم بها على طرف سفر ، نهارة أرجاف وسروره أحلام ليس له زاد فيرحل ولا مرعى فيترع ، فحالها تصف للعيون الشكوى ، وتشير إلى دم الدنيا بعد ما كانت بالرأى القريب جنة الأرض وقرار الملك » .

ولابن المعتز أيضاً أبيات في رثاء هذه المدينة المهجورة يقول فيها :

غدت «سُرْمَن راء» في العفاء كأنها

(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

وأصبح أهلها شبيهاً بحالها

(لما نسجت من جنوب وشمال)

إذا ما امرؤ منهم شكاً سوء حاله

(يقولون لا تهلك أسي ونجمل)

سامراء من جديد

تقوم مدينة سامراء الحديثة - وهي مركز قضاء - يتبع محافظة (صلاح الدين) على بعد حوالي (١٣٠) كيلومتراً إلى الشمال عن العاصمة العراقية بغداد . وتبعد عنها (تكريت) مركز المحافظة ، بحوالي ٥٠ كيلومتراً إلى الشمال .

وتقع سامراء فوق أجزاء من أطلال «سُرْمَن راء» وهو الاسم الذي عرفت به أيام المعتصم ، على ضفة نهر دجلة الشرقية في الموضع الذي كان يعرف بـ (عسكر المعتصم) . وكان يحيط بسامراء إلى ما قبل حوالي أربعين عاماً سور شبه مدور يبلغ محيطه نحو كيلومترين ، شيده في عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) زين الدين السلطاني ، وقد أنفق على تعميره أحد ملوك الهند ... وقد هدم السور حديثاً ولم يبق منه إلا أجزاء ضئيلة .

أبرز معالمها التاريخية

تزخر مدينة سامراء بالآثار والمعالم التاريخية البارزة ، ولعلها المدينة التي تنفرد

بأعظم وأفخم أثر جليل يمسد أصالة الفن العربي الإسلامي ، ذلك هو المسجد الجامع ومثدنته اللولبية المشهورة باسم (الملوية) . كما وهناك الأثر الشبيه به في مدينة المتوكلية التي بنيت على مقربة من سامراء ، وغير ذلك ، مما يستبسط بالحديث عنه في هذا البحث .

١ - المسجد الجامع :

يعتبر المسجد الجامع من أهم الآثار العباسية في منطقة سامراء ، وهو يظهر بجلاء الجهود العظيمة التي بُذلت في سبيل إنشائه وإظهاره بالشكل السدي يليق ومكانة سامراء - كعاصمة للدولة العباسية - .

والزائر له اليوم لا يرى إلا بقايا جدرانه الخارجية - التي رمت حالياً - ومثدنته الشهيرة بـ (الملوية) ، ويبلغ طول المسجد ٢٤٠ متراً وعرضه ١٦٠ متراً ، ويبلغ علو الجدران نحو عشرة أمتار وتختها لا يقل عن المترين ، ويدعمها من الخارج أبراج نصف دائرية عددها أربعون برجاً ، أربعة منها في الأركان وثمانية في الضلع الجنوبية ، وفي الضلع الشمالية ، وعشرة في الضلع الشرقية ، وفي الضلع الغربية .

وفي القسم الأعلى من الجدار الجنوبي إلى الجهة القبليّة نوافذ مستطيلة ضيقة من الخارج واسعة من الداخل ، ويظهر في داخل كل نافذة عمودان من الأجر يحملان طاقاً مكوناً من خمس حنايا .

وفي الجهة القبليّة (المحراب) وعلى طرفيه بابان . وفي الجدران الأخرى هناك واحد وعشرون باباً ، خمسة في الجدار الشمالي وثمانية في كل من الجدارين الشرقي والغربي .

ويدل استكشاف العلامة الأنباري هـرزفند ، على أنه كان في المسجد ٢٥ رواقاً وأن الأوسط منها أكثر اتساعاً من الأروقة الأخرى ، و ٢٤ صفّاً من الأعمدة في كل منها عشرة عمد ، هذا عدا الإيوان الشمالي وفيه ٢٤ صفّاً من الأعمدة في كل

★ اطلال قصر المعتوف أو العائذ ★



صف منها ثلاثة عمد والرواقين الحائيتين في كل منها ٢٢ صفاً من الأعمدة في كل صف منها أربعة عمد ، وبذلك تكون جملة عدد الأعمدة ٤٨٨ عموداً . وكانت السقوف ترتكز على العمد مباشرة دون طيقان من البناء .

ويبدو من الأخبار التاريخية أنه كانت في وسط المسجد نافورة ، تستمد مياهها من القناة التي أنشأها المتوكل لايصال الماء إلى مدينة سامراء .

ويذكر بعض المؤرخين أن جدران المسجد الجامع في سامراء كانت فيها المرايا ، ومن النصوص الطريفة ما ذكره أبو الحسن الهروي قوله : (وجامعها موضع شريف به المعجون كأنه المرأة يبصر للمتوجه إلى القبلة الداخل والخارج من الشمال) .

وعلى بعد خمسة وعشرين متراً من الجدار الشمالي وعلى محور باب المسجد تقع المثلثة الشهيرة بـ (الملوية) وهي غروبية الشكل تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٢ متراً ، يصعد إلى قمتها بمرقاة حلزونية تدور حولها من خارجها باتجاه معاكس للدوران عقرب الساعة خمس مرات ، وتبدأ المرقاة من وسط الضلع الجنوبية للقاعدة وتنتهي في القمة بغرفة صغيرة مستديرة علوها ستة أمتار لها باب من الجهة الجنوبية ، ويبلغ ارتفاعها - أي الملوية - على سطح الأرض ٥٢ متراً .

وذكر ياقوت أن المتوكل أنفق على بناء المسجد الجامع خمسة آلاف ألف درهم .

والرأي السائد أن مثلثة سامراء بنيت على غرار الأبراج البابلية المدرجة (الزقورات) والمنشآت الصينية في عهد تانج .

٢ - جامع أبي دلف :

وقد بُني بسامراء جامع يعرف بجامع أبي دلف ، ومساحة هذا الجامع أقل قليلاً من جامع سامراء ، وهو مستطيل الشكل ، طول ضلعه الكبير ٢١٥,٤٧ متراً وضلعه الصغير ١٣٨,٢٤ متراً ، وفي وسطه صحن مكشوف مستطيل الشكل أيضاً ، وحول الصحن من جوانبه الأربعة ، أربعة عدها في الضلع القبلي خمسة



★ ساعة الروضة العسكرية ذات الوجه القبلي ★

أربعة ، وفي الأضلاع الأخرى رواقان وما تزال أساطين هذه الأروقة المشيدة بالاجر والجص قائمة وكذلك أقواس بعضها .

وقد قامت مديرية الآثار العراقية بتقوية معظم هذه الأساطين وصيانة عدد من الأقواس ، واليوم بإمكان الزائر مشاهدة هذا الأثر العباسي وقد أعيد له طرازه الأول بفضل الجهود المبذولة من أجل الحفاظ عليه وإظهاره بالمظهر الذي يليق به كآثر عربي إسلامي .

وسور الجامع مشيد بالدين ، ودلت التنقيبات أن سمك هذا السور لا يقل عن ١,٦٠ م وأنه كان في أركانه الأربعة أبراج مستديرة ويدعم كل جانب من الجانبين الشرقي والغربي عشرة أبراج نصف دائرية . وفي الضلع الشمالي ثمانية أبراج وفي الضلع القبلي عشرة أبراج أيضاً .

ولجامع التوكلي (جامع أبي دلف) ثمانية عشر باباً ، ثلاثة منها في ناحية القبلة وتفضي إلى مشتملات تتصل بالضلع الجنوبي ويبدو أن هذه الأبنية كانت معدة لاستراحة الخليفة إذا جاء لصلاة الجمعة وكان يدخل إلى الجامع من باب بجانب الحراب .

أما مثلثة الجامع فإنها تشبه ملوية جامع سامراء ، وهي ذات مرقاة خارجية وهي أصغر حجماً من ملوية سامراء ، ويبلغ علو المثلثة نحو ١٩ متراً ، وتبدأ المرقاة من بين الباب وتدور ثلاث دورات كاملة باتجاه معاكس لدوران عقرب الساعة .



٣ - دار الخليفة أو دار العامة :

ومن أهم الممارات التي كانت في سامراء ، والتي لا تزال آثارها شاخصة ، **دار الخليفة أو دار العامة** التي كان الخليفة يجلس فيها أيام الاثنين والخميس ، وكانت تسمى أيضاً « **دار السلطان** » أي دار الحكم .

وتقع هذه الدار في شمال مدينة سامراء الحالية بقليل ، فتمتد في الأراضي المرتفعة على طول ضفة نهر دجلة اليسرى إلى مسافة سبعة مائة متر تقريباً . أما المسافة التي بين واجهة الدار ومنتهى بناياتها الخلفية في جهة الشرق فلا تقل عن (٨٠٠) متر .

وأمام الدار في جهة نهر دجلة سهل واسع يمتد غرباً مسافة حوالي (٦٠٠) متر حتى يصل بجافة النهر . والمعتقد أن السهل المذكور كان مقسماً إلى بساتين وحدائق منسقة تمتد بين واجهة الدار ونهر دجلة .

وتقع بناية الدار على ارتفاع ١٧ متراً تقريباً من مستوى السهل ، ويلاحظ المتفرج هناك معالم **الدرج العريض** الذي كان يصل أرضية الدار بالسهل المذكور .

وبناء على ذلك يمكن تقدير مساحة بنايات الدار ومشمولاتها بما لا يقل عن نصف مليون متر مربع (نحو ٢٠٠ مشاركة) . وقد قدر « **هرزفولد** » مجموع المساحة التي يشغلها القصر ، بما في ذلك **الممرات والقاعات والحمامات والشكنات** الكائنة في الطرف الشمالي الغربي للقصر ، وكذا **الحمامات** التي تشرف على دجلة بـ (١٧٥) هكتاراً ، أي حوالي (٧٠٠) مشاركة عراقية ، وذلك عدا مساحة الساحة الامامية التي تمتد في السهل إلى شاطئ دجلة وهي حوالي أربعمائة ألف متر مربع (زهاء ١٦٠ مشاركة) .

ويستفاد مما كتبه **اليعقوبي** أن الدار المذكورة بنيت على أرض الدار الذي اشتراه المتعصم عندما اعتزم البناء في سامراء .

وقد لاحظ أطلال هذه الدار **المهندس الفرنسي فيوليه Viollet** سنة ١٩٠٧ م ، فرسم صورة خيالية للدار حسباً لتصوّر حالتها الأصلية ، ثم اشتغل **هرزفولد** الألماني الجنسية قبل الحرب العالمية الأولى في اظهار بقايا الدار فقام بتنقيبات وحفريات منتظمة كشف خلالها معظم أقسامها ، واكتشف **قاعة العرش وعُرف التشريفات والحمام ودوائر الحرم** ... كما عثر على آثار كبيرة وصور بديعة و**مواد خزفية ثمينة** . وقد وضع **هرزفولد** تخطيطاً للدار حسب ما تصوره على ضوء نتائج حفرياته .

وأهم ما يستلفت النظر في بقايا هذه الدار **الأواوين القائمة** في المدخل المطل على السهل الغربي الذي يتصل بشاطئ دجلة . أما بقية الأقسام فقد أصبحت آكاماً حيث إن ما اكتشفه **هرزفولد** من مشتملات الدار اقتلع أجره من قبل الأملين لاستعماله في عباراتهم المختلفة ، ولذلك لم يبق من الغرف والقاعات التي اكتشفها **هرزفولد** غير **الأنقاض الكنسية** . وكانت هذه الأواوين بمثابة مدخل الدار فكانت تسمى « **باب العامة** » .

ويتألف **باب العامة** هذا من ثلاثة أواوين رأسية العقد أكبرها **الإيوان الوسطي** ، وهو مستطيل الشكل طوله ١٧,٥ وعرضه ٨ أمتار ، جداراه الجانبيان يحملان عقادة رأسية ترتفع قمتها عن الأرض ١٢ متراً ، وواجهته الامامية التي تطل على السهل مفتوحة بكاملها . وأما ضلعه الخلفية لمسندود بجدار شاقولي ، فيه باب كبير يبلغ عرضه ٣,٨ أمتار وارتفاعه سبعة أمتار . وقد دلت التحريات على أن هذا الباب كان يفضي في الأصل إلى سلسلة قاعات كبيرة توصل إلى **غرف الخليفة وقاعة العرش** . على أن جدران هذه الغرف والقاعات قد اندرست تماماً . وأما **الإيوانان الجانبيان** فهما أقل عرضاً وطولاً من **الإيوان الوسطي** ، فإن عرض الواجهة في كل منهما عبارة عن أربعة أمتار ونصف المتر ، وأما الطول فلا يتجاوز الأربعة أمتار . وفي الجدار الخلفي باب مرتفع تعلوه نافذة ، ويفضي هذا



★ جانب من بقايا جامع أبي دلف الذي يشهد حالياً حركة تعمير ★

الباب إلى قاعة خلفية كبيرة رأسية العقد مثل عقد **الإيوان الوسطي** . وفي جانب **الإيوان الشمالي** باب آخر يفضي إلى غرفة مربعة متصلة بغرف أخرى ظهرت جدرانها الباقية عند رفع الأنقاض سنة ١٩٣٧ م ، كما يوجد بجانب **الإيوان الجنوبي** سلسلة غرف ظهرت جدرانها كذلك عند رفع الأنقاض في السنة المذكورة . وكانت **الأواوين** المذكورة مزودة بزخارف جصية شاهد قسماً منها « **فيوله** » في عملها ، وعثر **هرزفولد** على قسم منها بين الأنقاض خلال تنقيباته ، كما عثرت مديرية الآثار القديمة على البعض منها عندما رفعت الأنقاض .

ويوجد في الجهة الشرقية الخلفية من القصر في اتجاه محور **الإيوان الكبير** سرداب يسميه الناس « **هاوية السباع** » ويتألف من حفرة مربعة منقورة في الصخر ، وتتوسطها بركة كبيرة مستديرة ، وقد نقرت في كل ضلع من أضلاع الحفرة الأربع ثلاثة أواوين نقشت على جدرانها نقوش جصية جميلة . ومن المرجح أن سبب تسمية هذه البركة **هاوية السباع** هو أنه كان عدد من السباع بالقرب من **الهاوية** ، فسميت بهذا الاسم . هذا إذا صح اعتبار كون هذه التسمية ترجع إلى العهد الذي أنشئت فيه **الهاوية** . وبما يدل على أنه كان بعض السباع في دار العامة مما ذكره **الطبري** في حوادث سنة ٢٥٥ هـ ، من أن **المهتدي** أمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان . فكتب في هذا الصدد قائلاً ما نصه : « وفي سنة ٢٥٥ هـ ، أمر **المهتدي** بإخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامراء ونفيهم منها إلى بغداد ... وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان ، وطرده الكلاب وإبطال الملاهي إلخ ... » .

ويشاهد في القسم الشمالي من القصر في الجهة الشمالية الغربية للسرداب والجهة الشمالية الشرقية للأواوين حفرة أكبر وأعمق من الحفرة الأولى محاطة ببناية مربعة الشكل كثيرة التقسيمات ، لا يقل طول ضلعها عن ١٨٠ متراً . وفي وسط هذه الحفرة بركة يبلغ قطرها نحو (٨٠) متراً . وعلى الأرجح أن الحفرة الأولى كانت مسقوفة والثانية مكشوفة ، وذلك لتسغل الأولى في النهار والثانية في الليل ، وهناك ما يدل على أن هاتين البركتين أنشئت على عهد **الموتوكل** نظراً لما لدينا من دلائل على أن القناة التي عمود البركتين المذكورتين بالماء - وهي القناة التي كانت تبدأ من نهر دجلة من فوق (الدور) وتنتهي في سامراء - أنشئت في عهد **الموتوكل** .

ذلك العهد . على أننا نميل إلى الأخذ بالرأي الأول وهو ترجيح كون البناء ضرباً لشخصية مهمة ، لأن البناء أشبه بقبب الأضرحة منه إلى أي طراز آخر . ولا بد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن البناء يقع في أعلى نقطة من هذه المنطقة ، وهذا يتفق والعادة المتبعة بإقامة المقابر على الأماكن المرتفعة .

ومما يجدر ذكره أن هرتسفيلد يرى أنه من المحتمل جداً أن تكون «قبة الصليبية» موضع قبر المعتصم الذي كان قد أنشئ في شهر ربيع الثاني من سنة ٢٤٨ هـ ، استناداً إلى ما ذكره الطبري من أن المعتصم هو أول خليفة عباسي عُرف قبره .

ويرى هرتسفيلد أيضاً أن مقبرة المعتصم هذه كانت تضم قبري المعز والمهتدي استناداً إلى قول الطبري أيضاً من أن المعتز لما مات في سنة ٢٥٥ هـ ، أشهد على موته «بنو هاشم» والقواد فدفن مع المعز في ناحية قصر الصوامع .

ويرى كريزويل أنه إذا صح رأي هرتسفيلد هذا أمكن أن نعد هذه القبة من بين أقدم المقابر الإسلامية ، كما أنه يرى أن القبة تعود إلى عهد متأخر من عصر سامراء العباسي لأنها مبنية بنفس المادة التي بني بها «قصر المعشوق» وهو القصر الذي أنشئ على عهد المعتمد .

٥ - قصر المعشوق :

هو القصر الذي يعد من أعظم قصور المعتمد وأضخمها ، بناه في أواخر أيام حكمه في سامراء على الجانب الغربي من نهر دجلة . ويعرف هذا القصر الآن بين الناس باسم العاشق ، وما تزال أطلاله وآثاره شاخصة إلى اليوم .

يتكون القصر من طابقين . الطابق الأول قد تحول الآن إلى سراي . أما شكل القصر فهو مستطيل يبلغ طوله ١٣١ متراً وعرضه ٩٦ متراً وقد حوط بساحة مسورة ، ويشاهد في هذه الساحة بين القصر وبين السور الخارجي عدة مباني فرعية . ويدور حول القصر خندق واسع كان يستمد مياهه من قناة جوفية (كهريز) كانت ننحدر من العيون التي في أراضي الجزيرة الغربية المرتفعة فتفضي إلى خندق القصر الذي كان مرتفعاً بالنسبة إلى منسوب نهر الإسحاق .

ويبدو أن بناء المعتمد لقصره هذا في منطقة نائية ، كان مدعاة لحمل البعض على التماس عذره أو سبب لذلك ، فقد أشار بعضهم إلى أن الخليفة المعتمد قد تزوج بامرأة أعرابية بدوية من نجد ، وكان كثير الشغف بها ، شديد الميل إليها ، غير أنها كانت تبدو على الدوام كتيبة حزينة ، وحين سألها المعتمد عن بواعث هذا الحزن والكآبة على الرغم مما هي فيه من محبوبحة العيش ، وغضارة الحياة ، أجابته أن كل ما همس لها من أسباب الراحة والتعم لا يساوي ما كانت تألفه في بيتها البسيط (بيت الشعير) وما تسمعه من أصوات الغم ورياء الإبل إلى غير ذلك مما تراه وتشهده في حياة البادية البسيطة . فعجب المعتمد منها ، وعزم على ابتناء قصر لها في غربي دجلة ، وفي منطقة نائية ، سماه «معشوقاً» وأمر أصحاب البادية أن يرسلوا أغنامهم وجمالهم حول القصر ، فأكادت الأعرابية ترى ذلك حتى تذكرت أهلها وحلت إلى مهدى ، فاجهشت بالبكاء وأنشأت تقول :

وما ذنب أعرابية قذفت بها

عروف النوى من حيث لم تك ظننت

تمنت أحاليب الرعاة وخيمة

بنجر فلا يقضى لها ما تمتنت

إذا ذكرت ماء العذيب وطيبه

ويرد حصاه آخر الليل أنت

لها أنة عند العشاء وأنة

سحيراً ، ولولا أنتاه لجننت



★ بقايا دار العامة أو قصر الخليفة ★

ويستدل من المدونات التاريخية على أن الخزانين الخاصة والعامة كانت في دار العامة ، فذكر يعقوب أن الخزانين المذكورة كانت في (شارع السريجة) ، مما يلي دار العامة شمالاً . وقد أيد الطبري وجود الخزانين في دار العامة وسماها (بيت المال) . وقد عين هرزفيلد مكان الخزانة العامة في الزاوية الشمالية الشرقية من الحفرة الكبيرة حيث تقع هناك آثار بنائية كثيرة التفسيات .

وفي منتهى قصر الخليفة من جهته الشرقية خلف السرداب حلبة سباق تتكون من حلقة مستطيلة تمتد طولاً إلى جهة الشرق ، فيبدأ داخلها ضيقاً من عند القصر ثم يتوسع تدريجياً على طول الحلقة حتى يبلغ أقصى سعته في الرأس الثاني شرقاً . وكانت هذه الحلبة تمتد إلى مسافة خمسة كيلومترات ونصف فتكون منحنيًا منتظماً مسدوداً يبلغ طول محيطه حوالي أحد عشر كيلومتراً ونصف كيلومتر .

وتوجد في الجهة الشرقية من قصر الخليفة ، خلف (هاوية السباع) ، ساحة مسورة مستطيلة الشكل ، وتمتد من الشمال إلى الجنوب بين هاوية السباع وبين الرأس الضيق للحلقة الخلبة بطول ٥٣٠ متراً ، أما عرضها فيبلغ حوالي ٦٥ متراً . وتوجد آثار بنائية مرتفعة في منتصف القسم الخلفي من سور هذه الساحة ، أي في الضلع الشرقية التي تمتد في الطول وتتصل برأس الحلبة ، ويظهر أن هذه البناية كانت معدة للتفريج منها على الألعاب والمسابقات ، لأنها مظلة على الساحة من جهة ، وعلى حلبة السباق التي تمتد خلف القصر من جهة أخرى .

٤ - القبة الصليبية :

هي عبارة عن بناية مثمثة الشكل من الدن الحصني تتوسطها قاعة مربعة يحيط بها رواق مثنى ، وقد أجمع الأخصائيون على أنها كانت منوجة بقبة وقد رسم هرزفيلد مخططاً مفصلاً لهذه البناية كما أنه رسم مقطعاً عرضياً للبناية . ونظن البعض أن هذه البناية كانت ضرباً لأحد الخلفاء . ويرى آخرون أنها كانت منظرية على رأس الجسر من الجهة الغربية وهي في نفس الوقت قبة حراس الجسر نظراً لوقوعها أمام الجسر تماماً ، ويرى هؤلاء أيضاً ، أن من المحتمل أن تكون البناية سميت بالصليبية لصلب بعض الأشخاص على رأس الجسر بالقرب منها ، لا سيما أن التاريخ يذكر كثيراً من مثل هذه الحوادث حيث كان الصلب مألوفاً في

الخاتمة

تبها لمدينة سامراء من العوامل المختلفة ما بواها مركزاً قديماً بين أمثالها من المدن ، وتيسر لها أن تغطي بالكثير من اهتمام الخلفاء والوزراء ، وأن تنشئ لها طريقاً بارزاً في الميادين المختلفة .

إن قصة هذه المدينة ، لا تخلو من الغرابة حقاً ، فقد بنيت واتسعت وازدهرت في حقبة قصيرة من الزمن ، بل تبها لها أن تنافس العاصمة الأصلية (بغداد) في كل أمر من الأمور ، واتخذت عاصمة لأكبر إمبراطورية إسلامية مدة أربعت على نصف قرن ، واستطاعت أن تخطط خطوط واسعة في معارج الحضارة ، مما لا نجد لها نظيراً في تاريخ المدن القديمة .

وقد اشتهرت سامراء على الرغم من عمرها القصير بعماراتها الضخمة ، وقصورها الفخمة ، ومساجدها الفسيحة ومآذنها الشاهقة ، وقد وصفت لنا كثير من المصادر عظمة قصورها وروعة عمارتها . كما وصفت لنا المراجع الحديثة ببناء قصورها ومبانيها وما كانت تشتمل عليه من باحات وصحون ، وأروقة وحمامات ، ومجاري وسرايب . وما كانت تزين به هذه الدور من الزخارف والنقوش وما تتحلى به شبابيكها من الزجاج المتنوع الألوان .

ولا شك في أن العوامل التي تهيأت لهذه المدينة كان لها أكبر الأثر في ازدهارها عمرانياً وفنياً . . وأن توافد الفنانين المهرة من مختلف البلدان إليها ، وما كانوا يلقونه من تشجيع الخلفاء وإكرامهم من أهم العوامل في روعة عمرانها وتقدمها الفني ، إذ التقى فيها الفن اليوناني والفن السرياني القبطي والفن الهندي الفارسي ، وكانت سامراء البوثة التي انصهرت فيها هذه الفنون جميعها وبرز من ذلك فن جديد هو الفن الإسلامي .

ونحن نلاحظ المراجع أن لهذه المدينة أثراً لا ينكر في غيرها من المدن فما يخص ناحيتي العمارة والفنون . ولا تزال آثارها تزين متاحف العالم الشهيرة .

المراجع المعتمدة

١ - يونس أحمد السامرائي :

فلما سمع المعتد أبياتها ، رقى لها ، فأرسلها إلى أهلها في البادية ، ولم يقطع علاقته بها .

واختلفت الروايات في اسم الشخص الذي نذبه المعتد للقيام ببناء هذا القصر ، فأشار الصائبي في كتاب (الوزراء) إلى أن الذي قام ببنائه هو (محمد ابن عبد الله خاقان) في حين ذكر باقوت الحموي أن الذي نذب لهذا الأمر هو علي بن يحيى المنجم ويذكر أن معز الدولة نقض أكثر هذا القصر في سنة (٣٥٠هـ) وحمل أجره إلى بغداد ليبني به داره ومرافقها بالشهاسية ، وأن الأمير عماد الدولة أبا العلاء رافع بن يمين الدولة مقبل بن بدران العقيلي أمير العرب عبر على هذا القصر فكتب عليه من نظمته :

مررت على المعشوق والدمع سائح

على صحن خدي ما أطيق له ردا

فقلت له أين الذين عهدتهم

يقضون عيشاً في زمانهم رغدا

فقال مضوا واستخلفوني كما ترى

ويادوا فما يغشون خراً ولا عبدا

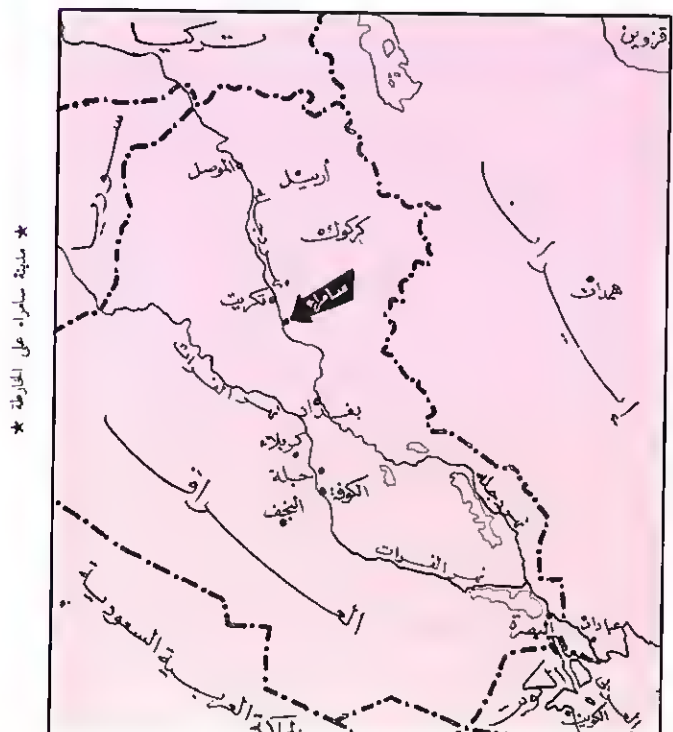
٦ - الروضة العسكرية وسرداب الغيبة :

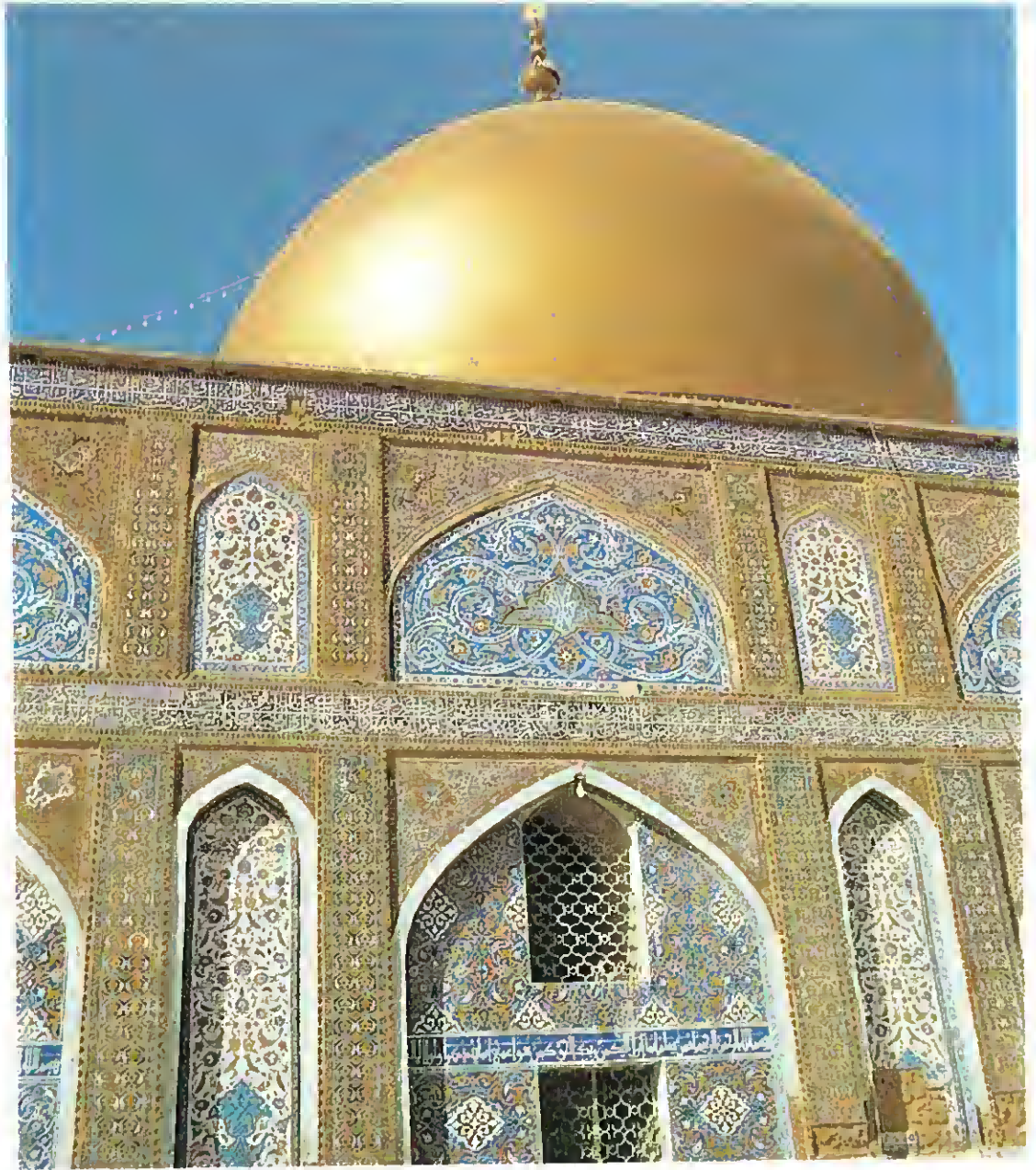
تقع الروضة العسكرية في قلب مدينة سامراء الحديثة ، حيث ضريح الإمام علي الهادي والحسن العسكري وعليه قبة طلعت بالذهب سنة ٢٥٤هـ دفن في وسط داره ، ولما توفي الإمام الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ دفن بجنبه . وفي جانب الضريح ، الجامع . وتعلو بنايته قبة يزيناها كل شيء ملون مزخرف . وتحت الجامع سرداب الغيبة ، (غيبة الإمام الثاني عشر) محمد بن الحسن العسكري . وهو السرداب المعروف باسم «غيبة المهدي» . وفيه باب خشبي جميل ، عمل سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م ، بأمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، تزينة كتابة نسخية جميلة تبرز على أرضية مزخرفة .

ويزين جدران السرداب كاشي ملون ومزخرف . ويمتد على طول الجدران الثلاثة نطاق من الخشب طوله ٨٠م ، فيه كتابة كوفية بارزة .

الخلفاء الذين حكموا في سامراء زمن بني العباس

التسلسل	اسم الخليفة	فترة الحكم بالتاريخ الهجري		فترة الحكم بالتاريخ الميلادي	
		من	إلى	من	إلى
١	المعتصم	٢١٨	٢٢٧	٨٣٣	٨٤٢
٢	الواثق	٢٢٧	٢٣٢	٨٤٢	٨٤٧
٣	المستعبر	٢٣٢	٢٤٧	٨٤٧	٨٦١
٤	المنتصر	٢٤٧	٢٤٨	٨٦١	٨٦٢
٥	المستعبر	٢٤٨	٢٥١	٨٦٢	٨٦٦
٦	المعتز	٢٥١	٢٥٥	٨٦٦	٨٦٩
٧	المهتدي	٢٥٥	٢٥٦	٨٦٩	٨٧٠
٨	المعتد	٢٥٦	٢٧٩	٨٧٠	٨٩٢





★ النفوس والقيفساء الرائعة كما
تبدو من خلال واجهة الروضة
المسكونة ★

- إصدار مديرية الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الإرشاد - بغداد ١٩٦٢ م .
- ٧ - د . طاهر مظفر العميد :
العبارة العباسية في سامراء - وزارة الإعلام - بغداد ١٩٧٦ م ، السلسلة
الفنية .
- ٨ - الدكتور أحمد سوسة :
ري سامراء - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٤٨ م .
- ٩ - مديرية الآثار القديمة (العراقية) :
سامراء - مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٤٠ م .
- ١٠ - بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد :
ما كتبه عن سامراء في مجلة (سومر) المجلد ٨ ، ج ٢ ، سنة ١٩٥٢ م ،
بغداد .

(★) لم نذكر المصادر القديمة لكثرتها واعتمدنا المراجع الحديثة أعلاه لأنها
احتوت أغلب ما ورد في المصادر القديمة .

- سامراء في أدب القرن الثالث الهجري - مطبعة الإرشاد / بغداد ١٩٦٨ م .
- ٢ - يونس الشيخ إبراهيم السامرائي :
تاريخ مدينة سامراء - الجزء الأول - مطبعة دار البصري / بغداد ١٩٦٨ م ،
الطبعة الأولى .
- ٣ - الدكتور مصطفى جواد :
ما كتبه عن (سامراء قديماً) في (موسوعة العتبات المقدسة) قسم سامراء - الجزء
الأول - الطبعة الأولى - دار المعارف / بغداد .
- ٤ - الدكتور حسين أمين :
ما كتبه عن (سامراء في ظل الخلافة العباسية) ضمن المرجع السالف الذكر
نفسه .
- ٥ - جعفر خياط :
ما كتبه عن (سامراء في المراجع الغربية) ضمن المرجع السالف الذكر نفسه .
- ٦ - طه باقر ، وفؤاد سفر :
المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة - الرحلة الثانية - بغداد - سامراء - الحضر .

لوحة وفن

• موناليزا •

● تعتبر لوحة موناليزا من أشهر اللوحات في تاريخ الفن ، وجمال تلك اللوحة يتمثل في أنه تصوير لامرأة جميلة لها عمق كامل للشخصية ، وأيضاً في جمال

ابتسامتها المعبرة وجمال فمها الذي يدل على أن النبض يخفق ، ونعومة الأيدي وعيناها المعبرتان اللتان تجدهما تنظران إليك من كل زاوية ، إضافة إلى الخلفية التي تمثل جمال الطبيعة .

● ظل الكتاب طوال أكثر من أربعائة سنة مشغولين بالبحث والأفكار التي قد تكون

كامنة خلف ابتسامتها الغامضة ، فأصبحت موناليزا شخصية حية في التاريخ الثقافي كجوليت بطة شكسبير ، وهي تعبر تعبيراً غمطياً عن حقبة من حقبة التطور الإنساني .

● في هذه اللوحة سيطر دافنشي على التكنيك الفني وخصوصاً في الإحساس بلامسة الأشياء المختلفة ، وأبدع بشكل

يقنع العين الناطرة بالمكان ذي الأبعاد الثلاثة ، وأجساد في استخدام الضوء وسقوطه على الأشياء ، كما أنه قد تفوق في

التعبير عن انفعالات موناليزا من خلال تعبيرات الوجه وحركة اليدين .

• ليوناردو دافنشي •



● ولد بإيطاليا عام ١٤٥٢ م ، وتوفي عام ١٥١٩ م .

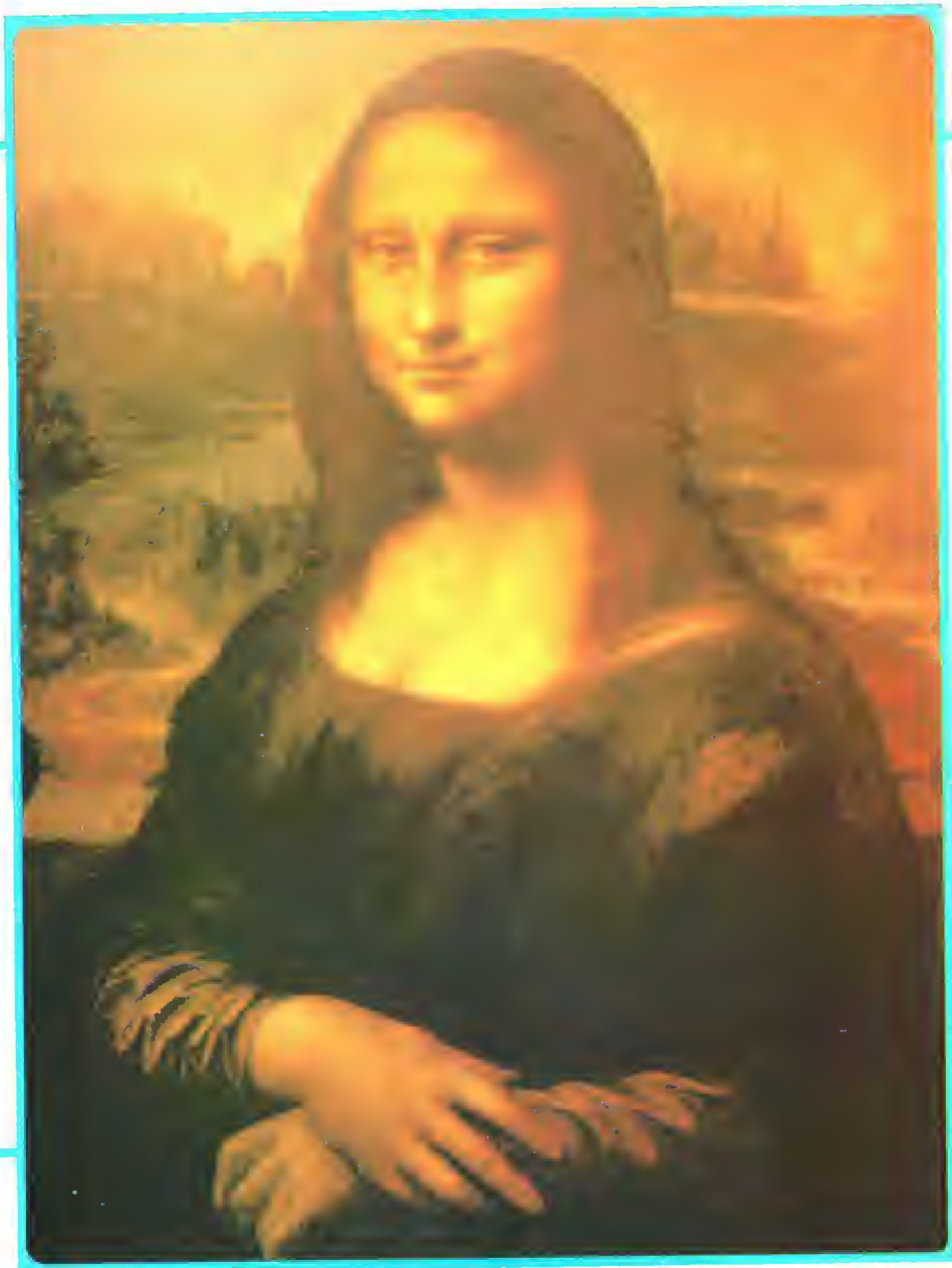
● كان مثالا لعصر النهضة حيث تميز بقوة التفكير والعاطفة والشمولية والمعرفة ، لذا فقد كان رساماً ونحاتاً ومهندساً معمارياً ومهندساً ميكانيكياً ، وعالمًا فيزيائياً وبيولوجياً ، ورياضياً وموسيقياً وفيلسوفاً .

● العمل الفني في نظره هو مجوم على مشكلة من المشكلات الإنسانية والفنية التي لم تحل من قبل ، مع دراسة شاملة لكل تشعباتها .

● المنظر الطبيعي عنده يعني دراسة الماء والهواء والرياح والأمطار والمنظور ، وعلم النبات وأيضاً فن عمل الخرائط ، كما أن رسم المعارك يجب أن يحتوي على

فلسفة الحرب .

● احتوى فنه على تيارين رئيسيين لا يمكن التوفيق بينهما ، الأول هو التعبير عن جمال الذات الإنسانية ، والثاني هو التعبير عن القبح والرعب والقسوة والوحشية التي يمارسها البشر إزاء بعضهم ، وتمثل التيار الأول لـ «موناليزا» ، أما التيار الثاني فتمثله لوحة «معركة إنغياري» .



كولور بارست للتصوير الفوري

بجهاز
مهيئة للضوء
الفاطمة!

SPOT-THOMPSON



كولور بارست

للتصوير الفوري

الوان ساطعة من كوداك





رجاء النقاش



أجرى اللقاء :

خليل إبراهيم الفزيع

من الملاحظات التي سجلها الناقد الأستاذ رجاء النقاش في أحد كتبه وهو كتاب «صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر» أن «النقاد الكبار في الأدب العربي، وفي سائر الآداب العالمية، يبدوون بنقد الأدب وينتهون في سنوات النضج بنقد الحياة، ولذلك فإن كثيرين منهم قد انغمسوا في دوامة السياسة، لأن الأدب الجميل لا يمكن أن يوجد في حياة غير جيدة».

الرواية مرتبطة بالوعي الاجتماعي

بدأت مصر تفتح عينها على العصر الحديث، ثم اندفعت في مجال النهضة والتطور بعد الحملة الفرنسية مباشرة، أي في عهد محمد علي، ومنذ أوائل القرن الماضي ومصر تحاول أن تنهض وتقدم نموذجاً حياً للاستفادة من الحضارة الأوروبية الحديثة، والرواية في صورتها الحديثة هي شكل فني أوروبي، رغم أن العرب قد عرفوا في تراثهم القديم بعض الأشكال القصصية، مثل «ألف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة» و«المقامات»، إلا أننا نتحدث عن الرواية باعتبارها شكلاً أدبياً خاصاً، هو ذلك الشكل المعروف لدينا الآن، والذي أخذناه عن أوروبا، كان لا بد لمن يبدأ فن الرواية الحديثة في الأدب العربي أن يكون متصلاً بأوروبا، وهذا ما كان. فأول رواية عربية فيما أعلم هي رواية «علم الدين» التي كتبها علي مبارك «باشا» سنة ١٨٥٨ م، لقد كان علي مبارك أحد زعماء النهضة العربية الذين تعلموا في الغرب، فقد سافر إلى فرنسا سنة ١٨٤٤ م، وعاد سنة ١٨٥٠ م، وكتب روايته «علم الدين» بعد عودته من فرنسا ودرسته للثقافة الفرنسية، وتأثره بهذه الثقافة تأثراً (واضحاً).

ودعنا نعود إلى رواية علم الدين نفسها لنجد علي مبارك الذي كتب روايتين منذ مائة وعشرين سنة تقريباً، يشير في مقدمة هذه الرواية إلى الدافع الذي جعله يفضل هذا الشكل الروائي في التعبير عن أفكاره، وهو نفسه الدافع الأصلي الذي جعل الفن الروائي يولد في العالم كله، مع اختلاف الظروف الاجتماعية والثقافية بيننا وبين الغرب.

يقول علي مبارك في مقدمة روايته ما يلي بالنص: «... وقد رأيت النفوس كثيراً ما تميل إلى السير والقصص وملح

لا أعرف لماذا تذكرت هذه الملاحظة بالذات وشغلت ذهني وأنا في الطريق إليه لإجراء هذه المقابلة، فهو واحد ممن تنطبق عليهم هذه الملاحظة لأنه في الفترة الأخيرة انصرف للكتابات الصحفية ذات العلاقة بهيومان الناس والحياة والسياسة خاصة بعد أن أصبح مديراً لتحرير جريدة «الرأية» القطرية، والعمل الصحفي يحتاج إلى انصراف كلي لمتابعة مراحل المختلفة، وانشغال دائم بأمره العديدة، خاصة إذا أريد لهذا العمل أن يكون ناجحاً.

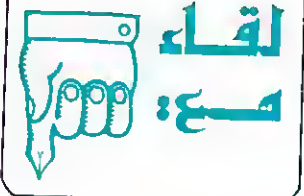
ولعل القارئ يلاحظ أن إجاباته على جميع القضايا المطروحة اتسمت بالصراحة والعمق وهما صفتان يميزان كل ما يكتبه رجاء النقاش أو يقوله... لأنه ينظر إلى الكتابة على أنها (ليست مباحاً تبخر بمرور الأيام، وليست دخاناً يتبدد في الهواء... كل كلمة تطارد كاتبها، وتمسك بخناق وتجرى وراءه، وتطالب بالحساب الصحيح والجزاء العادل... ليس هناك كلمة تضيق في الهواء، أو خطأ يخشى إلى الأبد، أو موقف شريف وحقيقي يمكن أن يضيع). كما قال في كتابه «عباس العقاد بين اليمين واليسار».

ازدهار الرواية العربية

● ما سبب ازدهار الرواية في مصر دون غيرها من البلاد العربية؟

«الإجابة فيما أتصور هي أن مصر قد سبقت سائر أنحاء الوطن العربي في النهضة الحديثة، فأن دخل نابليون مصر سنة ١٧٩٨ م،

رواية "علم الدين" لعلي



الكلام بخلاف الفنون البحتة ، والعلوم المحضة ، فقد تعرض عنها في كثير من الأحيان ، لا سيما عند السامة والملال من كثرة الاشتغال وفي أوقات عدم خلل البال ، فحداني هذا إلى عمل كتاب أضمنه كثيراً من الفوائد في أسلوب حكاية لطيفة ، ينشط الناظر فيها إلى مطالعتها ، ويرغب فيها رغبته فيما كان من هذا القبيل فيجد في طريقه تلك الفوائد ينالها عفواً بلا عناء ، حرصاً على تعميم الفائدة وبث المنفعة .

هذه هي كلمات علي مبارك ، وهي تحديد مباشر وبسيط وأولي لمعنى الفن الروائي .

وهكذا نرى أن مصر كانت أول بلد عربي عرف فن الرواية ، لأنها كانت أول بلد عربي تنهض من جو العصور القديمة ، وكانت أول بلد عربي يتصل بأوروبا ، اتصال صراع خلال الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ م ، واتصال ثقافة وحضارة وتعلم البعثات التعليمية في أوروبا في عهد محمد علي ، وكان علي مبارك من مشيئ فن الرواية العربية فيما آنصور ، أحد تلاميذ البعثة الخامسة التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا سنة ١٨٤٤ م .

هذا هو السبب الأول الذي جعل مصر تسبق إلى فن الرواية ، يضاف إلى ذلك أسباب أخرى أهمها سببان :

● **السبب الأول :** هو أن مصر تتميز بالكثافة السكانية ، وفي رأيي الخاص ، أنه لا يمكن أبداً للرواية أن تظهر وتزدهر إلا في بلد يتميز بهذه الكثافة ، فهذه الكثافة تعطي الكاتب فرصة للحديث عن الصراع الاجتماعي والنفسي ، وتقدم للكاتب مادة غنية عن الشخصيات والوقائع المختلفة التي يمكن أن تكون أساساً لعمل خيال الفنان من خلاله ، أما البلاد المحدودة السكان ، فإنها لا تعطي فرصة كافية لوجود المشكلات أو المادة الخام التي يمكن من خلالها أن توجد الرواية وتتطور .

● **والسبب الثاني :** هو ما يمكن أن نسميه بنشأة الوعي القومي في مصر بشكل مبكر ، فقد شعرت مصر بوجودها في وجه الاستعمار الإنجليزي ، وظلت تحارب هذا الاستعمار منذ دخوله البلاد سنة ١٨٨٢ م ، إلى خروجه منها سنة ١٩٥٤ م ، وهذا الوعي هو حافز أساسي من حوافز الإبداع وحافز أساسي - بالتحديد - من حوافز الإبداع الروائي ، ففي العادة يرتبط الوعي القومي بسؤال تطرحه الأمة على نفسها هو : من نحن ؟ وما هي شخصيتنا ؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال يتفجر الإبداع الفني الروائي بصورة كبيرة عند جميع الشعوب ، الرواية الأميركية منذ منتصف القرن الماضي في نماذجها الرائعة تطرح هذا السؤال بالنسبة للشعب الأميركي ، على سبيل المثال ، رواية «كوخ العم توم» المشهورة للكاتبة «هاريت

ستو» ، التي باعت خلال مائة سنة ما يزيد على خمسة وعشرين مليون نسخة . . . هذه الرواية قومية إنسانية ، تحاول أن ترسم صورة سليمة للشخصية الأميركية ، وتحاول أن تؤكد أن الزوج هم بشر وأميريكيون مثلهم مثل البيض ، وهذا ما يمكن أن نقوله عن الطابع القومي لروايات أميركية أخرى كتبها كتاب معروفون مثل همتجواي وفاست وقوكنر ومرجريت ميتشل صاحبة رواية «ذهب مع الريح» المعروفة جداً ، وخاصة بعد أن ظهرت في فيلم شهير ، وهذا ما نجده في الرواية الروسية عند تولستوي ودستوفسكي وتورجنيف ، وهذا ما نجده عند ديكنز في الرواية الإنجليزية ، ونجده عند بلزاك وفلوير وهوجو في الرواية الفرنسية ، فالطابع القومي أساسي في نشأة الرواية ونهضتها ، وهذا ما كان في مصر ، فالرواية الأولى في الأدب العربي «كما أشرنا» هي رواية «علم الدين» لعلي مبارك وفي مقدمة هذه الرواية يقول الكاتب عن بعض دوافع تأليفه لها : وإني المعترف بفضل هذا الوطن العزيز فقد نشأت في ظله ، وتقلبت في مهده وتربيت في حجر كفالته وتعهده ، حتى صرت من أبنائه المعدودين ، ورجاله المعروفين وثمرته صغيراً وكبيراً بكثير من خيراته وثمراته ، ولا أزال متنعماً بطيباته ، فأجدني ، وإن استوفيت الجهد ، وقضيت العمر في خدمته ، لم أقم بعشر معشار ما عليّ من واجباته وحقوقه . . .

فدافع علي مبارك لكتابة روايته هو حبه لوطنه وإيمانه بقوميته .

العلاقة بين الرواية والشعر

● هل انتشار الرواية في العالم العربي يعني انحسار موجة الشعر ؟

« إذا فهمنا الشعر بمعناه «الشكلي» المباشر والذي يتمثل في القصيدة» فن المؤكد أن انتشار الرواية سوف يعني انحسار الشعر ، لأن الرواية تتيح فرصة أوسع للتعبير عن المشاكل الموضوعية التي يتعرض لها الإنسان ، فهي من هذه الناحية أكثر قابلية للاستيعاب والتعبير عن الواقع الإنساني ، وأرجو ألا نندفع هنا إلى تلك المناقشة القديمة التي أثارها «العقاد» منذ أكثر من ثلاثين سنة في كتابه الصغير «في بيتي» ، حيث قارن بين الشعر والقصة ، وفضل الشعر على القصة تفضيلاً كاملاً وقال يوماً ما معناه إن بيتاً واحداً من الشعر يستطيع أن يحمل من العاطفة والجمال والتأثير أكثر مما تحمله مئات الصفحات في أي قصة ، وضرب العقاد مثلاً بيت «الشريف الرضي» فيما أذكر ، وهو البيت الذي يقول فيه الشاعر :



مبارك أول رواية عربية

وتلفت عيني فذ خفيت

عني الطلول ، تلفت القلب

ويرى العقاد أن مثل هذا البيت من الشعر لا يمكن التعبير عما يحمله من تجربة عاطفية ونفسية في فصل كبير أو عدة فصول من أي قصة .

هذا النوع من المقارنات الأدبية - في رأيي - غير سليم على الإطلاق ، لأنه لن يؤدي إلى نتيجة حقيقية . ويمكن الرد على العقاد في تفضيله للشعر على القصة بأسئلة من نوع : وهل يمكن للشعر أن يرسم شخصيات إنسانية ، ويصور الوقائع الكثيرة ، والأحداث المتعددة ، ويستخدم التحليل النفسي ، أو التحليل السياسي ، أو غير ذلك من أساليبه العديدة والكثيرة التي يمكن أن تفسر الواقع الإنساني ؟ ... مثل هذه المناقشة لن تجدي - كما قلت لك - ... لن تجدي أبداً . فالشعر فن والرواية فن آخر ، والمهم هو أن يكون الشعر جيداً والرواية جيدة ، وشيكسبير شاعر عظيم ، ولا يقل في أهميته عن تولستوي الروائي العظيم ، ما دام كل منهما قد وصل بفنه إلى غايته من العمق والاتقان ولن يكون الشعر بديلاً للرواية ، ولن تكون الرواية بديلاً للشعر .

على أننا ينبغي أن نتذكر أن الشعر والرواية قد بدأ معاً في كثير من الآداب الإنسانية الكبرى ، وخاصة في الأدب اليوناني ، فالحكمة الإلياذة تعتمد على تركيب روائي قصصي ، ومع ذلك فقد كتبها هوميروس شعراً ، وفي العصر الحديث نجد روح الشعر متغلغلة في الروايات العظيمة ، فكم من صفحات «شاعرية» نجدها في كتابات تولستوي أو ديستوفيسكي أو همنجواي ، بل إن من الممكن أن نعتبر رواية همنجواي «العجوز والبحر» من زاوية روح الشعر - قصيدة وليست رواية - . ويمكنني هنا أن أمد يدي إلى مكتبي وأقدم لك نموذجاً من إحدى الروايات العربية الحديثة ، وهي «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح ، لنجد في هذه الرواية صفحات كثيرة مليئة بروح الشعر ، بل بالشعر نفسه ، إذا لم نبحت عن نوبه الخارجي ، فعندما نقرأ قول الطيب في روايته : «هذا القحط لا تداويه إلا الساء» . هذه أرض اليأس والشعر» ، أو قوله : «تحت هذه السماء الرحيمة أحس أننا جميعاً أخوة» ، أو قوله في نفس الرواية : «في ليلة مثل هذه تحس أنك تستطيع أن ترقى إلى السماء على سلم من الخيال .

هذه أرض الشعر والممكن وابنتي اسمها آمال» .

خلاصة القول هنا أن الرواية في العهد الحديث أكثر انتشاراً من الشعر ، ولكن الإنسانية لا تستطيع أبداً أن تتخلى

عن الشعر ، ما دام هناك شيء اسمه «القلب البشري» ، ولذلك فسيظل الشعر باقياً وغالباً ، حتى لو ندر ، فالندرة تزيد غلواً وتجعله أثمن ، ومع ذلك فالشعر مثل السحر ، سيظل يتسلل حتى إلى فن الرواية ، فيتفجر فيها ، كلما كان هناك موقف شعري ، وما أكثر المواقف الشعرية في الرواية الحديثة ، وما أكثر ما نجده من الصفحات الشعرية النادرة عند كبار الروائيين ، فالروائي الكبير في آخر الأمر لا بد أن يكون في أعماقه شاعراً كبيراً في نفس الوقت . ولا بد أن يتميز الروائيون الكبار بهذه الشاعرية ، وإلا فشلوا كروائيين .

الرواية بين الفردية .. والجماعية

● الرواية هل هي نتاج فردي أم جماعي بطلها الفرد أو المجتمع ؟

«الرواية العظيمة دائماً هي إبداع موهبة فردية ، لكن ما من رواية تستحق أن نصفها «بالعظمة» إلا وكانت تعبيراً عن المجتمع وتصويراً له . والروايات التافهة وحدها هي التي تتوقف عند تصوير الهموم الشخصية والذاتية والخاصة لصاحبها . وأذكر هنا ما قاله أحد الزعماء السياسيين الأوروبيين عن الروائي الفرنسي الكبير «أونوريه دي بلزاك» قال هذا الزعم السياسي : «لقد فهمت فرنسا من خلال روايات بلزاك أكثر مما فهمتها من كل كتب التاريخ الفرنسي» .

هذه هي شهادة السياسي الكبير ، وهي شهادة صحيحة وصادقة ، وفي رأيي ، أنه يمكننا أن نقول أيضاً عن كاتب مثل «نجيب محفوظ» نفس القول ، فنحن نستطيع أن نفهم مصر من خلال روايات نجيب محفوظ أكثر مما نفهمها من كل كتب التاريخ التي كتبت عن مصر الحديثة .

وأستطرد هنا لأعود إلى الرواية التي أشرت إليها في البداية وهي رواية «كوخ العم توم» . فقد كتبت المؤلفة «ستو» هذه الرواية العظيمة على أثر مشهد رأيته وهو مشهد رجل أبيض يأمر عماله بجلد عجز أسود ، وقد ظل العمال يضربون العجز حتى مات وهو «يدعو الله أن يغفر لجلاذيه» ، وقد أحدثت الرواية بعد صدورها ثورة عنيفة في المجتمع الأمريكي ، وقامت بعدها الحرب بين الشمال والجنوب من أجل تحرير العبيد ، وعندما التقى قائد هذه الحرب التحريرية «أبراهام لنكولن» وكان رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية . . . عندما التقى بمؤلفة الرواية بعد الحرب الأمريكية حيالها بقوة وقال لها :

الرواية أكثر من الشعر فابلية



بظهور رواية «علم الدين» وهي - كما قلت لك - من تأليف علي مبارك سنة ١٨٥٨ م، ولا أذكر أن هناك أعمالاً روائية بارزة أخرى قد ظهرت في القرن الماضي، وفي هذا القرن ظهرت رواية هامة هي «حديث عيسى ابن هشام» التي كتبها المولحي، ثم بدأت نهضة الرواية منذ ذلك الحين، حيث انعكست كل المشكلات الأساسية للمجتمع العربي في مصر على الأعمال الروائية المختلفة، ويمكننا أن نرصد مشكلة الصراع ضد الاستعمار الإنجليزي في عدد من الأعمال الروائية، ويمكننا أن ندرس تطور وضع المرأة في المجتمع العربي المصري من خلال عدد من الأعمال الروائية الأخرى، ويمكننا أن ندرس الصراع بين الأحزاب والأزمات الاقتصادية، وحتى المعارك الفكرية، كل ذلك يمكننا أن نجده بوضوح وعمق في الأعمال الروائية الجيدة ويكفي أن نذكر ثلاثية نجيب محفوظ «بين القصرين - قصر الشوق - السكرية» حتى نجد أنفسنا أمام تاريخ كامل وصادق وعظيم للمجتمع العربي في مصر منذ ثورة ١٩١٩ م.

وطبعاً «نجيب محفوظ» في رواياته يعكس تاريخ المدينة، أما ما عانته القرية فتجده في روايات «يوسف إدريس» مثل «الحرام» وروايات

«أهذا أنت أيتها السيدة الصغيرة التي سببت كل هذه الحرب الكبيرة».

وهناك أمثلة كثيرة أخرى تؤكد لنا هذه الحقيقة: وهي أن الرواية العظيمة هي عمل فردي من حيث الإبداع الفني، لكنها عمل يتأثر بالمجتمع ويؤثر فيه ويعبر عنه من حيث القيمة الفكرية والاجتماعية.

التافهون من الروائيين هم الذين لا يتجاوزون أنفسهم ولا يعبرون إلا عن مشاعرهم الخاصة».

الرواية ودراسة المجتمع

● على ضوء الرواية هل يمكن دراسة المجتمع العربي؟

«نعم يمكننا أن ندرس المجتمع العربي على ضوء الرواية، إذا ما توفرت نماذج ممتازة من الأعمال الروائية. ففي مصر - على سبيل المثال - يمكن أن نعرف التطور السياسي والاجتماعي، ويمكننا أن نعرف الصراعات والمشاكل من خلال الأعمال الروائية التي يمكننا أن نؤرخ لها

رجاء النقاش.. في سطور

- ★ من مواليد المنصورة عام ١٩٣٤ م.
- ★ ليسانس آداب - كلية آداب جامعة القاهرة.
- ★ عمل محرراً أديباً لجريدة أخبار اليوم، ثم رئيساً لتحرير مجلة الإذاعة والتلفزيون، ورئيساً لتحرير مجلة الهلال، ورئيساً لقسم النشر بدار الهلال.
- ★ له عدد من المؤلفات المطبوعة، والمتعددة الأغراض.
- ★ يعمل حالياً مديراً لتحرير جريدة «الراية» القطرية.
- ★ قام بعدد من الرحلات إلى أوروبا وآسيا.
- ★ اشترك في عدد من المؤتمرات الأدبية.





للاستيعاب والتعبير عن الواقع الانساني

الرواية .. والوعي الاجتماعي

● الرواية هل ترتبط بالوعي الاجتماعي؟

«من كل الإجابات السابقة يمكنك أن تتصور إجابتي على هذا السؤال. فالرواية مرتبطة تمام الارتباط بالوعي الاجتماعي. وظهور الرواية يصاحب ظهور الوعي الاجتماعي، أو يسبقه من باب التبشير بهذا الوعي والدعوة إليه. وأعود بك مرة ثالثة إلى رواية «كوخ العم توم»، لقد هزت هذه الرواية المجتمع الأمريكي، وبثت فيه وعياً اجتماعياً عميقاً، ظهر من خلاله مدى الظلم الذي يصيب «الزنج» سكان الجنوب الأمريكي، وقد أدى هذا الوعي بالطبع إلى الحرب الأهلية الأمريكية التي انتهت بتحرير العبيد وتوحيد أميركا توحيداً حقيقياً، وهكذا فكل رواية عظيمة وكل حركة روائية عظيمة، تطلق وعياً اجتماعياً، وتواجه وتبشر به وتعبّر عنه».

استقلالية الرواية العربية

● الرواية العربية هل أصبح لها شكل خاص يميزها عن الرواية في الآداب الأجنبية؟

«من الغريب أن الرواية العربية في بدايتها كانت أقرب إلى الاستقلال في شكلها الخاص المتميز من الرواية العربية المعاصرة، مثلاً «حديث عيسى بن هشام» للمولحي، والتي ظهرت - كما قلت لك - في أوائل هذا القرن «سنة ١٩٠٧م» جاءت هذه الرواية متأثرة بأسلوب «المقامات»، أي أنها كانت رواية متأثرة بالتراث العربي أكثر من تأثرها بالتراث الأوروبي، وكذلك كانت رواية «علم الدين» لعلي مبارك، والتي ظهرت قبل «حديث عيسى بن هشام» بما يقرب من خمسين سنة... كانت «علم الدين» متأثرة بالجو العام «لألف ليلة وليلة» أي أنها استفادت هي الأخرى من التراث العربي».

ومع تطور الأدب العربي، وزيادة الاحتكاك بالثقافة الأوروبية، أصبح الشكل الروائي العربي امتداداً للشكل الروائي الغربي، وهذا أمر طبيعي، لأن الرواية الغربية أقدم وأرسخ وأنضج وأكثر تنوعاً في مدارسها المختلفة، ومشكلة الشكل على أي حال ليست هي جوهر الفن، فالفن العظيم هو الذي يعبر عن الشخصية الإنسانية تعبيراً صادقاً لا تقليد فيه ولا تزوير، ومهما اقترب الشكل الروائي العربي من الشكل الروائي الغربي، فسوف

الشرقاوي مثل «الأرض» وبعض روايات عبد الحليم عبد الله وعدد آخر من روايات الأدباء الشباب.

حيث يوجد أدب روائي ناجح فإنه بالإمكان أن نجد في الأدب صورة حية للمجتمع العربي، لكن يجب أن نضع في الاعتبار أن بعض المجتمعات العربية لم ينضج فيها أدب الرواية بعد، أما المجتمعات العربية التي ظهر فيها أدب روائي ناجح فمن الممكن أن نصل من خلال هذه الأعمال إلى حقيقة هذه المجتمعات العربية... دعني أستطرد فأذكر نموذجين آخرين غير النموذج المصري.

● أما النموذج الأول فهو النموذج الفلسطيني، حيث نجد «غسان كنفاني» في رواياته العديدة ومن بينها «رجال في الشمس» و«عائد إلى حيفا» وغيرها من الروايات التي تتميز بالعمق والأصالة الفكرية والفنية... في هذه الروايات يمكننا أن ندرس المسألة الفلسطينية بوضوح كامل.

أما النموذج الثاني فيتمثل في أعمال الطيب صالح الروائية مثل «موسم الهجرة إلى الشمال» و«عرس الزين» و«ضوء البيت» و«مريود». من خلال هذه الروايات ذات المستوى الفني الرفيع يمكننا أن ندرس المجتمع العربي في السودان دراسة واضحة دقيقة.

على أننا يجب أن نلاحظ أن هذه النماذج الروائية السابقة كلها لسو اقتصرت على التعبير المحلي عن المجتمع العربي أو جزء منه، فإن هذه الروايات بالطبع تكون قد خسرت الكثير من قيمتها الفنية والفكرية، فالمفروض أن يكون في العمل الروائي إلى جانب تعبيره المحلي والمرحلي عن واقع معين.

أقول: المفروض أن يكون في هذا العمل الروائي عنصر إنساني عام يجعله قادراً على الحياة خارج العصر الذي صدر فيه وخارج المكان الذي صدر عنه. وهذا ما يجعلنا نقرأ بلزك أو تولستوي أو غيرهما من كبار الروائيين فنعجب بها إعجاباً كبيراً رغم البعد القائم بيننا وبينهم في العصر والبيئة.

والحق أن كل الروايات العربية التي عبرت عن بيئتها المحلية تعبيراً فنياً وفكرياً صادقاً وعميقاً قد حملت في نفس الوقت هذا الطابع الإنساني العام الذي يتيح لهذه الروايات فرصة الحياة والاستمرار في التأثير الفني والإنساني خارج البيئة وخارج العصر.

نعم. إن القاعدة صحيحة. فكل ما هو جيد وصادق في تعبيره عن الطابع المحلي هو في نفس الوقت جيد وصادق على المستوى الإنساني العام».

يمكننا أن ندرس المجتمع العربي

الرواية العربية في المشرق ، وهذا ما نجده واضحاً في كاتب روائي مغربي مثل «عبد الكريم غلاب» ، ففي روايات «عبد الكريم غلاب» نجد تأثيراً واضحاً بنجيب محفوظ حتى يمكننا أن نقول إن «عبد الكريم غلاب» هو بشكل من الأشكال «نجيب محفوظ» المغربي ، أما العامل الثاني الذي أثر في الرواية المغربية فهو عامل أجنبي يتمثل في الرواية الفرنسية المعاصرة ، حيث تنتشر الثقافة الفرنسية في المغرب انتشاراً واسعاً ، وهذا العامل نجده واضحاً أشد الوضوح عند كتاب الجزائر الذين يكتبون باللغة الفرنسية مثل «محمد ديب» و«كاتب يس» ، و«مالك حداد» الذي توفي منذ نحو عام ، هؤلاء جميعاً يكتبون رواية عربية الروح فرنسية اللغة والشكل ، ويمكننا أن نجد نموذجاً آخر للتأثر بالأدب الروائي الفرنسي في رواية «السد» للكاتب التونسي «المسعودي» .

ورغم أن هذه الرواية الهامة مكتوبة أصلاً بالعربية ، كما أن روحها عربية أيضاً ، فإن الكاتب قد تأثر فيها كثيراً بالرواية الفرنسية الحديثة من حيث الشكل .

ولست أشك في أن التأثير العربي في الرواية المغربية سوف يزداد بازدياد توثيق الصلات بين شتى أنحاء الوطن العربي الكبير .

مستقبل الرواية العربية

● ما مستقبل الرواية العربية ؟

«في رأبي أن الرواية العربية أمامها مستقبل كبير . فما زال المجتمع العربي «بكراً» لم يكتشف الروائي العربي كل ما فيه من مادة إنسانية خصبة ، إذا أخذنا الرواية الأميركية مثلاً ، نجد أنها قد عبرت عن معظم المشكلات والتجارب الكبرى في المجتمع الأميركي ، لكن الرواية العربية لم تلعب هذا الدور بعد .

أنا الآن أعيش في قطر في الخليج العربي ... وهنا يخطر على البال سؤال : أين هي الرواية التي صورت مجتمع الخليج العربي من أيام صيد اللؤلؤ إلى أيام ظهور البترول ؟

لا توجد رواية - فيما أعلم - صورت هذا الواقع تصويراً فنياً وإنسانياً عميقاً . ويمكننا أن نقول نفس الشيء عن بيئات عربية أخرى عديدة . أي أن النبع الروائي العربي ما زال غنياً بكنوزه كل ما هنالك أن هذا النبع ما زال ينتظر المهوبة الحقيقية لتخرج من هذا النبع بالكثير .

تظل شخصيتنا العربية مستقلة ومختلفة ، وستظل مشاكلنا مستقلة ومختلفة ، والروائي الذي له قيمة هو الذي يعبر عن تجاربنا الإنسانية الخاصة بنا حتى لو كان ذلك في إطار من الشكل الروائي الغربي .

الشعر ديوان العرب .. والرواية ماذا ؟

● كانوا يقولون إن الشعر هو ديوان العرب ، هل يمكن القول مستقبلاً بأن الرواية ستأخذ نفس المكان ؟

«لا شك عندي في أن الرواية سوف تتقدم على الشعر في تصوير المجتمع العربي والتعبير عنه ، وعلى كل حال فإن عبارة «الشعر ديوان العرب» إنما كانت تنطبق - فيما أتصور - فقط على العصر الجاهلي ، حيث لم يكن هناك فن آخر معروف عند العرب غير فن الشعر ، ولكن هل كان من الممكن أن نقول عن العصر العباسي مثلاً إن «الشعر» وحده - كان في هذا العصر - هو ديوان العرب ؟ كلا فإننا إذا أردنا أن نعرف وندرس هذا العصر العباسي فعلياً بقراءة الكتب المهمة التي ظهرت في هذا العصر دون الاكتفاء بشعر الشعراء ، ومن هذه الكتب المهمة مثلاً كتاب «الأغاني للأصفهاني» . وهكذا فإن القول بأن الشعر ديوان العرب هو أمر انتهى أو ينبغي أن ينتهي بنهاية العصر الجاهلي ، وعلينا بعد العصر الجاهلي أن نبحث عن مصادر أخرى إلى جانب الشعر لمعرفة أحوال المجتمع العربي ، مثل كتب التاريخ ، وكتب الأدب المختلفة ... إن كتاب مثل «الامتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي يعطينا صورة للمجتمع العربي في العصر العباسي أكثر من أي مصدر شعري آخر .

وفي العصر الحديث لا شك أن الرواية سوف تسبق الشعر في تصوير أحوال المجتمع العربي والكشف عن مشاكله الروحية والواقعية . وإن كنت فيما أتصور ، أحس أن النفس العربية سوف تظل تطرب للشعر ، وتميل إليه دائماً ، وأن الشعر إذا فقد مكانته الأولى كوثيقة اجتماعية ، فلن يفقد مكانته كفن راق جميل ، مهما كان محدود الانتشار في هذا العصر .

الرواية في المغرب

● الرواية في المغرب العربي هل هي منفصلة عن الرواية في المشرق العربي ؟

«الرواية المغربية تأثرت بعاملين أساسيين : العامل الأول هو



على ضوء الأعمال الروائية المنازة

مستقبلاً؟

« إذا كنت تقصد بالعلم هنا ما يسميه الغربيون باسم Sience ، فأنا أعتقد أن هذا النوع من الرواية العلمية سوف يزدهر كثيراً مع التطورات الكبرى للعلم ، لكنني لا أتصور أبداً أن الرواية العلمية سوف تصبح هي اللون الغالب بالنسبة للفن الروائي ، لأن الموضوع الأساسي للفن الروائي هو الإنسان ، وليس الأشياء الخارجية ، ولذلك فستظل المضامين العلمية ، فرعاً من فروع الرواية وليس الفرع الوحيد بل وليس الفرع الأهم ، ستظل الرواية التي تصور المجتمع والنفس البشرية هي الأساس في الفن الروائي ، أما الرواية العلمية فسوف تكون على الدوام فرعاً في شجرة مليئة بالفروع أو وردة في حديقة مليئة بالورود . »

الرواية .. والقضية

● أي نوع من الرواية يمكن أن يؤدي دوراً إيجابياً لخدمة قضايا الإنسان العربي؟

« كما أشرت مراراً فإني أعتقد أن الرواية التي تصور المجتمع والنفس وتعتبر عن مشكلات الإنسان وصراعاته المختلفة هي الرواية الأقرب إلى التأثير في الحياة وتأدية دور إيجابي فيها . »

والخص لك ما أتمنى أن يتوفر للروائي العربي المنشود فيما يلي :

- ١- أن يكون صاحب موهبة فنية حقيقية ، وسدون هذه الموهبة لا قيمة لأي شيء ، فالنوايا الحسنة لا قيمة لها في الفن .
- ٢- أن يكون صاحب ثقافة كبيرة وحقيقية ، لأن الفنان الجاهل أيضاً لا قيمة له حتى لو كان موهوباً ... لا بد للفنان أن يكون عارفاً بالتراث العربي والتراث الإنساني معاً .
- ٣- أن يكون صاحب رؤية إنسانية ووطنية سليمة ، فالفنان الذي ليس لديه قيم يؤمن بها وقضية يدافع عنها هو أيضاً لا يمكن أن يؤدي دوراً له قيمة .

وهكذا فالمستقبل - في رأيي - للرواية الإنسانية الواقعية التي تصور مشكلات حقيقية وتعتبر عن قضايا أصيلة ، والفنان الموهوب وحده هو القادر على اختيار الشكل المناسب واللغة المناسبة لعمله الفني . »

أظن أننا أطلنا الحديث والحق أن في النفس أشياء أخرى وتفاصيل أكثر ... ولكنني أود أن أتوقف هنا مع أعظم التحية والتقدير لمجلة « الفيصل » .

هناك مجال آخر خصص لم يستفد منه الروائي العربي استفادة كافية وأقصد بذلك تجاربنا التاريخية الكبرى . إن الحربين العالميتين : الأولى والثانية كانتا مصدراً لأدب روائي غزير في أوروبا . ولكن حروب العرب الأربعة مع إسرائيل لم تنتج حتى الآن نماذج روائية عالية وكافية . عشرات التجارب الأخرى في تاريخنا قديماً وحديثاً ما زالت كلها « بكراً » ، وما زالت نبعاً آخر من ينابيع الفن الروائي ... ببساطة ما زال أمام الروائي العربي الكثير ، وما زال أمام الرواية العربية مستقبل خصص كبير . »

الشكل المتوقع لرواية المستقبل

● ما هو الشكل المتوقع لرواية المستقبل؟

« في رأيي أن الحديث عن الشكل الواحد لرواية المستقبل هو حديث غير مقبول ، فالأشكال الروائية تتحدد حسب نوع التجربة التي تعبر عنها الرواية ، وحسب موهبة الكاتب وثقافته ، فإذا كانت الرواية تاريخية أو اجتماعية ، فإن ذلك يختلف عن رواية تعبر عن تجربة روحية أو أزمة فكرية ، أو فلسفية . والعمل الفني الناجح دائماً يبرر شكله وحده ، ولن يكون هناك شكل واحد لرواية المستقبل ، وعلى وجه الخصوص ، بالنسبة للوطن العربي ، وحتى بالنسبة للأدب العالمي . »

لقد جاء وقت قيل فيه إن الرواية العاطفية لم يكن لها مكان في عصرنا الواقعي المادي . ثم جاء الفنان الحساس « اريك سيجال » فكتب قصته المشهورة : « قصة حب » فإذا بالرواية تنجح نجاحاً غير عادي ؟ لماذا ؟ لأن الفنان أحس بقلبه الصافي أن هذا العصر المادي أحوج إلى القصة العاطفية من أي عصر مضى . وكان الفنان صادقاً أكثر من الذين قالوا إننا نعيش في عصر لا مكان للرواية العاطفية فيه .

هناك أيضاً نموذج آخر هو رواية « الجذور » « لألكس هيلي » الكاتب الأميركي الزنجي المسلم . هذه رواية تقليدية ، تعتمد على أقدم الأشكال التقليدية المعروفة للرواية العالمية كأنها رواية مكتوبة من حيث الشكل في القرن الماضي ، ومع ذلك فقد نجحت الرواية وأصبحت من أكثر الروايات عصرية رغم شكلها التقليدي ، وذلك لأن الفنان الجيد الأصل يحاول دائماً أن يعرف الشكل المناسب لموضوعه وتجربته ، ولا يسمح لنفسه بالجمود أبداً . »

العلم .. والرواية

● المضامين العلمية هل يمكن أن تغلب على الرواية

غموض المعنى في

في بعض الأحيان نسمع أو نقرأ جملة مختار في فهم معناها رغم أننا نعرف معنى كل كلمة فيها . وتنجم هذه الحيرة عن أن للجملة أو التركيب معنيين محتملين لا ندري أياً منها يقصد الكاتب أو المتكلم .

طريقة جمع التراكيب

لقد اهتممت بالتراكيب ذات المعاني المزدوجة أو المتعددة . فأخذت أجمعها من المصادر المكتوبة أو المسموعة . ثم صنفتها في مجموعات متجانسة .

ولقد عرضت التراكيب التي اعتبرتها غامضة المعنى على أفراد مختلفين لمعرفة طريقة فهمهم لهذه التراكيب . واستبعدت التراكيب التي رأت الأكثرية عدم غموضها واستبقيت التراكيب التي فهمها عدة أفراد على وجوه مختلفة . وقد كانت هذه التراكيب على النحو التالي :

المصدر والمضاف

إذا أضفنا مصدراً مشتقاً من فعل متعد إلى اسم لاحق فإن هذا التركيب قد يحتمل أكثر من معنى . وهذه بعض الأمثلة :

- ١ - مساعدة الوالدين : قد يعني هذا التركيب مساعدة مقدمة إلى الوالدين ، أو مساعدة مقدمة منها .
- ٢ - إعانة الدولة : قد يعني هذا التركيب إعانة من الدولة ، أو إعانة إلى الدولة .

وإن هذا الغموض في المعنى لا يحدث في جميع حالات إضافة المصدر المشتق من فعل متعد ، بل يقتصر حدوثه على حالة يكون فيها

المضاف إليه حياً قابلاً لأن يكون قائماً بالفعل أو متلقياً للفعل . فإذا قلنا مثلاً «تنظيف البيت» ، فإن هذا التركيب لا يحتمل سوى معنى واحد ، لأن البيت يتلقى الفعل ولا يقوم به . ولتجنب الغموض في مثل هذه التراكيب يستحسن صياغة التركيب على النحو التالي :

- ١ - مساعدة الوالدين للأبناء أو مساعدة الأبناء للوالدين .
- ٢ - إعانة الدولة للمواطنين أو إعانة المواطنين للدولة .

في مثل هذه الصياغة ينتفي الغموض ، لأن التركيب الجديد يوضح من قام بالفعل ومن وقع عليه الفعل ، وفي بعض الحالات ، لا تشكل إضافة المصدر المشتق من فعل متعد إلى مضاف إليه حي أي غموض ، وذلك ناشئ عن مألوفية التركيب وفهم الناس له على نحو واحد بسبب كثرة استعمال التركيب وارتباطه بمعنى واحد دون سواه . ومثال ذلك :

- ١ - تدريب المعلمين .
- ٢ - مكافأة المتفوقين .
- ٣ - إدارة المدرسة .

هذه التراكيب شاع استعمالها وارتبطت كل منها بمعنى واحد هو على التوالي ما يلي :

- ١ - المعلمون يتلقون التدريب ،
- ٢ - المتفوقون يتلقون مكافآت ،
- ٣ - المدرسة هي التي تدار .

التشبيه بعد النفي

إذا وقع تشبيه بعد نفي فقد يفهم المعنى على أن المشبه هو الحالة المنفية أو غير المنفية .

وهذه بعض الأمثلة :

- ١ - لا يكتب الولد مثل أخيه : قد تعني هذه الجملة :
أ - أن الولد لا يكتب وأن أخاه لا يكتب أيضاً ،
ب - أو أن كليهما يكتبان ، ولكن الأخ أفضل في الكتابة ،
ج - أو أن الولد لا يكتب ولكن أخاه يكتب .

٢ - لم يأت مبكراً كعادته : قد تعني هذه الجملة :

- أ - أن عادته القدوم المبكر ولكن تأخر هذه المرة على غيره عادته ،
ب - أو أن عادته هي التأخر وتأخر هذه المرة جريباً على عادته .

٣ - تطير الخوامة في الهواء دون مطبات مثلاً يحدث للطائرات العادية : قد تعني هذه الجملة :

- أ - أن الخوامة والطائرة العادية تشابهان من حيث الطيران دون مطبات ،
ب - أو أن الخوامة تطير بدون مطبات ولكن الطائرة العادية تطير متعرضة لمطبات .

ورغم أن السياق قد يوضح المعنى الذي يقصد إليه الكاتب ، إلا أن هذه الجمل تبقى مبهمة بدون سياق ويشكلها الحالي . وإذا أردنا الوضوح فلا بد من إعادة الصياغة بحيث يتحدد المعنى المقصود دون التباس . وهناك عدة طرق لإعادة الصياغة ، ولقد ذكر بعضها في معرض سرد المعاني المحتملة للتراكيب .

الجار والمجرور

إذا احتار القارئ في تعليق الجار والمجرور

بعض التراكييب اللغوية

بقلم : د. محمد علي الخولي

فقد تفهم الجملة على غير ما قصد بها . وهذه بعض الأمثلة :

- ١ - تأثير التمرين على الاختبار :
- أ - التأثير على الاختبار ،
- ب - أو التمرين على الاختبار .
- ٢ - وجدت الرابطة لحماية الأطفال من جميع المذاهب :
- أ - الأطفال من جميع المذاهب ،
- ب - أو الحماية من جميع المذاهب .
- ولدفع الالتباس ، فقد يسعف السياق القارئ . وإذا أردنا الوقاية من الالتباس ، فتحسن إعادة الصياغة على النحو التالي مثلاً :
- ١/١ - للتمرين تأثير على الاختبار .
- ١/ب - للتمرين على الاختبار تأثير .
- ١/٢ - وجدت الرابطة من أجل الأطفال على اختلاف مذاهبهم .
- ٢/ب - وجدت الرابطة لتحمي الأطفال من المذاهب (الدخيلة) .
- ٣ - خدمات تربوية :
- أ - قد تعني خدمات للتربية ،
- ب - أو خدمات في التربية .
- ٤ - خدمات طلابية :
- أ - قد تعني خدمات يقدمها الطلاب ،
- ب - أو خدمات تقدم للطلاب .
- ٥ - ملاحظة صفية :
- أ - قد تعني أن الملاحظة يقوم بها الصف ،
- ب - أو أن الصف هو الملاحظ (بفتح الحاء) ،
- ج - أو أن الملاحظة مكانها الصف .
- ٦ - الضريبة المدرسية :
- أ - قد تعني ضريبة تدفعها المدرسة ،
- ب - أو ضريبة يدفعها الناس من أجل المدرس .
- ٧ - التعليم التجاري :
- أ - قد تعني هذه العبارة تعليماً بقصد التجارة والربح ،
- ب - أو تعليم تخصص التجارة .
- ٨ - التعليم التوزيعي :
- أ - قد تعني أن التعليم ذاته موزع ،
- ب - أو تعليم مادة التوزيع إحدى فروع التجارة .
- ٩ - تدريب تعاوني :
- أ - قد تعني تدريب الطلاب مثلاً على التعاون ،
- ب - أو تدريباً تتعاون في إنجازه أكثر من جهة .
- ١٠ - دراسة مهنية :
- أ - قد تعني دراسة المهنة ذاتها تحليلاً ونقياً ،
- ب - أو دراسة قام بها مهني متخصص ،
- ج - أو دراسة الطالب في المعهد أو الجامعة ضمن متطلبات التأهل لمهنة ما .
- ١١ - بحث اجتماعي :
- أ - قد تعني بحثاً ضمن علم اجتماعي ،
- ب - أو بحثاً يتعلق بالاجتماع .
- ١٢ - المفهوم الذاتي :
- أ - قد تعني مفهوم المرء عن ذاته ،
- ب - أو المفهوم الذي تكون ذاتياً .
- ١٣ - مخالقات مدرسية :
- أ - قد تعني مخالقات قامت بها المدرسة وإدارتها ضد الأنظمة ،
- ب - أو مخالقات وقعت ضمن جدران المدرسة وقام بها التلاميذ .
- ١٤ - استقصاء علمي :
- أ - قد يعني استقصاء بأسلوب علمي ،
- ب - أو استقصاء موضوعه أحد فروع العلم .
- ١٥ - مسح مدرسي :
- أ - قد يعني مسحاً تقوم به المدرسة ،
- ب - أو مسحاً يقوم به باحث لمدرسة ما ،

الموصوف والصفة المنسوبة

أحياناً ينشأ الغموض عن موصوف صفته منسوبة .

وهذه بعض الأمثلة :

- ١ - التعاون الجماعي :
- أ - قد تعني تعاوناً بين جماعة وجماعة ،
- ب - أو تعاوناً بين أفراد الجماعة الواحدة .
- ٢ - اتجاهات مستقبلية :
- أ - قد تعني اتجاهات نحو المستقبل ،
- ب - أو اتجاهات تحدث في المستقبل .

ج - أو مسحاً يقوم به باحث لعدة مدارس .

١٦ - التوجيه الجماعي :

١ - قد يعني توجيهاً موجهاً إلى جماعة ما ،

ب - أو توجيهاً صادراً من جماعة ما .

١٧ - الساعات المكتبية :

١ - قد تعني ساعات المكتب ،

ب - أو ساعات المكتبة .

١٨ - النمو المهني :

١ - قد تعني هذه العبارة نمو المهنة ذاتها ،

ب - أو نمو الشخص ضمن مهنته .

١٩ - التأمين المدرسي :

١ - قد يعني تأميناً يتم داخل المدرسة يدفع قيمته الطلاب ،

ب - أو تأميناً على المدرسة ككل تدفع قيمته المدرسة أو الهيئة المشرفة عليها .

٢٠ - مدرس جامعي :

١ - قد يعني مدرساً في الجامعة ،

ب - أو مدرساً يحمل شهادة جامعية .

٢١ - القراءة النطقية :

١ - قد تعني قراءة قوامها النطق أي جهرية وليست صامتة ،

ب - أو قراءة وإدراك ما ينطقه الآخرون عن طريق مراقبة حركات الفم إذا كان القارئ أصم .

٢٢ - مواد طلابية :

١ - قد تعني مواداً مخصصة للطلاب ،

ب - أو مواداً صنعها الطلاب بأنفسهم .

وهكذا نرى أن الصفة إذا كانت منسوبة

فإنها تسبب غموضاً في المعنى في كثير من الحالات . وقد يزيل السياق هذا الغموض أحياناً ، ولكن يتوجب على الكاتب في كثير من الحالات أن يزيل الغموض بنفسه عن طريق تحديد ما يقصد بالمثل أو الشرح أو التعريف أو إعادة الصياغة بطريقة يتتفي معها الغموض .

المعطف

من أسباب غموض المعنى المعطف ، إذ قد يختار القارئ في رد المعطوف على المعطوف عليه . وهذه بعض الأمثلة :

١ - ينتجون الصواريخ المضادة للطائرات والمصفحات :

١ - قد تعني هذه الجملة أنهم ينتجون الصواريخ والمصفحات ،

ب - أو أنهم ينتجون نوعين من الصواريخ : نوعاً مضاداً للطائرات ونوعاً مضاداً للمصفحات .

وإذا كان المعنى المقصود هو المعنى الأول فالأفضل أن تكون الصياغة على النحو التالي :

ينتجون المصفحات والصواريخ المضادة للطائرات . وإذا كان المعنى الثاني هو المقصود ، فالأفضل أن تكون الصياغة على النحو التالي : ينتجون الصواريخ المضادة للطائرات وللمصفحات .

٢ - علم التوزيع أو التبيؤ البشري :

١ - قد تعني أن كلمة (التبيؤ) معطوفة على (علم) فيكون علم التوزيع هو التبيؤ البشري .

ب - وقد تعني أن كلمة (التبيؤ) معطوفة على (التوزيع) فيكون علم التوزيع هو علم التبيؤ البشري .

وينشأ الغموض هنا عن الحيرة في تحديد المعطوف عليه : هل هو كلمة (علم) أو كلمة

(التوزيع) ؟ وقد يفيد الشكل أي وضع حركات الإعراب في تحديد المعطوف عليه أحياناً . وقد يزيل السياق الغموض أحياناً . غير أن التركيب بحد ذاته دون سياق ودون شكل غامض لا بد من توضيحه بالشكل أو السياق .

٣ - الموجودات أو الأصول الحقيقية :

١ - قد تعني أن (الأصول) معطوفة على (الموجودات) ، فتكون الموجودات هي الأصول وكلاهما حقيقي ،

ب - أو أن (الأصول الحقيقية) معطوفة على (الموجودات) ، فتكون الموجودات هي الأصول الحقيقية .

وينشأ الغموض هنا عن الحيرة في تحديد المعطوف : هل هو (الأصول) أم (الأصول الحقيقية) ؟ ولإزالة الغموض ، فإن الصياغة التالية أفضل :

١ - الموجودات (أو الأصول) الحقيقية .

ب - الموجودات (أو الأصول الحقيقية) .

المعطف - (أو)

بالإضافة إلى الغموض الذي قد ينجم عن المعطف بسبب الحيرة في تحديد المعطوف أو المعطوف عليه ، فإن (أو) قد تفرض مشكلة خاصة من حيث المعنى . إذ من المعروف أن (أو) تفيد التخيير ، ولكن السؤال هو : هل المعطوف مرادف للمعطوف عليه في المعنى ولو اختلف عنه في الشكل أم يختلف عنه في المعنى والشكل معاً ؟ وهذه بعض الأمثلة :

١ - إن النتيجة هي س أو ص :

١ - قد تعني هذه الجملة أن النتيجة نفسها لها اسمان هما : س ، ص . أي أن النتيجة واحدة ، يسميها البعض س ويسميها البعض الآخر ص .

ب - أو أن النتيجة قد تكون س في

منحنى التوزيع الاعتيادي . فقد يكون المنحنى هو الاعتيادي وقد يكون التوزيع هو الاعتيادي .
وفي كلتا الحالتين ، المعنى واحد في علم الإحصاء .

الخلاصة

وهكذا فقد تبين لنا أن بعض التراكيب قد تكون منشأ غموض في المعنى لاحتياها أكثر من معنى . وهذه التراكيب هي :

- ١ - المصدر المضاف .
- ٢ - التشبيه بعد النفي .
- ٣ - الجار والمجرور .
- ٤ - الموصوف والصفة المنسوبة .
- ٥ - العطف .
- ٦ - العطف بـ (أو) .
- ٧ - المضاف والمضاف إليه والصفة .

ولهذا يتوجب على من يكتب أن يتنبه إلى أمثال هذه التراكيب وما قد تسببه من إرباك للقارئ . فقد يفهم القارئ من التركيب غير ما قصد إليه الكاتب . ومن هنا يجب على الكاتب أن يزيل غموض التركيب بتعديل صياغته أو إضافة تعريف أو توضيح عن طريق السياق .

ومن ناحية أخرى ، على القارئ أن يتنبه إلى أمثال هذه التراكيب أيضاً وأن يتحقق من المعنى الذي قصد إليه الكاتب ، كيلا يفهم عكس ما أريد له أن يفهم . والسبيل إلى هذا التحقق يبدأ من معرفة ماهية التراكيب الغامضة أولاً . ثم تتبع هذه المعرفة بتبصر القارئ في النص الذي أمامه ليحدد المعنى الذي أراد الكاتب ويستبعد المعنى الذي لم يرد .

وبدون دقة الكاتب وحذر القارئ فلإن مجالات سوء الفهم وسوء الفهم تبقى واسعة ومفتوحة . ومع قصور الفهم من الكاتب وعدم دقة الفهم من القارئ تضيق الغاية الأولى من الكتابة ذاتها ، ألا وهي نقل المعلومات من الكاتب إلى القارئ . وكلما ازدادت نسبة التراكيب الغامضة في مادة مكتوبة ، ازداد احتمال سوء الفهم من جانب الكاتب وازداد احتمال سوء الفهم من جانب القارئ .

الموصوف الذي تصفه الصفة . ويتخذ هذا التركيب الصيغة التالية :

مضاف + مضاف إليه معرف + صفة معرفة . ففي مثل هذا التركيب ، قد يقصد الكاتب أن تكون الصفة تابعة للمضاف ، حيث إنها معرفة بـ (أل) التعريف والمضاف معرف بإضافته إلى معرفة . وقد يقصد الكاتب أن تكون الصفة تسابعة للمضاف إليه ، حيث إن كلاهما معرفة أيضاً .

وهذه بعض الأمثلة :

- ١ - بناء الصف الاجتماعي :
- ١ - قد تعني أن البناء هو الاجتماعي ، ب - أو أن الصف هو الاجتماعي .
- ٢ - اختبار الذكاء اللغوي :
- ١ - قد تعني أن الاختبار هو اللغوي ، ب - أو أن الذكاء هو اللغوي .

ومن الممكن إزالة الغموض عن طريق الشكل أي إضافة حركات الإعراب . ومن المعروف في اللغة أن الصفة تلتصق بالموصوف . فإذا أريد أن تكون الصفة تابعة للمضاف وليس للمضاف إليه ، فإن الصيغ التالية تكون واضحة بلا غموض :

- ١ - البناء الاجتماعي للصف ،
- ٢ - الاختبار اللغوي للذكاء .

وفي بعض الحالات ، ينتفي الغموض بسبب شيوع الاستعمال . وهذه بعض الأمثلة :

- ١ - صفات الفقرة الجيدة . فالفقرة هنا هي الجيدة ، وليست الصفات .
- ٢ - أسلوب التعليم المصغر . فالتعليم هنا هو المصغر ، وليس الأسلوب .

وقد تحدثت تبعية الصفة هنا بفعل التصاقها بالموصوف وفعل شيوع اصطلاح الفقرة الجيدة واصطلاح التعليم المصغر . وفي بعض الحالات ، لا ينشأ أي فرق في المعنى سواء تبعت الصفة المضاف أو المضاف إليه . ولكن هذه الحالات محدودة جداً . وعلى سبيل المثال :

بعض الحالات ، ص في حالات أخرى ، أي أن س ، ص لا تشيران إلى نفس الشيء .

ولإزالة الغموض في مثل هذه الجملة ، من الأفضل أن تكون الصياغة كما يلي :

- ١ - إن النتيجة هي س (أو ص) .
- ب - إن النتيجة هي إما س أو ص .
- ٢ - العلوم أو الدراسات الإنسانية :
- ١ - قد تعني أن العلوم هي الدراسات الإنسانية ،
- ب - أو أن العلوم تختلف عن الدراسات الإنسانية ،
- ج - أو أن العلوم هي الدراسات ، وكلاهما إنسانية .

ومنشأ الغموض هنا مزدوج . فهناك غموض ناشئ عن (أو) وهل تفيد الترادف أم عدمه ؟ وهناك غموض ناشئ عن تحديد المعطوف : هل هو (الدراسات) أم (الدراسات الإنسانية) ؟

وبالطبع ، فإن السياق والمعنى العام قد يزيل الغموض . ولكن إذا نظرنا إلى التركيب ذاته فإن احتمال الغموض قائم . فلو كانت الجملة كما يلي :

إن طالب العلوم أو الدراسات الإنسانية يقوم بأبحاث واسعة ، فقد يفهم القارئ واحداً أو أكثر من المعاني (أ) ، (ب) ، (ج) المشار إليها سابقاً . ولإزالة الغموض ، فإن تعديل الصياغة قد يفيد :

١ - العلوم (أو الدراسات الإنسانية) : وهذا يدل على أن العلوم مترادف للدراسات الإنسانية .

ب - الدراسات الإنسانية والعلوم : وهذا يدل على عدم الترادف بين الدراسات الإنسانية والعلوم .

ج - العلوم (أو الدراسات) الإنسانية : وهذا يدل على أن العلوم مترادف للدراسات .

المضاف والمضاف إليه والصفة

قد ينشأ الغموض عن الحيرة في تحديد

الكندة .. فيلسوف العرب

بقلم : مأمون غريب

إسلامية لها خصائصها ومميزاتها .. وليست - كما زعم البعض - أنها فلسفة أرسطية مكتوبة بأسلوب عربي .. ولا هي مجرد آراء مدرسة الإسكندرية ، وقد نسبها العرب إلى بعض رجالهم .. كل هذه افتراءات ليس لها ما يبررها إلا للاجاء بأن العقل العربي لا يستطيع أن يستوعب الأفكار المجردة .. وأن العقل العربي ليس عنده القدرة على الإتيان بمذاهب فلسفية متطورة .. إنه نوع من الحقد على العرب .. واتهامهم بالعجز .. ولكن الذي يدرس تاريخ الفكر سوف يلتقي بفلاسفة إسلاميين عظام من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم .

والفلسفة الإسلامية تحاول أن توفق بين العقل والنقل .. وهي تحاول في نفس الوقت التوفيق بين الفلسفة والدين .. وقد كان على الفلسفة الإسلامية أن تثبت أنه ليس هناك ثمة تناقض بين النقل والعقل مثلاً .. وقد وصلوا إلى نتائج فكرية ممتازة .. كما أفادت حركة الترجمة في عهد الخلفاء العباسيين ، وخاصة المأمون ،

على نقل التراث اليوناني إلى العربية ، كذلك نقلوا عن الفارسية والسريانية .. ومن هنا عرف العرب طب جالينوس وهندسة أقليدس ، وفلك بطليموس .. كما ألما بفلسفة كبار فلاسفة الإغريق .. هذه الترجمات التي نقلت فيما بعد عن العربية وترجمت إلى اللاتينية ودفعت الحضارة الأوروبية دفعة هائلة إلى الأمام ، وأخرجت أوروبا من ظلام العصور الوسطى إلى أنوار الحياة الجديدة .

المهم أنه لم يكد يطل القرن الثالث الهجري ، إلا وقد أصبح للعرب مدارس في مختلف فروع المعرفة من طب وفلك وعلوم رياضية وكيمياء وفلسفة .. وقد وضع دعائم أول مدرسة فلسفية أبو يوسف يعقوب بن إسحق

إن من يدرس تاريخ الفلسفة الإسلامية .. سوف يلتقي بفيلسوف عظيم .. ترك آثاراً بعيدة المدى في الفكر الإسلامي .. إنه الفيلسوف العربي أبو يوسف إسحق الكندي .

ولد في الكوفة سنة ١٧٥ هـ ، من عائلة عربية عريقة من قبيلة كندة التي يمتد أصلها إلى جنوبي شبه الجزيرة العربية .. وقد نشأ حياة مترفة حيث كان والده أميراً على الكوفة .. كما عاش طفولته في الكوفة .. ثم ذهب إلى بغداد .. وقد استطاع أن يكون قريباً من الخليفة العباسي المأمون ، ومن الخليفة المعتصم .. بل لقد توثقت العلاقة بين الكندي وبين أحمد بن

الخليفة المعتصم .. ولقد نبغ الكندي في الفلسفة والمنطق والفلك والموسيقى والهندسة .. ولأن العصر الذي نشأ فيه كان عصر يتسم بكثرة الترجمات من اليونانية والسريانية إلى العربية ، فقد استفاد الكندي استفادة هائلة من هذه الترجمات .. وقرأها

واستوعبها .. وخاصة الفلسفة اليونانية المتمثلة في أرسطو ، ومدرسة الإسكندرية متأثراً بفلسفة أفلاطون .. بل كان يشرف على بعض هذه الترجمات ويصوغها بأسلوبه .. ويعتبر الكندي أول فيلسوف عربي صميم .

وقبل أن نتحدث عنه كفيلسوف .. لا بد أن نعطي إجابة على علامة استفهام هامة أثارها البعض ، هل هناك فلسفة إسلامية أم أن فلاسفة الإسلام كانوا مجرد نقلة للتراث الإغريقي ؟

والواقع أن الذي يدرس الإسلام دراسة واعية مستنيرة ، ثم يتابع تطور الفكر الإسلامي ، سوف يلحظ أن هناك فلسفة إسلامية صحيحة ، تستمد أصولها من القرآن والسنة .. أي أن هناك فلسفة



★ الغزالي ★



★ ابن رشد ★



★ الكندي ★

ودليل الكندي على وجود الله هو دليل الغائية والعناية الإلهية .. فكل شيء غاية .. والنظام الدقيق للكون والكائنات الحية تدل دلالة قاطعة على الخالق الذي خلقها .. ونظم حركتها .. كما أنه دلت على وحدانية الله .. مستنداً في ذلك إلى أدلة القرآن الكريم مثل :

● ﴿ لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ .

● ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ﴾ .

ولا شك أن الغزالي قد استفاد بالفلسفة الاعتزالية .. أو فلسفة المعتزلة .. ولعل الكندي قد نال الخطوة عند خلفاء بني العباس وخاصة المأمون والمعتصم .. لأنها كانتا يشجعان المعتزلة ، غير أن الدائرة دارت عليه .. عندما آلت الخلافة إلى المتوكل الذي كان يميل إلى المذهب السني .. فقد زالت حظوة الكندي في بلاط الخلافة .. ومات وهو في شبه عزلة حوالي عام ٢٦٠ هـ ، على أرجح الأقوال .

أنشاء عزله الرهيب تلك حاول أن يفلسف حياته .. بمعنى ألا يعيش يبكي على مجد زائل .. فلا يجد إلا رجوع بكاء .. إنما حاول أن يتكيف .. أو يتوافق مع نفسه في حياته الأخيرة .. وقد عبر عن ذلك شعراً فيما روى الرواة عنه فقال :

أنا في الدنابي على الأروس

فغمض جفسيونك أو نكس

وضائل سؤالك واقبض يديك

وفي قصر بيتك فاستجلس

وعند مليكك فابغ العلو

وبالوحدة اليوم فاستأنس

فإن الفتى في قلوب الرجال

وإن التعزز بالأنفس

الكندي .. ساعده على ذلك ما استوعبه من الترجمات ، فكتب أبحاثاً عظيمة في الطب والفلك والرياضيات والمنطق والسياسة والفلسفة ، حتى أن البعض يقول عنه إنه كتب أكثر من (٢٠٠ رسالة) .. لم يستدل على معظمها للأسف ، كما أن له الكثير من المخطوطات في مكتبات اسطنبول ، وبعضها مكتوب باللاتينية !

المهم أن الكندي كان عبقرية عربية نادرة .. قد حاول في فلسفته التوفيق بين الفلسفة والدين .. وخاصة أنه من كتاب الله وسنة النبي عليه الصلاة والسلام استفاد الدعوة إلى التأمل والتفكير .. فما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التي تحض المسلمين على ذلك .

المهم أن فلسفة الكندي تهدف إلى الوصول إلى غرض معين وهو إثبات (الواحد الحق) .. أي الله سبحانه وتعالى ، وأن الله هو مبدع الكون من العدم .. فلا مجال إذن أن يكون الدين منافياً للفلسفة .. كما أنه حاول التوفيق بين فلسفة أفلاطون وأرسطو .

ولا شك أن الكندي قد صنع مدرسة فلسفية إسلامية ، وكان له تلاميذ أثروا الحياة الفكرية الإسلامية في بغداد أشهرهم ابن كرتيب ، وأحمد بن الطيب السرخسي ، وأبو زيد البلخي ..

● يعتبر الكندي أول فيلسوف عربي صميم ، لأن
الفارابي مثلاً يرجع إلى أصل تركي ، ويرجع
ابن سينا إلى أصل فارسي .

●● ولكن .. هل كانت هناك فلسفة إسلامية حقاً ، أم أنت
فلاسفة الإسلام كانوا مجرد نقلة للتراث الإغريقي ؟

أسرع فناء من الدينار إذا كسر .. والقرطاس إذا نشر .
ومثل الدرهم كممثل الطير الذي هو لك ما دام في يدك .
فإذا طار صار لغيرك !

وتمثل بقول الشاعر :

قليل المال تصلحه فيبقى
ولا يبقى الكثير مع الفساد
لحفظ الماء خير من فناء
وسير في البلاد بغير زاد

ولعل هذه الوصية التي تنسب إلى الكندي هي التي دفعت
الجاحظ وغيره أن يعتبره من البخلاء .. حتى أننا نرى ابن أبي
أصيبعة يقول : لو كانت هذه الوصية هي وصية الكندي ..
فيصدق عليه ما قاله البعض أنه كان بخيلاً .. وهذا يعني أن
ابن أبي أصيبعة كان يشك في نسبة هذا الكلام إلى الكندي .
وربما يكون الكندي قد كتب هذه الوصية بعد ما لقيه من عزلة في
أواخر أيامه .. لاشتغاله بالفلسفة التي كان يراها البعض لا تليق
بالمسلم .. أو لأن ميله إلى فلسفة المعتزلة .. مما جعل المتوكل لا يميل
إليه .. فبعده عما كان فيه من صولة وجاه .. هو الذي جعله يكتب
هذه الوصية لابنه . على أساس أن المال هو عصب الحياة .. وبلا مال
يعيش الإنسان حياته شريداً لا يعرف موضع خطاه في الحياة .. فهو نوع
من الحرص على مستقبل ابنه .. وخاصة أنه هو نفسه ذاق كيف انحدر
من القمة إلى السفح ... كيف تغير حاله عندما كان الخليفة المأمون
والخليفة المعتصم راضيان عنه .. وبمجرد أن تولى خليفة جديد لا
يدين بفكره .. أدارت له الأيام ظهرها .. وتحول مجده إلى مجرد
ذكريات .. فعاش بقية عمره حزناً يعتصره الهم .. وإن كان في نفس
الوقت حاول أن يؤلم نفسه على الواقع الأليم الذي عاش فيه .. بل إنه

وكائن نرى من أخى عسرة
غني وذوي ثروة مفلس

والغريب أن الجاحظ في كتابه الشهير (البخلاء) يتهمه بالبخل ..
ووجه الغرابة هنا أنه من أسرة عربية عريقة .. معروفة بالكرم ..
وأغلب الظن أن هناك كلمات ينسبها البعض إليه .. هي التي أوقعت
بعض مؤرخيه في اتهامه بالبخل .. فهو يوصي ابنه فيقول :

« يا بني الأب رب ، والأخ فخ ، والعم غم ، والخال وبال ،
والأقارب عقارب ، وقول (لا) بصرف البلا ، وقول (نعم) يزيل
النعم » .

وكان يرى أن سماع الأغاني يصيب الإنسان بالفقر؟! كيف
لأن الإنسان يسمع فيطرب ، فينفق فيفتقر فينغم ،
فيموت !!

ولنتابع هذه الوصية الطريفة لابنه فنراه يقول :

« والدينار محموم .. فإن صرفته مات » .
« والدرهم محبوب فإن أخرجته فر » .
« والناس سخرة فخذ شيتهم واحفظ شيتك » .
« ولا تقبل ممن قال اليمين الفاجرة فإنها تدع الديار بلاقع خاوية » .

ونرى ابن نباتة يتحدث عن هذه الوصية فيقول : إن الكندي كتب
لابنه يقول :

يا بني كن كلاعب الشطرنج .. تحفظ شيتك وتأخذ من
شيتهم . فإن مالك إن خرج عن يديك لم يعد إليك . واعلم
أن الدينار محموم ، فإن صرفته مات . واعلم أنه ليس هناك

تعرض لوشاية بعض الخاقدين .. حتى استولى المتوكل على مكتبته الضخمة التي كان يجمع فيها تلاميذه ، ويلقنهم فيها فلسفته ، وعلمه الغزير في شتى فروع الحياة .
.. لعل هذه الوصية نوع من التشاؤم تعكس ظروفه في آخريات حياته ، وليست تعكس بالضرورة كونه كان بخيلاً ، لأن البخل يناقض قوله على ما أورده البيهقي :

— لا تغتر بمال وإن كثر .

ومن كلمات الكندي الذي يحفظها لنا التاريخ .. وتعتبر من جوامع الكلم .. تلك الكلمات العميقة :

● اعتزل الشر فإن الشر للشير خلق .

ومن لم ينبسط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك .

● اعط الهوى واطع من شئت .. ولا تغتر بمال وإن كثر .

● لا تطلب الحاجة إلى كذوب فإنه يبعدها وهي قريبة ولا إلى جاهل ، فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته .

● لا تنجو مما تكره حتى تمتنع عن كثير مما تحب وتريد .

● العاقل يظن أن فوق علمه علماً ، فهو أبدأ يتواضع لتلك الزيادة .

والجاهل يظن أنه قد تنهى فتمقته النفوس لذلك .

● ليتق الله تعالى المتطيب ولا يخاطر . فليس على الأنفس عوض .
وكما يجب أن يقال إنه كان سبب عافية العليل وبره ، فليحذر أن يقال إنه كان سبب تلفه وموته .

● من لم يكن حكماً .. لم يزل سقياً .

* * *

مهما يكن من شيء فإن الكندي كان فيلسوفاً عظيماً ..
وعالمًا كبيراً فهو أول فلاسفة العرب والإسلام .. وقد أعجب به أيما إعجاب فلاسفة الغرب ودارسوه ، حتى أننا نرى المؤرخ والمفكر والفيلسوف والرياضي كاردانوس الذي مات عام ١٥٧٦ م .. يضع كتاباً يتناول فيه حياة (١٢ من كبار المفكرين في العالم) يضع من بينهم محمد بن موسى واضع علم الجبر ، والكندي .. كما اكتشف المستشرق الألماني هـ . ريتير Hellmuth Ritter مجموعة من رسائل الكندي في مكتبة آياصوفيا .. وقد كتب عنها وذكر أسماءها مع زميله م . بلسر Martin Plessner .

* * *

والكندي هو الذي قال كلمته الشهيرة :

«يحتاج طالب العلم إلى ستة أشياء حتى يكون فيلسوفاً :
فإن نقصت لم تتم ، ذهن بارع ، وعشق لازم ، وصبر جميل ، وروع خال ، وفتح مفهم ، ومدة طويلة» .

* * *

إن الكندي الذي قدم ما قدم من عطاء .. كان نقطة انطلاق لحياة فكرية مستنيرة .. في حاجة إلى المزيد من إلقاء الضوء عليه .. وهذا ما يجب أن يقوم به المهتمون بالدراسات الفلسفية والفكرية في العالم العربي .. لأنه آن الأوان أن تقوم بهذا الدور الهام في إلقاء الضوء على تراثنا العربي .. ولا تجلس خاملين .. في انتظار أن يقدم لنا تراثنا المستشرقون ؟! .. وسوف نجد في تراثنا ما يضيء لنا الطريق نحو غد أكثر أملاً وإشراقاً وإنتاجاً .. لأن هناك بديهة تقول : إنه من لا ماض له .. لا حاضر له !

Al Majalla

المجلة

مجلة العرب الدولية

أسبوعية سياسية ◊ اخبارية جامعة



مجلتان في مجلة واحدة

الآن في الأسواق

الناشران هشام ومحمد علي حافظ
تصدر عن شركة التوعية للإبلاغ والتسويق البريطانية المحدودة

المركز الرئيسي: لندن

6/7 GOUGHSQUARE FLEET STREET LONDON EC 43DJ

الفروع والمكاتب

جدة — الرياض — الخبر — القاهرة — بيروت — تونس
جنيف — باريس — هيوستن — واشنطن — يوكوهاما



بقينا مما كنا

شعر :

د . عبد الله الصالح العثيمين

بقينا على مَرِّ الليالي كما كنّا
بقينا ولم نحفل بما لاح من رؤى
نهم بوادي التيه حيرى تَلَقْنَا
ضئير في ظل النفاق ترعرعت
وعبّت حمياه غراماً وطفة
تملكها حتى استحال سجية
نكيل لمن غنى المذائح شاقنا
ونظهر تعظيماً لكل مغامر
نردّد ما نهوى أساطين حربه
فإن مدحوا فزماً مدحنا، وإن دعوا
ونزعم خواناً من الناس من سعى
وإن كان لم يسرق من الشعب حقّه
قبلنا من المبتزّ حلو ادعائه
أق بالني الخضراء حين مجيئه
وكم متّع تحرير شعب وفعله
بقينا صراعاً بين آلام حاضر
نمرّ بنا الأيام دون توقف

فلم تستفد منها ولا غيرت مئنا
عوادٍ، ولم نطعن إلى خطر عثنا
سدول ظلام في ضلّالنا جئنا
فهامت به شوقاً وثاقت له فتنا
لما تركت كأساً ولا أغفلت دنّا
ملازمة لم تفصل لحظة عثنا
ترنّمه أم ساءنا وقع ما غنى
جديد وإن كنّا نبيء به الظنّا
كأنّا بما صاغوا من القول أمنا
على بطل من خيرة القوم أمنا
على غير ما شاء الزعيم وما سنّا
عفافاً ولا خان البلاد كما خنّا
وفزنا من الأقوال بالروضة الغنّا
وعوداً، ولم يصدق بما كان قد مئى
يبرهن أن الشعب أمسى له فتنا
وماض على أطرافه نقرع السنّا
ونمضي لبيالها ونحن كما كنّا

هو علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي ، ولد في مصر ولم يعرف تاريخ ولادته وتوفي فيها عام ٣٩٩ هجرية (الموافق ١٠٠٩ م) . وقد ورد في كتاب معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : « أن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصديقي ، المصري (أبو الحسن) فلنكي ، مؤرخ ، مشارك في علوم كثيرة » . عاش ابن يونس في بيت علم ، فولده عبد الرحمن كان من أكبر المؤرخين في مصر ومن أشهر علمائها ، وكما كان جده صاحب الإمام الشافعي ومن الذين أمضوا جل وقتهم في دراسة علم الفلك ، ولذا يعتبر من المتخصصين في علم النجوم . ويقول ابن القفطي في كتابه أخبار العلماء بأخبار الحكماء : « ابن يونس سليل بيت اشتهر بالعلم ، (فأبوه عبد الرحمن بن يونس) ، كان محدث مصر ومؤرخها ، وأحد العلماء المشهورين فيها ، وجده يونس بن عبد الأعلى ، صاحب الإمام الشافعي ومن المتخصصين بعلم النجوم » ، ويطيب لنا هنا أن نذكر أنه أنجب ولداً متخلفاً فباع جميع مصنفاته بالأرطال في سوق الصابونيين .

علاءمة علم

والمحدثون . ثم إنه درس هذه كلها وقارن بعضها ببعض ، فتبين له أن حركة القمر في تزايد (في السرعة) . وصحح ابن يونس ميل دائرة البروج وزاوية اختلاف المنظر للشمس ومبادرة الاعتدالية . ولحق المؤلف زيفريد هونكه ، في كتابها شمس الله تسطع على الغرب : « ابن يونس من أعظم علماء الفلك ومن مؤلفاته (الزيج الكبير الحاكمي) فيه أرصاد الفلكيين القدماء وأرصاد ابن يونس المتعلقة في الحسوف والكسوف واقتران الكواكب » .

الزيج هو عبارة عن جداول مسجل فيها حركة الشمس والقمر والأرض ، والنجوم ومساراتها . وأقدم الزيجات المدونة زيج بطليموس المدون في كتابه المجسطي . وقد عرّف الزيج العلامة عبد الرحمن بن خلدون في كتابه المقدمة في التاريخ : « من فروع علم الهيئة علم الأزياج ، وهي صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك ، يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسابان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ، ولهذا الصناعة قوانين في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية وأصول متفرقة مرتبة تسهياً على المتعلمين وتسمى «الأزياج» .

وقد شرح ابن يونس في زيجه (الزيج الحاكمي) بكل تفصيل الطريقة التي اتبعها العلماء الذين أرسلهم الخليفة المأمون لقياس محيط الأرض . ويذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان : « أن زيج ابن يونس كبير ويقع في أربعة مجلدات ، ولم أر في الأزياج على كثرتها أطول منه » . ويضيف سيديو في كتابه تاريخ العرب العام : « أن

تسجيل أول كسوفين للشمس

نبغ ابن يونس في علم الفلك وذلك في عهد العزيز الخليفة الفاطمي وابنه الحاكم بأمر الله ، وقد شجعه الخلفاء الفاطميون على البحث في علم الهيئة والرياضيات ، فبنوا له مرصداً على صخرة على جبل المقطم قرب القاهرة ، وجهزوه بأفضل آلات وأدوات الرصد . وقد رصد بكل نجاح كسوف الشمس وخسوف القمر في القاهرة عام ٣٦٨ هجرية (الموافق ٩٧٨ م) . وقد ذكر في الموسوعة البريطانية : « أن مجهودات ابن يونس الذي أعطته الشهرة العظيمة رصده كسوف الشمس لعامي ٩٧٧ ، ٩٧٨ ميلادية ، فكانا أول كسوفين سجلا بدقة متناهية وبطريقة علمية بحتة ، كما استفاد منها في تحديد تزايد حركة القمر » . ولقد نال شهرة فائقة النظر بين معاصريه ومن تبعه من علماء الفلك بتأليفه زيجاً كبيراً في أربعة أجزاء سماه «الزيج الحاكمي» ، وسبب تسميته زيجاً بالزيج الحاكمي هو أن الخليفة العزيز الفاطمي طلب منه تأليف زيج يفوق الأزياج السابقة له ، ولكنه لم يستطع تكملة في حياة العزيز الفاطمي بل أمه في عهد ابنه الحاكم بأمر الله . وأورد المؤلف المشهور الدكتور عمر فروخ في كتابه «تاريخ العلوم عند العرب» :

الزيج الحاكمي الكبير

« وضع ابن يونس زيجاً سماه (الزيج الحاكمي الكبير) نسبة إلى الحاكم بأمر الله (ت ٤١١ هجرية = ١٠٢٠ ميلادية) ، وضم فيه جميع الحسوفات والكسوفات وجميع قرائن الكواكب التي رصدها القدماء

الفلك

بقلم : د. علي عبد الله الدفوع

ابن يونس يقوم مقام المجسطي لبطليموس والرسائل التي ألفها علماء بغداد سابقاً . ويشمل على مقدمة طويلة و ٨١ فصلاً . أما عمر رضا كحالة فيذكر في كتابه العلوم البحتة في العصور الإسلامية : « وكان قصد ابن يونس من هذا الزيج أن يتحقق من أرصاد الذين تقدموه وأقوالهم في الثوابت الفلكية وأن يكمل ما فاتهم ، فرصد كسوف الشمس وخسوف القمر في القاهرة حوالي سنة ٩٧٨ ميلادية ، وأثبت منها تزايد حركة القمر ، وحسب ميل دائرة البروج ، فجاء حسابه أقرب ما عرف إلى أن أتقنت آلات الرصد الحديثة » .

وقد أجمع المؤرخون في تاريخ العلوم أن ابن يونس يعتبر أعظم فلكي أتى بعد البتاني وأبو الوفاء البوزجاني . ويقول سيد حسين نصر في كتابه العلوم والحضارة في الإسلام : « أن ابن يونس يعتبر عند المؤرخين في العلوم من أكبر الفلكيين المسلمين الذين أضافوا إضافات رائعة ، قام بأرصاد كثيرة في القاهرة ، وهذا الإنتاج يظهر من زيجيه (الزيج الحاكمي) الذي بقي المرجع المفضل عبر التاريخ » . ويعد جوج سارتون في كتابه المدخل إلى تاريخ العلوم : « أن ابن يونس من فحول علماء القرن الحادي عشر الميلادي » . ولقد أدخل التعديلات الكثيرة على الأزياج السابقة لزيجه (الزيج الحاكمي) وعلى سبيل المثال علق وشرح زيج يحيى بن أبي منصور ، في القاهرة . ويقول عز الدين فراج في كتابه فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية : « كان ابن يونس يعمل في مرصد القاهرة ، ولكنه

كان يسير في نفس الطريق الذي سلكه فلكيو بغداد ، ولكن يعد العلماء إرصاده أول سجل إرصاد في دقة علمية ملحوظة ، يتخذونها مراجع يرجع إليها » .

والجدير بالذكر أن علماء أوروبا درسوا زيج ابن يونس لأهمية وسهولة أسلوبه العلمي ، ولذا فقد ترجمه من اللغة العربية إلى الفرنسية الأستاذ الكبير (كوسان) فرنسي الأصل ، وذلك عام ١٨٠٤ ميلادية . ويقول سوتر في دائرة المعارف الإسلامية : « ومن المؤسف حقاً أنه لم يصل إلينا كاملاً الزيج الحاكمي . وقد نشر وترجم (كوسان) بعض فصوله ، التي فيها أرصاد الفلكيين القدماء وأرصاد ابن يونس نفسه عن الخسوف والكسوف واقتران الكواكب . وقد أظهر ابن يونس براعة كبرى في حل الكثير من المسائل العريضة في علم الفلك الكروي ، وذلك باستعانتة بالمسقط العمودي للكرة السماوية على كل من المستوى الأفقي ومستوى الزوال » .

وقد أدلى ابن يونس بدلوه في جميع فروع المعرفة ، ومنها علم الحساب الذي يتجلى في جميع مؤلفاته . كما أنه خصص جزءاً في كتابه (الزيج الحاكمي) لعلم جغرافية خطوط الطول والعرض . ففي سنة ١٨٢٢ ميلادية ، قامت مكتبة ليدن في هولندا بطباعة ونشر القسم المختص في الجغرافية من كتاب ابن يونس (الزيج الحاكمي) ، ولذا صار متداولاً في جميع أنحاء المعمورة . ويمنح المؤلف جي . كراموز في كتاب تراث الإسلام (تأليف جبهة من المستشرقين) قائلاً : « ابن يونس (حوالي ١٠٠٠ ميلادية) والبيروني العظيم (في حدود ١٠٣٠ ميلادية) أصدرا أزياجاً جغرافية في الأطوال والعروض (خطوط الطول والعرض) ، متبعين نظرية تقسيم الأرض إلى مناطق سبع » .

كان علم المثلثات لم ينفصل تماماً عن علم الفلك ، ولكنه كان في طريقه للاستقلال ، فلذا اهتم ابن يونس اهتماماً بالغاً بهذا الحقل وسرع فيه ، وبحوثه في هذا المجال فاقت بحوث كثيرين من العلماء ، وكانت معتبرة جداً عند الرياضيين ، ولها قيمتها الكبيرة في تقدم علم المثلثات .

فعلى سبيل المثال حسب بكل دقة جيب ١° (حـ ١°) ، كما أوجد جداول للظلال وظلال التمام . وابتكر طريقة جديدة سهل فيها كل العمليات الحسابية التي قادت بالنهاية إلى علم حساب اللوغاريتمات ، والكثير من المؤرخين في حقل العلوم يعتبرون ابن يونس هو الذي اكتشف علم حساب اللوغاريتمات ، حيث إنه حول عملية الضرب إلى عملية جمع . وقد ورد في كتاب المدخل إلى تاريخ العلوم لجوج سارتون أن : « ابن يونس أول من توصل إلى المعادلة المثلثية . جتا اجتا ب = $\frac{1}{4}$ جتا (أ + ب) + $\frac{1}{4}$ جتا (أ - ب) ، ومنها أوجد قيمة :

$$\text{حـ } ١^\circ = \left(\frac{1}{3}\right) \left(\frac{8}{9}\right) \text{حـ } \left(\frac{9}{8}\right) + \left(\frac{2}{3}\right) \left(\frac{16}{15}\right) \text{حـ } \left(\frac{15}{16}\right) \text{التي}$$



★ البيروني ★

جاليليو ، الذي عاش فيما بين (١٥٦٤ - ١٦٤٢ ميلادية) هو مبتكر الرقاص . ولكن ابن يونس اهتمدى إلى اكتشاف الرقاص واستخدامه قبل جاليليو بستة قرون .

ويلمح الأستاذ عمر رضا كحالة في كتابه العلوم البحتة في العصور الإسلامية : « كما كتب العرب في الأنابيب الشعرية ومبادئها وتعليل ارتفاع المواضع وانخفاضها فيها ، وهذا طبعاً قادهم إلى البحث في التوتر السطحي وأسبابه ، واعترف معظم الباحثين الغربيين أن ابن يونس هو مخترع رقاص الساعة ، وكان الفلكيون يستعملون البندول (الرقاص) لحساب الفترات الزمنية في الرصد » .

وأضاف العالم الفرنسي سيديو في كتابه تاريخ العرب العام : « ابن يونس المقتني في سيره (أبا الوفاء) ألف في رصد خانته بجبل المقطم (الزيج الحاكمي) واختراع الربع ذات الثقب ، وبندول الساعة الدقيقة » . ويقول كارلو نلليني في كتابه علم الفلك : تاريخه عند العرب في القرون الوسطى : « إن ابن يونس الصفدي هو الذي اخترع الرقاص (البندول) ، وهذا الحدث أمر لا تقدر قيمته ونتائجه على البشرية أجمع » . وكما ذكر ل . أ . سيدوي في كتابه تاريخ العرب العام : « أن الفضل يرجع لابن يونس في اختراع الرقاص وميل الساعة الشمسية ذات الثقب » .

يجب أن لا ننسى أن جاليليو استفاد من تجارب ابن يونس وأجرى بنفسه عدة تجارب حتى استطاع بواسطتها التوسع في هذا الموضوع ، فطور قوانين البندول كما هي معروفة اليوم . وكما أثبت أن مدة الذبذبة في الرقاص تتوقف على طول البندول وقيمة عجلة التناقل . ثم وضع هذه النظرية في صيغة رياضية ساعدت على توسيع استعمال الرقاص . ويصف المؤلف عمر فروخ في كتابه « عبقرية العرب » وبعد أن اخترع العرب (ابن يونس ومن تتلمذ عليه) الرقاص ووضعه موضع الانتفاع العملي بستائة وخمسين عاماً ، وبعد أن استخرجوا شيئاً من قوانينه بأربعمئة عام ، جاء غاليليو الإيطالي وتوسع في دراسة الموضوع ، ووضع أكثر القوانين التي يعرفها اليوم عن الرقاص وحسبها حساباً رياضياً . وإذا كان الفرضية يعدون اختراع الرقاص أمراً لا يقدر قيمته ولا نتائجه ، وأنه لولاه لما توصلت العلوم الفلكية إلى المنزلة العالية التي هي عليه اليوم ، وهم لم

جلبت الدهشة لعلماء القرون الوسطى ، وذلك بتحويل عمليات الضرب إلى عمليات جمع » .

وقد برز ابن يونس في علم المثلثات ، فحل الكثير من المسائل المستعصية خاصة في المثلثات الكروية . ويقول عمر رضا كحالة في كتابه العلوم البحتة في العصور الإسلامية : « ويرع ابن يونس الصدي المتوفي بمصر عام ١٠٠٩ ميلادية ، في علم المثلثات وأجاد فيه ، وبحوثه فيها فاقت بحوث كثيرين من العلماء ، وكانت معتبرة جداً عند الرياضيين ، ولها قيمتها الكبيرة في تقدم علم المثلثات ، وقد حل مسائل صعبة في علم المثلثات الكروية ، واستعان في حلها بالسقط العمودي للكرة السماوية من المستوى الأفقي ومستوى الزوال . وفي زمن ابن يونس استعملت الخطوط المماسية في مساحة المثلثات » .

ابتكار علم اللوغاريتمات

وقد ادعى علماء الغرب خطأ أن جان نابيير (John Napier) اسكتلندي الأصل الذي عاش فيما بين (١٥٥٠ - ١٦١٧ ميلادية) أي في أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، هو مخترع علم اللوغاريتمات ، لأنه أوجد قيمة

$$\text{جا ا جا ب} = \frac{1}{a} \text{ جتا (أ - ب)} - \frac{1}{b} \text{ جتا (أ + ب)} \text{ والتي}$$

قادت بدون شك إلى اختراع علم اللوغاريتمات ، ولكن الحق يجب أن يعطى صاحبه وهو العالم المسلم ابن يونس الذي ابتكر هذه الفكرة قبل نابيير بسبعة قرون . وبإمكاننا القول إن المبتكر لعلم اللوغاريتمات هو ابن يونس ، ولكن الذي طور هذا الحقل إلى ما هو عليه الآن العالم الاسكتلندي جان نابيير . وهذا الادعاء ليس بغريب علينا ، لأن معظم إنتاج علماء المسلمين إما مغمور في مكتبات العالم على الرفوف ، أو انتحله علماء الغرب .

ويقول سيديو في كتابه تاريخ العرب العام : « إن ابن يونس أول من فكر في حساب الأقواس الثانوية التي تصيح القوانين بها بسيطة فتغني عن الجذور المربعة التي تجعل المناهج صعبة ، وظلت هذه الحيل الحسابية التي أوضحت أمراً عادياً في أيامنا مبهولة في أوروبا ، ولم يعثر على أمثلة منها إلا في كتب سيمبسون بعد سبعة مئة سنة من وفاة ابن يونس » .

اختراع البندول

أمضى ابن يونس معظم حياته في دراسة حركة الكواكب التي قادته في النهاية إلى اختراع الرقاص (البندول) ، الذي يحتاج له في معرفة الفترات الزمنية في رصده للكواكب ، وكما استعمل الرقاص في الساعات الدقيقة . وبهذا يظهر كذب علماء الغرب بادعائهم أن العالم الإيطالي



* د. عمر فروخ *

أشرف على إنشاء المرصد في عهد الحاكم .
ويجدر بنا هنا أن نذكر قول المؤلف قدري طوقان في كتابه
الخالدون العرب ، فقد كان يرى (ابن يونس) أن أفضل الطرق إلى
معرفة الله ، هو التفكير في خلق السموات والأرض ، وعجائب
المخلوقات ، وما أودعه فيها من حكمة ، وبذلك يشرف الناظر على عظم
قدرة الله عز وجل ، وتتجلى له عظمتة وسعة حكمته وجليل قدرته .
استطاع ابن يونس أن يخترع الرقاص (البندول) وأن
يستخدمه لمعرفة الزمن ، ولذا فإن الفضل الأول يعود إلى
العالم المسلم ابن يونس وليس للعالم الإيطالي جاليليو . فنسبة
اختراع الرقاص لجاليليو يعتبر اجحافاً بحق علماء العرب وبالأخص ابن
يونس ، لأن علماء العرب والمسلمين استعملوا الرقاص لحساب الفترات
الزمنية أثناء رصد النجوم ، وكذلك في الساعة الدقاقة .
كما سبق يتبين للقارئ واضحاً أن ابتكار الرقاص فكرة عربية إسلامية
محضة . ولكن يجب علينا معشر المسلمين أن لا نحدد حق العالم الإيطالي
جاليليو ، فهو عالم قدير استطاع أن يصيغ قوانين البندول في شكل رياضي
بديع بعد التجارب العديدة التي أجراها للتأكد من صحتها .

يعرفوا الرقاص إلا في القرن السابع عشر للميلاد ، فإذا يجب علينا نحن
أن نكون من الاحترام للعالم العربي الذي منحنا هذا الاختراع النفيس قبل
أن تعرفه أوروبا بنحو سبعة قرون ؟ .
وكان اسم الرقاص المتداول بين علماء العرب آنذاك (الموار) ،
وعرف عند الغربيين باسم اليندول ، وهذا الاسم مشتق من الكلمة
اللاتينية بندولوم (المعلق أو المتدلي) . ولا يفوتنا هنا أن ننوه ببعض
مؤلفات العلامة ابن يونس .

المراجع

مؤلفات ابن يونس

- (١) كتاب يعرف بزيج ابن يونس ، كتبه للعزیز بالله الحاكم في
أربعة مجلدات .
- (٢) كتاب الظل ، عبارة عن جدول ظل ، وظل تمام .
- (٣) كتاب غاية الانتفاع ، يحتوي على جداول عن السمات
الشمسية ، وقياس زمن ارتفاع الشمس من وقت الشروق وجداول أوقات
الصلاة .
- (٤) كتاب الميل : عبارة عن جداول أوضح فيها عن انحراف
الشمس .
- (٥) تاريخ أعيان مصر .
- (٦) كتاب التعديل المحكم : معادلات عن ظاهرة الكسوف
والخسوف .
- (٧) العقود والسعود في أوصاف العود .
- (٨) كتاب عن الرقاص .

وفي الختام يتضح للقارئ جلياً أن ابن يونس من مشاهير الرياضيين
والفلكيين الذين أتوا بعد البتاني وأبي الوفاء البوزجاني . وصدق المؤلف
عيد المنعم ماجد عندما قال في كتابه « تاريخ الحضارة الإسلامية
في العصور الوسطى » : « ويمكننا أن نذكر بجانب البتاني ابن يونس ،
من فلكيي العزيز والحاكم الفاطميين في مصر ، وعرف زيجيه باسم
(الزيج الكبير الحاكمي) ، لأنه أهدها إلى الحاكم ، أوزيج ابن يونس ،
وقد بسط فيه القول والعمل ، إذ اعتمد على الآلات الصحيحة ، كما أنه

- | | |
|-----------------------|---|
| جمهرة من المستشرقين : | الموسوعة البريطانية . |
| عبد الرحمن بن خلدون : | المقدمة في التاريخ . |
| ابن خلكان : | وفيات الأعيان . |
| جورج سارتون : | المدخل إلى تاريخ العلوم . |
| سوتر : | دائرة المعارف الإسلامية . |
| سيديو : | تاريخ العرب العام . |
| قدري طوقان : | الخالدون العرب . |
| عزالدين فراج : | فضل علماء المسلمين على الحضارة
الأوروبية . |
| عمر فروخ : | تاريخ العلوم عند العرب . |
| « « : | عبقريّة العرب . |
| ابن الفطحي : | أخبار العلماء بأخبار الحكماء . |
| عمر رضا كحالة : | العلوم البحتة في العصور الإسلامية . |
| « « : | معجم المؤلفين . |
| جي . كراموز : | تراث الإسلام . |
| عبد المنعم ماجد : | تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور
الوسطى . |
| سيد حسين نصر : | العلوم والحضارة في الإسلام . |
| زيغريد هونكه : | شمس الله تسطع على الغرب . |

الوزير السعيد

أنهل من منابعه وعل
 وقدح فيه ذاك إذن لعل
 عقوق تعصر البغضاء نشوى
 عليه من المهانة ما يذل
 غداة الشعر تزحف كالأفاعي
 وفي أنيابها للبطش عل
 تنادوا عصابة هوج الثوايا
 وفي أقلامهم درن وسل
 وقالوا الوزن تابوت عتيق
 تحط فيه عاطفة وعقل
 ترى هل يمموا الفوضى فضلاً
 أم اتشحوا ضغائنهم فكلوا
 أما علموا بأن الوزن نور
 وصوت الحق ميزان وعدل
 فلولا الوزن ما انتظمت عقود
 ولم يك بالجيود لها مجل
 وياقات الزهور إذا تبتت
 يد الفوضى رعايتها تمل
 وقالوا حطموا قيد القوافي
 فإن القيد إجحاف ودل
 وفي روض الجديد لنا انطلاق
 سحائبه كما نهوى تهل
 سراب طاب للعطشى رؤاء
 وبعض مفاتن الدنيا تمل
 أبتجديد يهدم ما ورثنا
 وتفصم عروة ويخان إل
 ومن يهدم تراث أبيه حمقاً
 فذاك ريب مسغبة عتل
 ومن تثمله صهباء الحيارى
 يسقه لحنه نمل مضل
 ومن هانت عليه النفس يوماً
 يهن أبد الحياة ويستذل
 وما الشعر المقضى غير روض
 يلوذ به الشعور ويستظل

شعر: احمد سالم باعظي

وترتشف العواطف فيه شهداً
تبلُّ به نبي عَطَشِي فتسلو
وشعر النثر سيفٌ من جريدو
به من صيغة التجديد فلُ
وزهرُ خامد الأنفاس ذابو
يد الإجهاض من دمه تدلُّ
وأبنية دعائمها دخان
بأسواط العواصف تضمحلُّ
وما نضبت بحور الشعر لكن
يقود سفينة العشاق جهلُ
فيسبها على شعب جياع
فتهوى للحضيض بمن تقلُّ
فيا للشعر من عبث الليالي
إذا ما شبَّ بين ذويه صلُّ
يقيم من المشيم له خيلاء
ويفتك بالشيوخ ويستحلُّ
أيا فرحاً بشوب مستعارٍ
تتبه به وفي الأردن غُلُّ
رفعت يداً مضرجة صفاراً
تبيح من الهوى ما لا يحلُّ
أينجب شعر أبائي وليداً
كسيحاً مُقعداً لا يستقلُّ
وتهديه الرطانة كلَّ يوم
دمي يلهو بهن ويستغلُّ
ولو رفع القديم عصا التصدي
لجلجل صوته الغضب المتلُّ
وأشيع ناقص التكوين صففاً
وقال وقوله شتمٌ ونبلُ
بحوري موجها عذب القوافي
وبحرك ميّت الأمواج ضحلُّ
وزهرك طلع زُقوم وطلح
وزهر حدائق وردٍ وفلُّ
فهل في ساحة الإعجاز يوماً
تساوى خائز كلِّ وفحلُّ
أحبُّ عرائس التجديد لفظاً
تبدئي الحرف ذا عبو يطلُّ
ومعنى يطرب الوجدان عذباً
ويتسم الشعور له ويتلو
وموسيقى موشاة جلالاً
بقافية ووزن لا يُملُّ





★ د. محمد صالح الجاسر ★

تطوير

بين المتنبي وخصومه لملي بن عبد العزيز الجرجاني ، رأينا كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، والعمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، ونضج الدرس البلاغي لدى عبد القار الجرجاني في أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز ، ولدى الزمخشري في الكشف ، ولع الجاحظ في البيان والتبيين وغيره من كتبه .

وهكذا ضم الحقل البلاغي جهوداً لا نكاد نحصيها في هذه المجالة . غير أن هذه المسيرة الفنية ما لبثت أن تعرضت لتيار آخر معاكس أخذ يغزوها ، ويقيد موجاتها ، ويعوق نموها ، فتحول الدرس البلاغي إلى قواعد جافة لدى بعض البلاغيين ، حتى وصلنا إلى الشروح ، وشروح الشروح ، والتلخيصات .

وإذا ما بلغنا العصر الحديث وجدنا محاولات جديدة لطائفة من المعاصرين منهم - مثلاً - : مقدمة لدراسة بلاغة العرب (١٩٢١م) لأحمد ضيف ، والأسلوب لأحمد الشايب ، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب (١٩٣٧م) لطله أحمد إبراهيم .

وعني الأكاديميون برصد خطوات البلاغة وتقديم الجهد فيها ، منهم - على سبيل المثال لا الحصر - : إبراهيم سلامة ، ومحمد مندور ، وطه الحاجري ، وشوقي ضيف ، وبدوي طبانة ، وغنيمي هلال ، وزغلول سلام ، وعبد المتعال الصعيدي ، وعلي العماري ، ومصطفى الصاوي الجويني ، وعبيد قلقيلة ، ورجاء عيد ، ووليد قصاب ، وتوفيق الفيل ، ومنير سلطان وأمثالهم ممن بطول حصرهم .

* * *

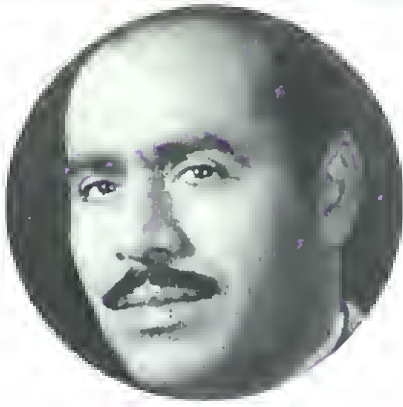
موضوع الندوة ليس جديداً على البلاغة العربية والبلاغيين العرب ، فقد شهدت ساحة هذا العلم العريق محاولات أصحابها على تقديم الجديد في هذا المضمار .

ولا شك أن مما يمهّد لقارئنا الكريم الطريق إلى معايشة أحداث ندوتنا أن نضع بين يديه خلاصة نجهت في تركيزها جامعة بين محاولات القدماء ، ومحاولات المحدثين بما في ذلك جهود بعض الأكاديميين المعاصرين .

ومنذ أبدى الناقد الجاهلي آراءه النقدية والبلاغية فيما تسمعه أذناه من النص الشعري ، أخذت سبل التذوق البلاغي تتسع مع اتساع حدة العلماء المسلمين في أعقاب ظهور الإسلام ، وأثناء انتشار حضارته شرقاً وغرباً ، وازداد الدرس البلاغي عمقاً وتنوعاً في العصور التالية ، وتوافد على الساحة البلاغية كتاب وشعراء ولغويون ، بل ومتكلمون ، حتى وضعت أصول العلم وقواعده واتضحت سماته وملامحه .

وفي تلك المسيرة الطويلة وجدنا من ينهج نهجاً محافظاً ، ومن ينهج نهجاً تجديدياً معتدلاً ، أو نهجاً تجديدياً يخضع فيه البلاغة العربية لمعايير بلاغة اليونان القديمة .

وهكذا وجدنا في مجال الجهد المنهجي البلاغي كتاب البديع لابن المعتز ، وأسهم الفلاسفة في ذلك ، فنسب كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، وظهر كتاب نقد النثر ، وأسهم المتكلمون بكتب منها : النكت في إعجاز القرآن للرماني ، وإعجاز القرآن للباقلافي ، وإعجاز القرآن لعبيد الجبار ، وامتزج النقد بالبلاغة في عيار الشعر لابن طباطبا ، والموازنة بين أبي تمام والبحثري للأمددي ، والوساطة



★ د. نوفيل النبل ★



★ د. منير سلطان ★



★ د. وليد فصاب ★

البلاغة العربية

وهذه القضية ، أعني قضية استبدال كتب البلاغة القديمة التي تعتمد في أسلوبها المتبعج التقريري كما يقال دعوى قديمة سواء أكان المطلوب هو استبدال هذه الكتب بكتب أخرى ربما تكون أقدم منها ولكنها تختلف عنها في منهجها وإن كانت من مدرستها أو كان المطلوب هو تأليف كتب جديدة

تشرب روح العصر وتستفيد أو تتأثر بالنظريات الوافدة .. هذه القضية قديمة ، وقد بدأها الشيخ محمد عبيده عندما سعى لإحلال كتابي إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، محل كتاب المفتاح والايضاح والطول وغيرها .

وسمعا أيضاً ، منذ حوالي أكثر من خمس وعشرين سنة ، بعضاً من أصداء الدعوة ، وكان هناك من لا يفتأ يهون من شأن (البلاغة) في كتب

الأقدمين ويقلل من أهمية قواعدها وفروعها وتقسيماها المتعددة . . بل إن هناك كتباً ألفت منذ ثلاثين سنة نحاشى أصحابها ذكر البلاغة عنواناً لمؤلفاتهم إمعاناً في التجديد وإشعاراً بأن بحوثهم في البلاغة يختلف عن بحث السابقين ، وأن لهم نظرة جديدة تخلف كل الاختلاف عن نظرة السابقين ، وهم في الواقع قد جهروا بهذا الرأي وبعضهم توصل في بحثه إلى أن الدراسات البلاغية في كتب

الأقدمين قد قصرت في الوفاء بأغراضها أي أن الدراسات البلاغية القديمة — على أهميتها — لم تكن تستوعب أصول البلاغة العربية كما يجب أن تكون وبالتالي فإنها لا تصلح أن تكون معتمداً ومرجعاً الوحيد عند تأليف كتب في

وقد يحين الآن الوقت لنلقي بآراء طائفة من البلاغيين العرب المعاصرين ، ممن يأخذون على عاتقهم ممارسة هذا الفن أكاديمياً في جامعاتنا العربية ، ومدارسنا ، أو ممن لهم إسهامات في التأليف .

التطوير .. وجوهر البلاغة

●● من المملكة العربية السعودية يطرح الدكتور محمد صالح الجاسر رأيه بأسباب عن هذه القضية قائلاً :

لقد أطلقت على عملية تغيير المنهج عبارة (التطوير) وعلمية التطوير في حد ذاتها مرغوبة ، والكل يشدها ولكن الرأي القابل للموافقة أو عدمها هو تغيير المنهج الحالي بمنهج آخر . ورأيت في هذه القضية وسط بين من ينحو إلى تغيير هذا المنهج بمنهج آخر مغاير تمام المغايرة للمنهج القديم وبين من يثبت بالمنهج القديم أو الحالي باعتباره منهجاً جديداً أو أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان . بمعنى آخر أنا مع كل من يسعى لتطوير كتب البلاغة دون أن يستتبع ذلك هدم البلاغة من أساسها واصطناع بلاغة جديدة تكون صورة ومسحاً لبلاغة العربية القديمة . . أي أن يكون اتجاهنا في (التطوير) لا يس من قريب أو من بعيد القواعد البلاغية التي فرغ العلماء من بحثها ، وكدوا أذهانهم وشحذوا قرائحهم حتى توصلوا إليها ، وهم في الواقع لم يستنبطوها كما يتوهم البعض بعد قراءات سريعة ونظرات خاطفة للآثار الأدبية شعرها ونثرها وفي مقدمتها القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم .. وإنما بعد معاناة فكرية وبعد بحث وتحجيص .

البلاغة أو أنها غير صالحة لأن تكون أساساً في بحثنا ودراساتنا للمصطلحات والمقاييس النقدية السليمة .. ولا يتسع المقام لمزيد من التفاصيل .. لكنني أرى أن علم البلاغة من أخطر العلوم وأهمها بالعناية والرعاية ، وأنه لا يصح بأي حال من الأحوال أن تتسرع ونستمع لأي ناعق يدعونا إلى تطوير البلاغة كما يدعونا إلى تطوير النحو والصرف وحتى رسم الكلمات بحجة أن كتب هذه العلوم عفا عليها الزمن وأنه لا يصح أن نعتد عليها في تنشئة أجيالنا كما أن تحديد معنى المفاهيم البلاغية أمر بالغ الصعوبة مما يؤدي بالتالي إلى خلط بعض المصطلحات ببعض أو حمل كلام المصنفين القدماء على غير ما يريدون .

وأعود لأساس القضية فأقول إن كتب البلاغة تلك التي توصف ظلماً وعدواناً بالتأخر والجمود ، بأنها قواعد ميتة لا روح فيها ولا حرارة ، وبأنها تعتمد على الأسلوب العلمي الفلسفي في تناولها لمسائل البلاغة وأحكامها ، وبأنها اهتمت كثيراً بالتقسيمات والتعريفات وأغفلت ما هو أهم من ذلك وهو تربية الأذواق ، والكشف عن أسرار البلاغة في النصوص الأدبية .. هذه الكتب ظلمها المتأخرون كثيراً ، ذلك أن علم البلاغة هو على أي حال اسم على مسمى لا بد أن يحدد مجاله ، وأن توضع رسومته ، وأن تجمع شوارده ، وأن توضح أقسامه وقواعده وتعريفاته .. وهذا الجهد الذي قام به أبو يعقوب السكاكي وأبرز معالمة تلميذه النقيب الخطيب القزويني يستحق منا التقدير والإعجاب لا الأزرار والإعراض ، وإني أؤمن إيماناً لا يخمارني فيه أدنى شك ، أنه لولا عبد القاهر الجرجاني والسكاكي والقزويني ، ولولا تلك المهمة القعساء التي دخلوا بها معترك البحث والتأليف لما قدر لنا أن نغيز (علم البلاغة) بمحدوده وأصوله ومعالمة الواضحة الثابتة .

لقد كان عبد القاهر الجرجاني مجيداً حقاً وهو يجهد نفسه ويلج في الوصول إلى نتائج معينة .. ولقد كان السكاكي مجيداً حقاً وهو يصوغ البلاغة العربية في تعريفات محددة وتقسيات واضحة .. ولقد كان القزويني مجيداً حقاً في تتبع بحوث سالفه وإعادة تبويبها وتنظيمها .. ويكفي السكاكي (ومن بعده القزويني) فخراً أنه اعتصر ذهنه وعقله وخرج من ذلك الركام من الدراسات والأبحاث بشيء واضح يمكن أن تضع إصبعك عليه .. أما ما يقال من أن هذه الكتب مجرد أبحاث نظرية ومجموعة قواعد وأنها خالية تماماً من أي أثر لتربية الحس والذوق ، فهو غلو وإنكار لجهود علماء أجيال سنفحوا دموعهم من أجل تمحيص الآراء وتدقيقها وتحقيقها للوصول بالبلاغة - في النهاية - إلى المرفأ الأمين .. ومهما كان المنهج الذي اتبعوه والأسلوب الذي استخدموه ، فإن جهدهم يظل شاهداً على عبقريتهم ونبوغهم وعمق تفكيرهم .

وإذن فإن كتب البلاغة القديمة لا غبار عليها ، وعلينا أن نبني من حيث انتهى الأولون ، مسترشدين بالمعالم والصدى التي وضعها لنا علماءنا الأجلاء ، ملتزمين للقواعد التي أجهدوا أنفسهم للوصول إليها بعد رحلة طويلة مع الكتب والدراسات

المتنوعة الدينية والأدبية والعلمية والفلسفية .

من هنا فإنه يلزمنا عند تغيير منهج مادة البلاغة أن نعتبر أن القواعد البيانية التي حددها علماء البلاغة هي الأسس التي نبني عليها المنهج الجديد ، ولا ضير علينا بعد ذلك أن يكون عرضنا يختلف عن عرض السابقين وأسلوبنا يختلف عن أسلوب السابقين ومعالجتنا وأفكارنا وأمثلتنا تختلف عن أمثلته السابقين ، فالقاعدة العامة الكلية يمكن أن يتوسع فيها ويمكن أن يتغير مدلولها تبعاً لظروف العصر وتبعاً لواقع الحياة الجديد وما يستجد فيه من مشاهد وصور وما يزخر به من أفكار جديدة وتصورات مستحدثة .. بل إنه من الواجب علينا أن يكون منهجنا معبراً عنا متأثراً بواقعنا مستمداً معطياته من تجاربنا ومن بيئتنا .

ولعل تعريف الأقدمين للبلاغة بأنها «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته» ما يدل فعلاً على أنهم لا يريدون الحجر على عقول الأدباء أو إخضاع قرانهم لقانون ثابت لا يتزعزع بحيث لا يجيدون عنه قيد أمثلة .

فالقواعد البلاغية التي أجهدها علماء البلاغة أنفسهم حتى توصلوا إليها هي .. هي .. لا يجوز مطلقاً أن يخمارنا أدنى شك في مدى صلاحيتها وصدقها ، وأكبر شاهد على ذلك الآثار الأدبية شعرها ونثرها ، فإنها أمثلة حية للادب الرفيع بفضل ما تحفل به من صور البلاغة وأي شك في مدى أهمية قواعد البلاغة أو التقليل من أهميتها أو أهمية بعضها يستتبع بالتالي الشك في مستوى تراثنا الأدبي ومدى تحشيه مع التعبير البلاغي ..

الذي أريد أن أتوصل إليه هو أن لدينا - إلى جانب الدراسات والأبحاث البلاغية الحديثة - أيضاً من الدراسات كلها تدور حول البلاغة والنقد منذ القرنين الثاني والثالث الهجريين إلى عصر السكاكي الذي استطاع فعلاً أن يحدد أبواب البلاغة ويعطيهما صورتها النهائية بالنسبة لعلمي المعاني والبيان ، هذه الدراسات - كما هو معروف - كان الهدف منها في أول الأمر تقويم اللسان العربي لفظاً وأداء ، ثم أصبحت في مجموعها تدور حول الدراسات القرآنية إعجازاً وتفسيراً ، ثم تطورت إلى الدراسات الأدبية بلاغة ونقد ، ودار بعضها حول الشخصيات الأدبية والشعراء منها خاصة تأييداً لها أو تعريضاً بها .

لكن الضروري عند تأليف كتب في البلاغة أن نطلع على هذه الدراسات والبحوث المستفيضة لنكون على بينة من مزايا كل دراسة والجانب الذي يفيدنا منها لنختار منها عند تأليف كتب مستقلة في البلاغة والنقد ما هو أصلح لنا وأنسب لأبنائنا شريطة ألا نعلمد إلى نبذ القواعد التي توصل إليها إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني ، ثم جاء من بعده السكاكي والقزويني ، فصاغاها صياغة علمية - لا تخلو من لغات فنية عند الآخرين - هدفاً من ورائها إلى تمييز علم البلاغة عن غيره من العلوم وتوضيح مجالاته ورسم حدوده .. بل إن علينا أيضاً الاطلاع على النصوص الأدبية والأساليب البيانية ، وهذا يفيدنا في

تأخية اختيار بعض الأساليب المناسبة لمدارك التلاميذ كنهج للتعليم والتطبيق ومن ناحية إثبات أصالة المقاييس القديمة وثباتها وسلامتها من كل انهام يلصق بها .

وباختصار لا بد أن نراوح - بطريقة ذكية - بين منهج المدرسة الاستقرائية الأدبية التي اتخذت من النص الأدبي مجالاً لها ونقطة انطلاق لأبحاثها ومنهج المدرسة النظرية التي درست البلاغة على أسس علمية جاعلة النص الأدبي مادة للتطبيق ووسيلة للتدليل على صحة النظرية .. ولتذكر أن اندارسين في مرحلة من العمر قد لا يروق لهم منهج إبن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة ، أو ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر أو الجامع الكبير ، في حين أنه يروق لهم منهج السكاكي في كتابه المفتاح أو الخطيب القزويني في كتابه التلخيص أو كتابه الايضاح .. والعكس بالعكس ، ولا مندوحة لنا منها كانت الأحوال ومهما صبغنا كتب البلاغة بالصبغة الأدبية من أن نضع المادة العلمية أمام الدارسين بأسلوب مدرسي يستوعبه الذهن وإن لم يحط بكافة جوانبه .. ويبقى علينا بعد ذلك انتقاء المادة العلمية المناسبة لكل مرحلة من المراحل و (تحديث) هذه المادة عن طريق الأسلوب وعن طريق العرض ، وربط هذه المادة بالمعطيات الجديدة وبالبينة الحاضرة واختيار الشواهد والأمثلة البليغة ، والضرب صفحاً عن جميع الأمثلة والشواهد التي لا تكون فيها الصورة البلاغية واضحة ، فعندما نظرب مثلاً للتشبيه الضمني أو للكنائية عن الصفة أو الاستعارة التصريحية المرشحة ، فلا بد أن تكون هذه الأمثلة من الأمثلة التي تظهر فيها الصورة البلاغية أجلى ما تكون وأوضح ما تكون أيضاً ، وليست من تلك الأمثلة التي يكذب الذهن في استخراج معناها عما يجعل الطالب المبتدئ يأخذ فكرة مبهمه أو مشوشة عن الموضوع الذي يدرسه ، وتوجيه الأذهان إلى محاولة المحاكاة والاحتذاء ، وهذا يشر كثيراً عند من لديهم موهبة أدبية تحتاج للتوجيه والصقل وإثارة المشاعر ، وتربية الأذواق بالمقارنة واستجلاء جمال النص ومنابع اشعاعه ، والله الموفق والهادي سواء السبيل .

ما يؤخذ .. وما يطرح

● ومن سورية تحدث الناقد الشاعر وليد قصاب ، الأستاذ المساعد بكلية آداب جامعة الرياض ، فقال :

أبدأ هذا الحديث وأنا مؤمن أشد الإيمان بالحاجة إلى تطوير السدرس البلاغي القديم ، وإلى تناول الكثير من أشكاله وألوانه تناولاً جديداً يلائم روح العصر ، ويتوافق مع هذه الفنون الأدبية العديدة ، والأشكال الفنية الكثيرة التي استجدت في أدبنا العربي ، وما تزال تستجد يوماً بعد يوم ؛ ومن أجل ذلك كانت الحاجة ماسة باستمرار إلى مد الجسور ، وإقامة وشائج القرى بين تراثنا

الأدبي القديم وبين هذا الجديد الذي ولد ويولد دائماً في ميدان الدراسات الأدبية الحديثة ؛ لأن التراث جزء منا ومن شخصيتنا وحضارتنا ، ولكن هذه القداسة لا تعني أن نقبل عليه إقبال تقليد واحتذاء ، بل إقبال انتقاء وتخير واصطفاء ؛ ففي معرض الحديث عن التراث البلاغي ينبغي أن نطرح مثلاً من بلاغتنا القديمة كثيراً من هذه الأصناف البديعية العاطلة عن الدلالة ، والتي شغف بها أدباء ذلك الزمان ، كما ينبغي أن نصفها بما علق بها من أدران الفلسفة والمنطق وعلم الكلام والأصول وغير ذلك مما لا يمت إلى فن القول بصلة ما . إن البلاغة هي فن القول الأدبي الجميل ؛ ومن أجل ذلك فهي محتاجة إلى أن يتناولها - بالدرجة الأولى - قلم أديب فنان ذؤافة ، يبت فيها الروح ، ويبعث في أوصالها الحياة ، وليست محتاجة إلى قلم رجل اللغة ، أو المنطقي ، أو الفيلسوف ، أو النحوي ؛ ومن أجل ذلك أيضاً كانت عملية الاصطفاء من التراث - هذه التي نتحدث عنها - تعني العودة إلى تلك المصادر القديمة التي تناولت البلاغة العربية هذا تناولاً فني ، لا هذا تناول المنطقي . لقد أفسد المتأخرون من البلاغيين العرب البلاغة عندما تناولوها هذا تناول الجفاف ، فقطعوها عن منابعها الأصلية ، وابتعدوا بها عن منابعها الدافقة بالحياة ، عندما حولوها إلى قواعد جامدة ، وصرفتهم العناية بالتقسيمات والتفريعات والتحديدات المنطقية الخشنة عن تلمس أصول الجبال ، ومواطن الحس في العمل الأدبي .

ولعل الإمام الجليل عبد القاهر الجرجاني خير من يصلح أن يتخذ مثلاً يحتذى فيها ينبغي أن تكون عليه البلاغة العربية فيما نريد لها من تطور يلائم روح العصر ، ويبعث في جوانبها الحياة التي ركبت فيها أزماناً طويلة وهي تعالج تلك المعالجة القيم في مدارسنا وجامعاتنا كذلك . فعبد القاهر بليغ أديب ، يعتمد إلى التحليل الفني لما كان يعرضه تحليلاً دقيقاً جليلاً ، يلجأ فيه إلى طول النفس ، وبسطة العبارة ، والاعتماد على الحاسة الفنية السليمة ، والنوق الأدبي المصقول . وإن فيما كتبه هذا العالم الجليل - بشكل خاص - البذور الصالحة لإقامة بلاغة عربية عصرية ، تندفق في شرايينها دماء الحيوية والإشراق والبهجة ، وينبغي العودة لهذه البذور الصالحة لنهشها ، ودرسها دراسة جديدة تجدد لها ثقافات العصر ، وتستثمر في إثرائها الدراسات الحديثة التي توصل إليها العلماء في بحث علم التراكيب والأسلوب الحديث .

ففيما كتبه عبد القاهر نظرات طريفة رائعة لا تقل أهمية وأصالة عما توصل إليه كثير من النقاد والدارسين المحدثين . وفي رأيي أن أي دراسة للبلاغة العربية ينبغي أن تعتمد اعتماداً أساسياً على كتابات عبد القاهر ، وخاصة في أثره الجليلين : دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة .. على أننا - ونحن نتحدث عن أصالة بعض المحاولات القديمة في تراثنا البلاغي - ينبغي أن نعترف في الوقت نفسه أن بلاغتنا القديمة تفتقر إلى دراسة الأساليب والفنون الأدبية افتقاراً شديداً ؛ إذ انصبت

عنايتها على الكلمة والجملته والصورة ، ولم تتوسع — إلا في حالات قليلة جداً — في دراسة العمل الأدبي ككل ، أو النظر إليه على أنه وحدة متكاملة ، ولعل سبب ذلك — كما لاحظ بعض الدارسين — أن اللون الوحيد الذي عرفه شعرنا القديم — والذي استمدت منه البلاغة العربية أصولها وقواعدها — كان الشعر الغنائي الوجداني ، وقد تعارف الشعراء — وشايعهم على ذلك النقاد والبلاغيون — على أن كل بيت يشكل وحدة مستقلة هي أساس البلاغة والجمال الفني ، ولم يُنظر إلى القصيدة نظرة شاملة عامة ؛ وكثيراً ما وجدناهم يعيرون البيت إذا كان مرتبطاً بغيره ، ويسمون ذلك (تضميناً) ، وفي ميدان النثر كان اللون الذي غلب في أدبنا القديم ، واحتفل به البلاغيون هو الرسائل الديوانية السياسية . ولم تتفرع فنونه ، أو تشعب أغراضه وألوانه ، وعندما عُرفت المقامات التي هي شبه أنصايب تصور لونا من الفانج البشرية لا تخلو من جدة وطرافة ؛ فلما سرعان ما انحدرت إلى التكلف ، ففقدت الحيوية ، وأصبحت معرضاً لصناعة السجع وغريب الألفاظ والمفردات ؛ وبذلك أصبحت السجعة هي الوحدة البلاغية في النثر كما كان البيت هو هذه الوحدة في الشعر ؛ ولذلك قصرت البلاغة القديمة في تناول العمل الأدبي ككل ، وظلت نظرتها جزئية محصورة في الجملة الواحدة ، أو الجمل المتصلة في معنى واحد ، وأما المعاني الأدبية ، والأغراض الفنية التي هي روح الفن القوي ، ومظهر تفوق الأديب ، فلم يعتنوا ببحثها ...

وأما اليوم فنحن نعرف ألواناً متعددة من الفنون الأدبية النثرية والشعرية ، ونعرف أشكالا فنية كثيرة ، وطرائق لا تُحصَر في التعبير عن هذه الألوان الأدبية جميعها ، ولذلك كان من الحري بهذا التطور الواسع الذي أصاب أدبنا أن يقابله تطور كبير في بلاغتنا العربية وفي دراستها كذلك ؛ فنستفيد من هذه الدراسات العديدة المعاصرة التي استحدثت في الساحة الأدبية ، فنقيم صلة واضحة متميزة بين علم المعاني مثلاً ، وعلم الأسلوب ، وندرس علم البيان من خلال الصورة الأدبية ، والتوسع في الحديث عن عناصرها ومكوناتها ، كما أصبحنا في حاجة إلى أن نسلك في مباحث البلاغة دراسة لفنون القول الأدبي المختلفة من منظوم ومثور ، وما يقوم به كل فن سواء كان قديماً كالخطبة والرسالة والمقامة ، أو كان مما استجد من فنون عديدة كالقصة والمسرحية والمقالة والسيرة وألوان الشعر المتنوعة ، وغير ذلك .

دعوة إلى التطوير

●● أمام هذه الصورة لواقع البلاغة العربية ، وما آل إليه أمرها ، وأمام الأمانة الفنية للمقابلة على عاتق البلاغيين المعاصرين تطلعا إلى ما يجب أن تكون عليه البلاغة العربية ، نلتقي بوجهة نظر الدكتور منير سلطان ، مدرس البلاغة في كلية

البنات بجامعة عين شمس والمعار إلى كلية المعلمين المتوسطة بالرس بالقصيم بالمملكة العربية السعودية ، الذي يقول :

الموسيقى أنغام ، والرسم ألوان ، والغناء صوت ، والتثليل حركة ، والرقص إيقاع ، أما البلاغة فهي فن القول ، الذي يجمع نغمة الموسيقى ، ولون الرسم ، وصوت الغناء ، وحركة التمثيل ، وإيقاع الرقص ، وتمتاز البلاغة عليها جميعاً بأنها تبعث الحياة والتجدد في كل هذه العناصر حين تحتويها الصورة الأدبية . فهي فن التشكيل الأدبي الذي يعتمد على اللغة ، يختار مفرداتها ثم يربطها ببعضها مكوناً الجمل ، ومن الجمل تتكون الفقرة ومن الفقرة تتكون القطعة الأدبية ، لتؤلف صورة جميلة متناسقة تأخذ طريقها إلى الأذن وتصل إلى العقل ليرسلها إلى القلب فتسيطر على النفس جميعاً ، ومن ثم يمتزج القارئ (وهو المتلقي) بروح الفنان الشاعر أو النثر أو الخطيب ، فلا يلبث أن يقول «ما أروع هذه القطعة ، ما أسحرها ، إنها لبليغة» ، فيكون الكلام بليغاً ويكون الفنان بليغاً ، ويكون المتلقي السدي استطاع أن يتذوق ما يُبلِّغ به بليغاً أيضاً . وهنا تصير عناصر الصورة البليغة ، الفنان المبدع والقطعة الأدبية المبدعة والمتلقي الواعي .

وإذا كانت هذه هي البلاغة ، لما بين أيدينا منها يجب أن يتطور ، إنما عماد كتابنا الأكبر ، لسان لغتنا العربية ، ترجمان حياتنا الفنية ، عنوان حضارتنا وفنونا وأذواقنا ، فهي ليست علم البيان والمعاني والبديع ، وهي ليست اللف والنشر وحسن التعليل ولزوم ما لا يلزم ، والهزل الذي يراد به الجحد ، فكل هذا هزل يراد به الهزل ، البلاغة ليست الفلسفة ولا المنطق ولا النحو ، وليست ما ترك السكاكي والقزويني وأشباههما ، وليست ما في كتب المفتاح والإيضاح وعروس الأفراح ، فكل هذا قريب من قريب ، وإفلاس من إفلاس ، لقد ضاع عمر هؤلاء العلماء الأفاضل في تدبيج ركام من الأصداف اختفت فيه حبات من اللؤلؤ ، إذا أردنا الوصول إليها تجملنا بالصبر . والصبر مفتاح الفرج .

وإذا كانت البلاغة قد استتقت حياتها من معين القرآن الكريم الذي لا ينضب ، وإذا كانت قد قامت لخدمته وللدفاع عنه ، فلنضرب صفحاً عما حدث لها في عصور الشروح والتلخيص ، ونلتفت إلى انتصاراتها التي أحرزتها في عصور الابتكار والإبداع ، وإنها لكثيرة ..

ومن أسف أن اقتلاع أثر تراث السكاكي من تاريخ البلاغة أمر بالغ الصعوبة ، فقد عاش الأزهر أجيالاً يدرس البلاغة من خلال هذا التراث ، واستقر منهجه في نفوس الخريجين وتلاميذهم ، فلكني نظور البلاغة علينا أن نعيد دراسة هذا التراث بوعي وذوق ، لنخلصه من أوشاب الفلسفة والمنطق والنحو العقيم ، ثم نرى ما سبق لنا من بلاغة خالصة ، وإذا حصلنا على

شيء، ضمناها إلى شجرته الوارفة البائعة، وإن لم نجد فلا بأس من أن نريح أنفسنا من ذلك الهزل الذي يراد به الهزل، فتتوقف البحوث التي تدور في هذا الفلك والرسائل الجامعية التي تنخر في قشوره.

والخطوة الثانية: أن نقسم دراستنا للبلاغة إلى مبادئ ومقدمات وبحوث، وأقصد بالمبادئ التعريف بفن البلاغة وغايته وصلته بغيره من الدراسات الإنسانية، وأما المقدمات فنباها ندرس الوسائل النظرية والعلمية التي تعيننا على فهم الأدب وتذوقه، والإحساس بما فيه من روعة وجمال، وأما البحوث فندرس فيها الكلمة الواحدة من حيث هي عنصر لغوي وما فيها من جرس وموسيقى وأثر في التعبير، وندرس فيها الجملة وما يحدث فيها من تقديم وتأخير وحذف وذكر وإيجاز واطناب، وندرس فيها الفقرة وما فيها من فصل ووصل، وما تؤدي من صور، وندرس فيها صور التعبير من تشبيه واستعارة وكناية ورمز وإيجاز، وندرس فيها القطعة الأدبية كلها وعناصر العمل الأدبي، وما بين اللفظ والمعنى من علاقة، وأخيراً ندرس الأساليب الفنية في الأدب وأنواعها من أسلوب رمزي أو فكاهي أو تهكمي... إلخ.

ويجب أن يدور الدرس البلاغي في ثلاثة محاور، الأول القرآن الكريم، والثاني ما تركه الجاحظ حتى الزمخشري، ثم ما خلص لنا من تراث السكاكي، والثالث البحوث الجامعية المبكرة. وأخيراً، أنهى حديثي بتقديم بعض المقترحات التي قد تدفع بعجلة التطور البلاغي نحو الهدف، وهي:

- ١ - أرى ألا يعهد درس البلاغة في الجامعات إلا إلى المتخصصين، وكذلك الإشراف على الرسائل الجامعية في البلاغة والنقد.
- ٢ - أن يقام مؤتمر للمشتغلين بالبلاغة في العالم العربي للمناقشة المفتوحة.
- ٣ - أن يتعرف المشتغلون بالبلاغة في البلد الواحد على بعضهم، وقيمون الندوات لمناقشة الآراء الهادفة إلى تطوير البلاغة ويتبادلون نتاجهم، وحبذا لو اشتركوا في تأسيس مجلة متخصصة للبلاغة والنقد.
- ٤ - أن يتولى نخبة منهم الإشراف على الكتب المدرسية لتقويمها وإبعاد الزيف والتعقيد عنها. وحبذا لو أقيمت المحاضرات العامة في البلاغة، لتبصير المدرسين بمواطن الجاهل وعناصر الفن البلاغي في أدبنا العربي.

نحو بلاغة جديدة

●● ويجب الدكتور توفيق الفيل، مدرس البلاغة والنقد

بجامعة الكويت، مقدماً جهداً طيباً في بحث القضية وعلاجها .. يقول:

في البحث الذي ألقته في الندوة التي أقامتها جامعة القاهرة، حول فكر طه حسين، دعوت إلى إعادة النظر في البحث البلاغي. وكانت تلك الدعوة نابعة من إيمان قوي بالحاجة إلى إنشاء بلاغية عصرية تعود إلى التراث العربي لتدرسه دراسة جديدة، وتأخذ عنه ما يفيد وينفع، وتطرح من بينه ما لم يعد متمشياً مع الفكر العربي الحديث. وهذه الدراسة على ما فيها من الاتصال بين حاضر الأمة وماضيها يجب أن تأخذ بعين الاعتبار تلك النهضة الأدبية المعاصرة التي تعم أرجاء الوطن العربي. وليس يخفى علينا ما جد في الأدب العربي الحديث، وما استحدث فيه من فنون لم تكن موجودة عند أسلافنا القدامى، ومن ثم لم تعد المقاييس والمصطلحات التي كانت لهم تنتمى مع هذا الأدب في فنونه وأجاءاته.

ومن جهة أخرى ليس كل ما أبدعه الأقدمون قد مضى زمنه، وانتفتت الفائدة منه فلا يزال هذا التراث خصباً يمكنه أن يرفد الدراسات المعاصرة بالكثير من الأفكار المفيدة والناقصة.

ولقد كانت تلك الدعوة الكريمة التي تلقيتها من «مجلة الفيصل» حافزاً جديداً لي للعودة إلى هذا الموضوع الجوي. فليس من المنطقي أن تنهض الدراسات العربية المعاصرة كل هذه النهضة، وتتسع آفاقها على نحو لم يتهيأ لعصر من العصور وتظل الدراسات البلاغية كما كانت في العصر السادس الهجري، على الرغم من أن هذه الدراسات، بشهادة القدماء أنفسهم، ظلت دون أن تتضح، فقد ورد عنهم في وصف مجالات البحث: من العلوم علوم نضجت واحترقت وهي علم النحو، وعلوم نضجت ولم تحترق وهي علم الحديث، وعلوم لم تتضح ولم تحترق وهي علم البلاغة. ومن هنا يظل الباب مفتوحاً على مصراعيه لكل جديد في هذا الميدان.

وإذا كنا نشترط لإضافة جديد إلى أي علم من العلوم أن نقف أولاً على ما كان للسابقين من إنجاز فيه تحقيقاً للتواصل البناء بين ماضي الأمة وحاضرها وعدم إضاعة الجهود في ידיات جديدة يمكن أن تقف بنا دون الخطى التي وقف عندها القدماء. فإنه من الضروري أن نعود إلى الدراسات البلاغية القديمة لنعرف غاية القدماء منها، والوسائل التي اتبعوها لتحقيق هذه الغاية، والمدى الذي وصلوا إليه في سبيل تحقيقها. ثم نعين غايتنا من الدراسات البلاغية، ونمتحن الأساليب التي اتبعها أسلافنا، فإن أفادتنا أخذنا بها، وإن قصرت عن المراد بها شكرنا لهم جهدهم، وأضفنا إليها ما نريد. وحين نفعل ذلك لا نكون قد ارتكبنا شططاً من الأمر، ذلك لأن البلاغة روحها الأدب وعليها أن تواكبه، بل

عليها أكثر من ذلك ، أن تسبقه وتخطط له .

● **الخطوة الأولى في سبيل إصلاح الدرس البلاغي - نظري -** تكمن في العودة إلى القديم بروح جديدة ، ومنطق جديد ، وعزيمة قوية ، لدرس وتحيصه والكشف عن غباياته ووسائله .

● **ويلى هذه الخطوة في الأهمية : تحديد المصطلحات البلاغية القديمة تحديداً واضحاً لا يحتمل اللبس أو الغموض أو الاشتراك ، وملاحظة ما طرأ على هذه المصطلحات من تطور في العصور المختلفة ، وربط هذه المصطلحات بالشواهد التي كان يأتي بها البلاغيون للتدليل على هذا المصطلح أو ذاك . .** فني رأسي أن بعض هذه الشواهد مصنوع لإثبات المصطلح ، وإظهار تفوق هذا العالم على من سبقه من العلماء ، ولدي أمثلة وشواهد على ذلك لا يتسع لها المقام ، وحسبي أن أشير إلى تلك الأقسام الكثيرة التي أصبحت تند عن الحصر في علم البديع .

● **أما الخطوة الثالثة التي أشير إليها في مجال إصلاح الدرس البلاغي ، فتكمن في تحليل البلاغة من سيطرة المنطق الصوري عليها ، وإذا كان المنطق صالحاً للدرس البلاغي القديم لارتباطه بالغاية التي كان يسعى إليها القدماء ، فلا حاجة لنا به في وقتنا الحاضر ، أو على الأقل لا حاجة لنا به في البلاغة الفنية التي يقصد بها دراسة الأدب والوقوف على مظاهر الجمال فيه .**

والمشتغلون بالدراسات البلاغية يعرفون أن المنطق الهليني لم تكن له تلك السيطرة أو السلطان على البلاغة العربية في نشأتها وأن ذلك قد تم في القرن الثالث الهجري ، وعلى يد بعض المشتغلين بالبحوث البلاغية من غير العرب ، وكان يهمهم بالدرجة الأولى صحة التعريف ، وكونه جامعاً مانعاً وقد كان هم عذرهم في هذا ؛ إذ كان لهذا المنطق قوته وسطوته ، كما كانت له في هذا الوقت جدته وطرافته ، ومن طبيعة النفس الإنسانية الميل إلى مستحدثات الأمور .

● **أما الخطوة الرابعة : فأراها تكمن في إعادة النظر في الأقسام التي لا طائل من ورائها ، وعلى سبيل المثال أقسام الاستعارة التي نجدها في كتب البلاغيين ، والتي تبلغ ثلاثة عشر قسمًا ، وكلها أقسام شكلية تنقل على ذهن الدارس ، وتصرفه عن دور الاستعارة في التصوير الفني ، كما تصرفه عن محاولة الكشف عن ارتباط الاستعارة بالموقف الذي تائق لتفصيله والتعبير عنه . وهم - على سبيل المثال - يقولون بقسم من أقسام الاستعارة يطلقون عليه مصطلح الاستعارة التبعية . ويعرفونه بأنه استعارة المشتقات : الفعل : واسم الفاعل : واسم المفعول . وغيرها من المشتقات . وهي تبعية لأنها تتبع الاستعارة في الاسم . ومن جهة أخرى يقولون إن قرينة هذه الاستعارة « مكنية » ويمكن أن يعتد بالمكنية ويصرف النظر عن التبعية .**

وفي ظل هذه الأمور تضيع الغاية من الاستعارة مكنية أو تبعية ، ويضل

الدارس في متاهات الجدل . وكل ذلك يتم على الرغم من الأساس الجيد الذي وضعه عبد القاهر الجرجاني حين وجه عنايته إلى الغاية من الاستعارة ، ونظر إليها باعتبارها وسيلة لا غاية تؤدي دورها في السياق ، وتلمح في موقف هياه الأديب لها ، وفي وسط يتطلبها ، ومن هنا لم يضع الجهد في متاهات الأقسام .

وبين منذ البداية أن الاستعارة مفيدة وغير مفيدة^(١) . وغير المفيدة ليست موضع دراسة لأنها لا تفيد غير التفوق ، والإشارة إلى معرفة اللغة ، كاستعارة المشفر لشفة الإنسان ونحو ذلك ، ما لم يقصد الأديب إلى غاية فنية كالسخرية أو نحوها من الغايات . أما الاستعارة المفيدة فهي التي تستحق الجهد عنده لما تضمني على الفن من جدة ، وما تخلعه عليه من الجمال ، وما تتيحه للأديب من التصرف والافتنان .

ومن يُعَد إلى كتابي عبد القاهر « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز » يقف على الدراسة الممتازة التي قدمها الباحث القديم في فني الاستعارة والتشبيه ، وبخاصة تشبيه التمثيل ، وإن لاحظنا تعفية المنطق على بعض جمال هذه الدراسة ، لكنها - بغض النظر - عن ذلك تشير إلى نواح جمالية ، يتحدث فيها علماء الجمال المعاصرون^(٢) .

ولا يتسع المقام للإشارة إلى النواحي المشرقة في دراسة عبد القاهر الجرجاني ، وعلى الأخص فيما أطلق عليه « ريتشاردز » معنى المعنى ، وتنبه إليه الناقد العربي ، وعبر عنه في جلاء ووضوح فيما عرف بالمعنى الثاني الذي هو واسطة لغرض الأديب .

تبقى ملاحظة أخيرة من الملاحظات التي وقفت عليها من خلال اشتغالي بالدرس البلاغي ، وهي اشتغال المتكلمين بهذا الدرس ، وإخضاع النصوص لأرائهم الكلامية ، وبخاصة في بعض آيات القرآن الكريم .

ويمكن أن أجل تصوري لما يمكن أن يكون عليه الدرس البلاغي ، وهو أن البلاغة تهدف إلى دراسة الشكل والمضمون .

فعل المعاني يهم بالمعنى وأدائه على أكمل الوجوه وأحسنها ، أي أنه يوجه عنايته للمضمون وذلك عن طريق استغلال ما تتيحه اللغة من تصرف في التراكيب ، والتقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، والخبر والإنشاء وغيرها . ودراسة عبد القاهر الجرجاني لما أطلق عليه النظم تشير إلى صحة ما نقول^(٣) . وحسبنا أن نقف على دراسته للاستعارة في قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ . فالجمال في الاستعارة لا يمكن بيانه إلا بعد العلم بالنظم^(٤) والوقوف على حقيقته .

وليس الشرف العظيم والمزية الجليلة ، والروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لجورد الاستعارة ، ولكن لهذا التصرف في النظم ، واستغلال ما تتيح اللغة من إسناد الفعل إلى شيء ، وهو يسند إلى ما هو من سببه . وهذا ما يطلق عليه النحويون التقييد المحوّل عن الفاعل ، لأن الشيب الذي نصب على التمييز يعتبرونه فاعلاً في الأصل . ونحن نرى إلحاح النحويين في التعليل والتقدير من الأمور التي تنقل خطى النحو والبلاغة وتقف في سبيل

تطورهما .

أما علم البيان : فيبحث في الشكل الفني ، والوسائل التي تكفل للمضمون الشمول والإحاطة بالمراد من جهة ، والجمال وحسن التأني من جهة أخرى . وهنا تجدر الإشارة إلى استحالة الفصل بين الشكل والمضمون في العمل الفني ، وإن كنا نلجأ إلى ذلك في مجال التعليم . . أوليست الاستعارة في الآية السابقة تكتسب جمالها من التعبير الذي هيئ لها ؟ ثم إنها قد جاءت لتكمل الصورة المنشودة ، وتفيد الإحاطة والشمول للذين لا يفيدونها بحجى التركيب على الصورة التي تجلبها النحاة وهي « اشتعل شيب الرأس » .

أما علم البديع فلا يخرج في نظرنا عن لمسة جمالية تضاف إلى الشكل والمضمون . ولهذا نجد حسن هذه الأشياء مشروط بعدم المساس بالمعنى من حيث خفائه أو تعقيده أو غير ذلك . وربما أمكن من خلال ذلك التعليل لعدم قبول النقاد القدامى لبعض الصور الأدبية التي أفرط أصحابها في استعمال ما يطلق عليه المحسنات . بل لعل ذلك هو السبب في انحطاط عصور كاملة من الأدب كالعصر المملوكي ، الذي جعل الأدباء فيه وكدهم الجري وراء هذه المحسنات والخلى اللفظية .

وبعد ،

فإني أرجو أن تكون هذه المحاولة إسهاماً في الدعوة إلى إعادة النظر في الدرس البلاغي على النحو الذي تتطلبه وتقتضيه حياتنا الأدبية والفكرية . وأنا أقول وألح في القول إن هذه المحاولة ليست إلا إسهاماً في الدعوة . لأن الدرس البلاغي بالصورة المنشودة لا يمكن أن يحقق فيه الأمل جهود باحث واحد مهما كانت قدرته .

والشيء الوحيد الذي يمكنني الثقة فيه أنها دعوة مغلصة للماضي والحاضر والمستقبل .

خاتمة

يبقى بعد ذلك أن نقول للبلاغيين العرب : إن البلاغة لا تنفصل عن الأدب — هكذا علمونا — فإذا كان الأدب العربي الحديث قد تنوع في أجناسه ، وفنونه ، وأغراضه ، وأساليبه ، ومذاهبه الأدبية ، فهل تظل بلاغة قرون مضت هي المعيار الفني لذلك الأدب المتجدد صلباً مضاء بين الفن القصصي من أقصوصة وقصة قصيرة ورواية ، والفن المسرحي : شعراً ونثراً ، والرواية ، والمقال ، والبحث والرسالة العلمية ، والصورة القلمية ، والأحاديث الأدبية الصحفية ، والإذاعية ، والخطبة السياسية والقضائية ، والسيرة ... إلخ .

لقد احتوت التجارب الأدبية المعاصرة أغراضاً متعددة في فنون الشعر والنثر ، واستوعبت المذاهب الأدبية الأوروبية من كلاسيكية ورومانسية وواقعية ورمزية ... إلخ ، بل حين ظهرت تجارب في أدب اللامعقول وقفت البلاغة العربية إزاءها عاجزة عن الكلام ، مع أن دورها في تصحيح

المسار كان ضرورياً ومهماً .

لا يعقل إذن أن تظل البلاغة العربية مكبلة الخطى ، زائغة العينين أمام هذا التنوع الأدبي . إن استيعاب تراثنا البلاغي القديم — عن فهم علمي ، وحسّ فني ، وذوق أدبي — ليقين أن يلهمنا إلى خطوات بلاغية جديدة تجمع بين فهم القديم واستيعاب الحديث . . لا وقت للبلاغيين الجامدين ولا مبرر لجمودهم . إن عليهم أن يعيشوا عصرهم ، وإلا حكم عليهم التاريخ حكماً قاسياً .

الصورة الأدبية

ماذا قدم البلاغيون — على سبيل المثال — في إطار الصورة الفنية وهي أخطر ما في الشعر وأجله ؟

ماذا قدموا من أدوات تعين متذوقي الأدب العربي الحديث ؟ ماذا قالوا عن بيت إيليا أبي ماضي مثلاً :

والسحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين

وقول نازك الملائكة المترج بالونولوج الدائلي والحوار في قصيدتها (الخيوط المشدود في شجرة السرو) :

« ويصرّ الباب في صوت كتيب النبرات

ونرى في ظلمة الدهليز وجهاً شاحباً

جامداً يعكس ظلاً غارباً

« هل ... ؟ »

ويجوب صوتك المبجول في نهر حزين

« لا تقولي إنها ... »

« يا للجنون ! »

أيها الخالم عمن تسأل ؟

« إنها ماتت ... »

بل ماذا قدموا للحوار عامة : شعراً ونثراً ؟

إن الحوار المسرحي والقصصي مجال خصب لانطلاقات البلاغيين — فبما تنصور — إذ يؤدي الحوار دوراً فنياً في الإبانة والكشف عن باطن الشخصية ، والإسهام في تقدم الحدث ، والإنفصاح عن مضمون العمل الفني ، وتفسير المواقف ، وغير ذلك من إسهام فني ، وتلك في عمومها لا تقوم إلا بالفن القولي الذي هو مسرح علم البلاغة .

وعلى المجمعين من البلاغيين إعادة تعريف الناس بالمصطلحات البلاغية عن وعي فني مصحوب بالشواهد الأدبية الحية الجميلة في فن جيل اسمه ... « البلاغة العربية » .

الهوامش

- (١) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص ٢٠ — ٢١ .
- (٢) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص ٩٠ وما بعدها .
- (٣) نوفيقي الفيل ، من قضايا النقد والبلاغة .
- (٤) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص ١٣٢ — ١٣٣ .

رغبت في الهوليستي

شعر: مصطفى عكرمة

الفجرُ بذده الضحى
والليلُ يذنو زحفه
أرخصى على الدنيا دُجا
والناس!! كما يستريح
هَبُوا إلى الآمال، والـ
عادوا، وكلُّ من منا
والآن فد هجموا.. فلا

★ ★ ★
الصمت لَوْن هذه الـ
ونظرتُ... من يجمي الأنا
ونظرتُ... من للنجم بمـ
ونظرتُ... ثم نظرتُ، ثم
ونظرتُ... ثم نظرتُ يا
وضخ الدليل، وغاب عـ
ولربما نحوي بدي

★ ★ ★
سألتُ عنك وفي فؤا
فعلمتُ أنك يا إلـ

وعلى الضحى شد الأصل
فكأنما انتَهرت سبيل
ه، فعم في الدنيا الدهول
الناس كلهمو غجول
آمال مسعاه طويل
عبي يومه مُضنى كليل
أحد بصول، ولا بجول

★ ★ ★
دنبا، وغطاها خول
م، وعز في الناس السبيل!!
سكه، فلا يُخشي أفول!!
رايتُ كم حارت عفول!!
سبحان رب ما أفول!!
ما أنه وضخ الدليل
وانا بما نحوي جهول!!

★ ★ ★
دي منك يا رب الدليل
هي لا تحول، ولا نزول



المريخ

رحلة في



كتاب

الفلسفة النقدية للتاريخ

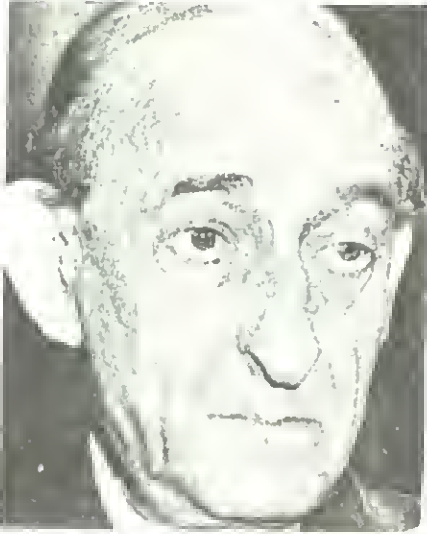
مؤلف هذا الكتاب .. كاتب معروف لعدد من المداخل الفلسفية والاجتماعية ،
والسياسية أيضاً كعلم قائم بذاته .
وكان آرون أستاذاً بالمعهد التجريبي للدراسات العليا ، وبالسيرون أيضاً . كما أنه
عضو أكاديمية العلوم الخلقية والسياسية ، مما يدل على تقدير هذه الدور لبحوثه ،
واحترامها لكتابه الناقدة ، ولغاته التقويمية البناءة في كتابة التاريخ .

تأليف:

ريمون آرون

عرض وتحليل:

جمال مبدران



★ آرون ★

ويؤكد دلتاي أن هذه الطريقة ليست استدلالية ، إذ إننا ننقل من الوعي بالتعبير إلى الوعي مباشرة بما يعبر عنه . بمعنى أننا على الرغم من عدم استطاعتنا الوصول إلى التجربة الأصلية ذاتها ، فإن لدينا في أنفسنا تجربة مماثلة لهذه التجربة الأصلية .

ويضرب دلتاي مثلاً على ذلك ، فيقول . . لو رأيت أحداً يعرض أمامي جميع إشارات الألم ، فإني أشعر بذلك الألم بنفسني شعوراً مباشراً ، فأعرف كيف يكون حال هذا الرجل . . لأن حالتي العقلية تطابق حالته مطابقة تامة .

ويناقشه المؤلف بقوله . . من أين ينشأ الخطأ إذن ما دامت معرفتنا مباشرة ، وليست استدلالية ! فلا أحد يجزؤ أن يدعي قدرته على قراءة أفكار الآخرين من غير زلل أو خطأ ، ومصدر الخطأ هو — ولا شك — استنتاج خاطئ من أدلة بين أيدينا ، أو من التعبيرات التي ذكرها دلتاي . . ومن ثم يتأكد لنا أن الطريقة هنا استدلالية وليست مباشرة . ثم إننا لو عجزنا عن الوصول إلى التجربة الحقيقية التي أبرزت هذا التعبير المعين ، فكيف يمكننا التأكد ، مثل تأكيد دلتاي ، من أن تجربتنا شبيهة بالتجربة الأصلية تماماً ؟ . . إن الوقوع في مزالق الشك أكثر احتمالاً هنا ، عن ضمان الوصول إلى اليقين بنظرية التمثيل في المعرفة هذه .

بهذا المستوى في النقاش والتقويم ، يواصل آرون تناوله لعناصر الفكر التاريخي عند دلتاي ، وصلات التاريخ بعلوم الروح والعلوم الأخلاقية وعلم الاجتماع ، وكذلك علم النفس بفروعه التحليلية والبنائية ، وفلسفة الحياة ، ونموذج العالم التاريخي بما احتواه من أساطير ومباحث روحية يمكن مشابقتها بالمعارف الجديدة . . ويخرج دلتاي من هذا النقاش بعدم التطابق بين المفهوم وبين الدلالة التاريخية ، أو بين الفردي والكلّي . كما طرح مذهب الشك ودوره في استكشاف التاريخ وتفسيره .

وينتهي آرون من عرضه لهذه النظرية الدلتاوية إلى إبراز أهميتها

وكما هو معلوم في مجال التاريخ وفلسفته ، لم يحشد في تاريخ الفكر الإنساني قدر من التأملات والنظرات في هذا المجال ، مثلما حشد الفكر الألماني المعاصر به . تباينت أشكالها فيه ، وتفاعلت منابع المعرفة التاريخية مع فلاسفتها . فنطق المعرفة بالماضي عند شبنجلر ، فضلاً عن الرؤى الجسّمة لديه ، المتعاطمة وغير المؤكدة ، قد أثرت تأثيراً عميقاً على الحس الألماني الذي أخذوا به من عصرهم وثقافتهم . . إذ مما لا شك فيه أن علوم الأخلاق الألمانية كانت متداخلة مع الحس التاريخي منذ مطلع القرن التاسع عشر . . أو على وجه الدقة متداخلة مع حسّ تساريجي مسوق بالمثالية التقليدية منذ نهاية القرن السابق . . إذ انغمس التناول الفلسفي للتاريخ في نظريات التاريخ مباشرة .

لهذا أثر آرون في كتابه هذا . . أن يقيم به مداخلاً لدراسة الفكر الألماني في هذا المجال ، على أساس وضع جانبيين مهمين في الاعتبار :

● الأول . . يقوم على الفلسفة النقدية للتاريخ .

● والثاني يستهدف التأريخية . . بمعنى فلسفة النسبة التاريخية . ثم يستدرك معلناً أنه بادئ ذي بدء يرفض الهيكلية ، فالفلسفة الحديثة للتاريخ لا تعتبر نفسها مستودعاً لأسرار الحكمة ، ولا تبحث عن تأكيد دلالة المستقبل الإنساني .

ويتساءل مستنكراً . . هل كان كل من دلتاي ، ركارث ، سيميل ، فيمر . . يبحث عن أصل وقيمة العلم التاريخي (ذاتياً وموضوعياً) ، لو كانت كل خطوات هذا العلم مدعومة بالإرادة والوضوح ، هل كان يستوجب حينئذ فهم الماضي في ذاته أو ربطه من جسديده بالحاضر ؟

هذه النظرية الألمانية للتاريخ ، قد أقيمت على نسبية المعرفة ، مكوّنة التجربة الحقيقية الوحيدة ، لتقد العقل التاريخي . من هذا المنطلق شرع في مناقشة دلتاي Dilthey .

فالتعبير والفهم ناتجان عن تجارب عقلية ، سواء أكانت مشاعر أم عواطف أم أفكار . . ذلك لأن هذه التجارب العقلية تحاول الوصول إلى نوع معين من التعبير الخارجي . . فثلاً يصاحب التفكير كلمات منطوقة أو مكتوبة أو رموز أخرى . . وتعتمد الطريقة الخاصة بفهم عقول الآخرين على تفسير هذه التعبيرات ، ويسري قسم من هذه الطريقة على فهم عقولنا .



★ كانط ★

فلسفة . أول فكر أو فلسفة لأول حقبة . . فأين كان المفهوم فيها؟ ومن أين استمد؟ ثم كيف صار المفهوم من الآخر؟ . . وعلى هذه المعطيات . . تتحدد معالم الكون من العلم التاريخي ، وتستخلص منه القوانين التاريخية . . فتؤدي في النهاية الحاضرة إلى آخر فلسفة . . فكر موضوعي لا شك .

هنا يركز المؤلف على ما ينشأ من مشكلات . . لدى منطق التاريخ في فكر سيميل . . كان الغرض الفلسفي من النقد التاريخي هو تخلص الفكر نظرياً من سيطرة الواقعية . فالخطورة — أكثر دقة لأن التاريخ يبدو كائناً فكرياً مثل الشخص نفسه — ليست أقل ضخامة من هذا الذي اصطنعت الواقعية من الطبيعة ، مردود عليها لدى كانط ، لأن التاريخ « قوة فوق الشخصية ، حقيقة معطاة » . إن مشرع التاريخ ، العقل الخالص ، مثل مشرع الطبيعة — كما قال كانط — يهرب إلى التأكيدية العمياء التي تسقط الحصاة أو تعجل بالفرس .

في الحق ، إن هذه المسألة التي لمسناها ، ثانوية في المنطق . فهل هي أقل أهمية للتعبير العيني في التاريخ؟ في الإمكان القول باديء ذي بدء إن سيميل يحور الإنسان الذي يكتب التاريخ ، لا هذا الذي يصنعه ، المؤرخ ، ولا الإنسان التاريخي . فالممثل والمؤرخ الا يصنعان إلا شخصاً منعزلاً بذاته؟ إن الاستنتاج من شاهد العيان إلى الممثل ليس صائباً إلا إذا كان نسق المعرفة ونسق الكائن متطابقين : فدور الفكر في هيكل التجربة التاريخية لا يسقط لضمان الاستقلال ولا الاختيار للفرد .

ربما سيعترض بأن ذاتية المؤرخ ليست ذاتية فائقة ، بل ذاتية تجريبية وعينية . إن حرية أية ذاتية ، يحدث هذا في العالم ، هي الدليل على الحرية الفردية . هذا التعليل يكون صائباً لو ووفق على أن الذاتية مخلوقة بحرية قبلية كلية ، على أن تحكم بحرية . لكن قبلية المؤرخ هي معاني مجردة نفسية عامة . فأي يقين هذا الذي يكون لدينا من إعدادها الذاتي؟ فلماذا لا تكون القبلية ملقنة لنا بالظروف؟ ثم ، لنقبل كذلك أن الأفكار السابقة ليست دقيقة ، ليس فيها بوضوح أقل غير مشكلات حقيقية من المذهب . إن الواقعية التاريخية ، التي يدعي سيميل تجنبها ، تبدو على وجه الخصوص مشابهة لتصويراته المجردة الأولى . فالفرد ، محدد بتشابهك الدوائر الاجتماعية ، هو في صدر نظريته الاجتماعية . إن التاريخية

وتأثير صاحبها في الفكر الألماني الحديث . . إذ إنه على الرغم من اهتمام الألمان به مؤخراً ، إلا أن تأثيره قد اتسع لدرجة شملت علوم الأخلاق والاجتماعية . . حتى تجسد هذا التأثير في فكر الفيلسوف المعاصر سيميل عندما يبحث في فلسفة الحياة ومنطق التاريخ .

إن المؤلف يجهد للحديث عن تأثير سيميل بذلك ، بالحديث عن منطق التاريخ وفلسفة القيم عند واحد آخر من المفكرين الألمان هو ريكتر Rickert . لقد حاول الوصول إلى حدود العلوم الطبيعية . . فاعتبر المفهوم والموضوعية . . أساسين لوضع علامات هذه الحدود ، ولو توافرا في دراسة الشخص نفسه أو دراسة الثقافة عامة . . لاسكننا أن نقول . . علم الشخص وعلم الثقافة . . الأمر الذي يمكننا بعدئذ من الكشف عن القيم . معنى هذا أن القيم كامنة ، سابقة على تحديد العلم الطبيعي ، وعلى قدر استطاعتنا الكشف عنها ، بقدر إمكان تنبؤنا بما يضمه التاريخ كعلم وفلسفة !!

إن آرون — مؤلف الكتاب — ينقد هذه الكلمات المتقاطعة بقوله . . « هي من قبيل المجادلات القديمة التي فرغتها الشبهات من مدلولاتها . . فصارت أشبه بالنقصان دون مقابل » .

بهذا التمهيد اللاذع يهيئ المؤلف أذهاننا لمناقشة فلسفة الحياة ومنطق التاريخ عند سيميل Simmel .

فالموضوع التاريخي حقائق موجودة ولا شك . . هذه الحقائق تقسمت وتوزعت على حقب . . ومن البديهي أن هذه الحقب تتالت — زمنياً — وراء بعضها . وما لا شك فيه أن كل حقبة منها ، تمثل كياناً حضارياً معيناً . . هذا الكيان الحضاري يتفاوت من حقبة إلى أخرى — من حيث التالي — نقصاناً واكتمالاً ، ويتفاوت — من حيث التناثر على الأرض — ضعفاً وقوة .

ومن ثم ينحصر الموضوع التاريخي بين أول فلسفة أو فكر ، وبين آخر

التي يعتنقها ، ليست إذن نظرية للمعرفة ، وإنما ميتافيزيقا معينة للمجتمع : فهل تكفي لدحضها نظرية المعرفة ؟ إن النقد وحده هو الذي استطاع تأكيد الحقيقة .

وفي الحق ، إن فلسفة قبل العلم وبعده ، تكون فلسفة القبل وحدها القابلة لتكون متحققة ، لأنها تنهض على إبراز الشروط من العلم ذاته . أنا من جهة شروح مجموعة الكون ، فهي ليست إلا إجابات من شخصية كاملة على الموضوع المكتمل . تقتصر على الانضواء تحت معنى ما مجرد (وحدة وتعدد ، يكون ويصير) ، شمولية العالم .

على هذا المنوال المنطقي يفند آرون أفكار سيميل ، ليعمى جهوده لمناقشة ماكس فيبر Weber . فيتناول لديه حدود الموضوعية التاريخية وفلسفة الاختيار . ويقول المؤلف إن فيبر قد أراد أن يكون ، وقد كان بالفعل ، عالماً ورجل سياسة في وقت واحد . ومن هذين الاعتبارين استمد أصالته وعظمته . وهو ، في الحقيقة ، نشد الموضوعية في التاريخ (وفي العلوم الاجتماعية) ، بسبب ، وليس ، على الرغم من السياسة ، كما كان يعتقد على قدر استطاعته . بالتأكيد ، لا يكون العلم مجدداً إلا إذا كان حقيقياً ، لكن وحدة العلم والسياسة ، في فكر فيبر ، أبعد عمقا كذلك ، لأنه يستهدف بالعلوم ثقافة المعارف التي يحتاج لها الإنسان : فالمؤرخ يسأل الماضي ، وبالشكل نفسه ، يفكر رجل السياسة في الواقع ويتأمل في توجيهه .

يستخلص من ذلك لموضوع دراستنا نتيجة رئيسية . يكون المنطق هنا في حوزة المذهب ، بالمقياس نفسه الذي تنعزل فيه معرفة موضوعية اضطراراً . فالسؤالان اللذان كنا قد طرحناهما في الفصول السابقة لاقت إذن إجابة مناقضة . فقد بحثنا في عمل دلتاي ، ريكارت وسيميل ، منظور منطق غريب لعلوم أخلاقية وعلى وجه الخصوص للتاريخ . وقد حللنا بعدئذ روابط هذا المنطق بمناهج مختلفة . في حالة ماكس فيبر ، فإن ضمان المنطق والمناهج كامل ، بدون أن يسبب خطأ في الاستقلال عن المنطق ، لأن المنهج يحدد ملامح علم صحيح للجميع .

في نظر فيبر ، يجب أن تكون المعرفة الإيجابية صالحة للجميع (بمعنى كل هؤلاء الذين يريدون الحقيقة) . فالمشكلة القائمة هي إذن : هل يكون الحكم التاريخي قابلاً لصلاحيات عالمية ؟ بأي مقياس ؟

طبقاً لرأي الكانطي الجديد ، لم يعتقد فيبر في إمكانية ميتافيزيقا علمية . لقد اعتبر رؤى العالم كتعبيرات شعور أو تأكيدات مختارة . إنها في نظره ، ذات أهمية غير ممكنة التحقيق . يجب إذن أن تكون المعارف التاريخية متخلصة من كل ميتافيزيقا ، بمعنى أكثر وضوحاً (يكون حكم قيمة مماثلاً في ميتافيزيقته لتأكيد صورة جوهرية) . إن نفي الميتافيزيقا وتأكيد العلوية ، ذاتية الاختيار وموضوعية الروابط ، الأفكار الموجهة من منطق فيبر التي تُرجع بوضوح ميسور كل الجدليات التي تبدو فيها ذات مرة أنها اندثرت . يجذب كل هذا إلى فلسفة العلم .

الاختيار وإقامة الموضوع

تعتبر مشكلة الاختيار التاريخي واحدة من هذه التي قد بحثها المؤرخون والفلاسفة على قدم المساواة . ذلك ما يعرف في التجريب بضرورة الاختيار ، لأن كل الظواهر لا يمكنها أن تحصل على مكان في العلم ، هؤلاء حاولوا تحقيق الاختيار الذي يبدو من الوجهة النظرية غير ممكن تجنبه بقدر ما هو اختياري . لم يكن غرض فيبر إظهار أن الاختيار يخضع لمبدأ ملزم للجميع ، كما هي الحال الأكثر عمومية . فبدلاً من الميل إلى النتيجة ، التي يراها المرء على الدوام تفسيرياً : «الظواهر نفسها تاريخية بالنسبة للجميع» .

لقد قادتنا فكرة الاختيار إلى صيغة بناء الموضوع . يجب علينا الآن دراسة شكلين خاصين ببناء الموضوع : تحليل القيمة والمعنى التمثيلي المجرد . بعد أن يطيل المؤلف في عرض آراء فيبر .. يحيمه أحياناً لبيان

جدوى للمؤرخ؟ هو المتضمن عمومية أكثر ولا شك .
إن ماكس فيبر، باتزان بالغ ، لم يضيّع فرصة واحدة لإبراز أهمية
الصفة الاسمية ، غير الحقيقية ، المختلفة عن هذه التصورات . ولما كان
الميل الطبيعي للعقل الإنساني هو تمجيد قيمة أفكاره الخاصة . . فإن
التجربة المثالية ترصد للمؤرخ في كل لحظة ، وإذا لم يحتط لها ، فسيكون
به ميل اختياري إلى أن يحقق ويبرز « أنماطه المثالية » ، لاستخدامها كما لو
كان المقصود بها أفكاراً أفلاطونية صادقة ، جوهرية في نقائها المثالي ،
تكون حقيقية أكثر من أصالة الحقيقة التاريخية ، هذا الموضوع غير المفهوم
الذي لا تخفى منه بعض المكانة ، المتمرد في النهاية على جهودنا المعقولة
التي هي شرط كل معرفة .

يخلص آرون في النهاية إلى إجراء مواجهة بين المذاهب ، يحاول أن
يستخرج منها نتائج يسترشد بها كل كاتب للتاريخ .
ففي تطور فلسفة التاريخ ، المرحلة النقدية تبرز بداية أقل مما يليها ،
لأن كُتّابنا يُعيدون تناول فصول إيجابية لأفكار تقليدية .

وسوف ينبغي للمؤرخ أن يقبل الخضوع لمقتضيات نظام أخلاقي . .
ينتج عن الوظيفة الاجتماعية الملزمة ، ولمقتضيات التقنية المترتبة عليها .
سيجد نفسه كثيراً ما يستعيز مباشرة بشيء آخر لأنه يهتم دائماً باستكمال
نسقنا وضبطه . إن لحظة تجري في الواقع حيث عيانها في الماضي ، هي
هي بالضبط لأن عيانها منسق طبقاً لوجهة نظر ، طبقاً لمستلزمات ،
لتصورات ، لمنهج ، فاللحظة أدركت درجة الحقيقة التي تكون فيها سريعة
التأثر ، والبحث انطلاقاً من هذه اللحظة لا ينتج شيئاً كثيراً ، فالوثائق
والملاحظات هي بسبيل ترتيب نفسها في أقسام الفهرسة المجهزة ، والعناصر
التي تقاوم تطفو على سطح الشعور ، كالجسم الغريب ، ولم تعد متشابهة .

وعندما يكون البحث قد اكتمل أو سار على الأقل على الصراط
المستقيم ، وجب على المؤرخ أن يحدد وقت التوقف ، وأن يأخذ في الاعتبار
هذا الشكل الجديد للمشكلة ، فيتساءل : كيف يمكن تكوين أقوم بحث
— بما أعرفه وما أستطيع معرفته — أكثر وفرة بالمضمون ، أكثر حقيقة وأكثر
اقتناعاً في الوقت نفسه ، قابلاً أكثر للتمثل .

وبهذا يمكن أن يستعين كل دارس أو باحث في التاريخ بهذه النقذات
الفلسفية لكي يجتنب نفسه مزالق الوقوع في أخطاء تفسير القيم في الماضي
والحاضر على السواء .

الحقيقة من تصوّر النمط المثالي باعتباره تقدماً حاسماً للنظرية وللتطبيق
وللتاريخ ، بياناً مزوّد في النهاية بوسيلة مدققة . لكنه يخفف من حماسه ،
فلم ير على ضوء ما سبق بيانه ، أن النمط المثالي هو الطريق الوحيد للمعرفة
التي يستخدمها المؤرخ ، كما لم يكن أكثر شيوعاً في الاستخدام ، ثم إن
اتقانه بعد ذلك يبدو دقيقاً منذ أن يوجه الاهتمام إلى تأكيد كفاية مُثلى للنمط
التصور هذا . فالنمط المثالي بالمقياس الذي يتميز فيه عن تصوّر بسيط عام
وموجود عن طريق التجريد ، يميل في السواقع إلى أن يصير تحكيمياً :
فيإمكانني أن أحدد شياً للنمط المثالي الذي يقنعني ، لكن لكي يكون نافعا
للمؤرخ ، يجب أن يكون هذا التصور ، كله في حوزة هذا المنطق الداخلي
المحمّل بدلالات يمنحها له « وضوحها » ، معقوليتها ، فربما تكون هذه في
الوقت نفسه ، هي التي تصبح صفاتها هي الأفضل ثانية ، في الحالة
المشتركة على الأقل ، وفي الحالات المتفرّدة الكاشفة كالموجودة في تاريخ
نشأة المدينة القديمة . . إذ تتضمن كثيراً من المصاعب التطبيقية .

فقد شب جدل عام ١٩٢٧ م حول المدينة القديمة ، بين الباحثين
الناقلين اهرنبرج وبيرف . . متى ظهرت : يعود بها الأول إلى مطلع
القرن الثامن ، أما الثاني فيعود بها إلى زمن أبعد : القرن السادس أو
الخامس ، إن لم يكن أبعد من ذلك أيضاً ، كلاهما يحدد نمطه المثالي
للمدينة على وجه مغاير : بيرف يقصد المدينة الديمقراطية ويتطلع ، بقصد
التعرف ، إلى عنصر كل مبدأ « للسلالة الملكية » ، بينما يريد اهرنبرج أن
يقول بقيام نظام المدينة أصلاً ، منذ أن يسعى المجتمع إلى فرض القانون
الأعلى على استقلال المواطنين . فالنصوّان قانونيان ، ويمكن للنقاش أن
يكون خالداً لو لم تتدخل المقتضيات التطبيقية : فسأي التصوّرين أكثر

ابن قتيبة وكتابه حيدر لله غبار



بضم : د. كامل السوافيري

١ - حياته ونشأته

ولد أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة سنة ٢١٣ هـ - ٨٢٨ م وقد اختلف المؤرخون في مكان مولده فقال فريق منهم ابن الأنباري ، وابن النديم ، وابن الأثير إنه ولد في الكوفة ، وقال فريق آخر منهم السمعاني والقفطي إنه ولد في بغداد ، ونشأ بها وترعرع وكانت يومئذ مهد العلم ، وعش الأديب ، وموطن الثقافة ، وقضى بها الشطر الأكبر من حياته يأخذ العلم عن علمائها ، ويتلقى معارفه عن أعلامها من أئمة اللغة ، وأقطاب الأدب ، وعلماء الحديث أمثال حاتم السجستاني الذي كان إماماً في علوم القرآن واللغة والشعر ، وأبي الفضل الرياشي اللغوي النحوي ، واسحق ابن راهويه الذي جمع بين الحديث والفقه ، والذي كان أحد أئمة الإسلام ومن أصحاب الشافعي .

وقد أقام بالدينور طوال فترة توليه القضاء فنسب إليها ولقب أيضاً بلقب المروزي .

وقد أخذ العلم عنه عدد من تلاميذه الذين أصبحوا من أئمة اللغة ورجال الفقه والحديث ومنهم ابنه القاضي أبو جعفر أحمد بن قتيبة الفقيه الأديب ، وابن درستويه النحوي المشهور ، وإبراهيم بن محمد بن أيوب الصانع .

وقد كان له صلة بأبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير الدولة العباسية يومئذ حيث ألف له كتابه « أدب الكاتب » وذكره في المقدمة واثني عليه .

وكان على خلق كريم يصون نفسه عن الدنيا ، ويرفع بها عن الصغائر ، ويحض الناس على مكارم الأخلاق ويجعل من نفسه القدوة الصالحة لهم . كما كان متواضعاً لا يتعالى على الناس ، ولا يدعي لنفسه ما ليس لها ، ويأخذ العلم والمعرفة عن أي إنسان .

يقول في مقدمة كتابه أدب الكاتب « ونحن نستجيب لمن قبل عنا واثم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه » وتوفي سنة ٢٧٦ هـ ٨٨٩ م في بغداد .

٢ - ثقافته ومؤلفاته

كان ابن قتيبة عالماً يمثل ثقافة عصره ، وكان أديباً وناقداً ضليعاً في الحديث والفقه وعلوم القرآن . تعددت جوانب ثقافته ، وتنوعت مناحي معرفته ، وشهد له معاصروه بالفضل وغزارة المادة ، وسعة الاطلاع ، يقول ابن الأنباري عنه : « كان ابن قتيبة فاضلاً على اللغة والنحو والشعر متفناً في العلوم ، وله المصنفات المذكورة ، والمؤلفات المشهورة » .

أما القفطي صاحب إنباء الرواة على أنباء النحاة فيقول عنه : « هو صاحب التصانيف الحسان في فنون العلم ، وأنه كان ثقة ديناً فاضلاً صادقاً فيما يرويه كثير التصنيف والتأليف » ويقول عنه السيوطي « كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس ، ثقة ديناً فاضلاً » .

ولذلك كثرت مؤلفاته ، وتنوعت مادتها ، وتعددت مناحيها فله مؤلفات في الأدب واللغة والنحو والتاريخ ، وله مصنفات في الفقه ، وله في الأشربة والأنواء والأمثال وتعبير الرؤيا ، وله في الاجتماع ولكن من المؤلم ألا يصل إلينا من هذه المؤلفات إلا عدد يسير .

وقد نشر القسم الأدبي بدار الكتب المصرية الجزء الأول من كتاب عيون الأخبار سنة ١٩٢٤ م وقامت المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بطبعه مصوراً عن الطبعة الأولى في سنة ١٩٦٣ م وفي المقدمة التي كتبها رئيس القسم الأدبي بدار الكتب يومئذ كلمة عن وصف للكاتب وترجمة المؤلف ذكر فيها من مؤلفاته سبعة وأربعين كتاباً نكتي بأن نذكر منها أدب الكاتب ، والمعارف ، وعيون الأخبار ، وطبقات الشعراء وكتاب الأشربة وكتاب المعاني الكبير .

أما الكتب التي لم تصل إلى أيدينا من مؤلفاته فقد ذكرها مؤلفو كتب السير والتراجم والطبقات أمثال ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وابن الأنباري في نزهة الألباب ، والقفطي في إنباء الرواة ، وصاحب كشف الظنون وابن النديم في كتابه الفهرست .

٣ - كتاب عيون الأخبار

يعد كتاب عيون الأخبار من أشهر كتب ابن قتيبة ، وأعظمها أهمية ، ويعد من أفضل الكتب التي تقدم للقراء مادة طيبة تصقل أذهانهم ، وتزيد معارفهم ، وقد ألفه ليستفيد منه الخاصة والعامة وينتفع به طلاب الدنيا والآخرة ، ووضح ذلك في مقدمته حين قال : « ولم أر صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ، ولا على ملوكهم دون ساقاتهم ، فوفيت كل فريق منهم قسمه ، ووفرت عليه سهمه » .

« وسينبغي بك كتابنا هذا إلى باب المزاج والفكاهة ، وما روي عن الاشراف والأئمة فيها فإذا مر بك أيها الملتزم حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه ، أو تضحك له فاعرف المذهب فيه ، وما اردنا به ، واعلم أنك إن كنت مستغنياً عنه بتسكك فان غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج إليه ، وإن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك » .

« وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الأكلين » .

وليس عيون الأخبار كتاب روايات وأخبار فحسب بل كتاب جامع من كتب الأدب جمع فيه مؤلفه مادة ضخمة من عيون الشعر ، وروائع النثر ، واختار فيه أجود ما قرأ وسمه من الاجتماع والسياسة والأخلاق . وقد أخذ مادته من مصادر شتى ، وكتب متعددة وقد اعجب العلماء بعيون الأخبار فقرظوه ، واشادوا به حتى قال السمعاني : « سمعت الأمير أبنا نصر الميكالي يقول : تذاكرنا المتزهات يوماً وابن دريد حاضر فقال بعضهم : أنزه الأماكن غوطة دمشق ، وقال آخرون : بل نهر الأبله ، وقال بعضهم : شعب بوان بأرض فارس ، فقال الأمير : هذه متزهات عيون فأين أنتم من متزهات القلوب . قلنا وما هي يا أبا بكر ؟ قال عيون الأخبار لابن قتيبة » .

ولا غرو في ذلك فقد قال ابن قتيبة نفسه عن عيون الأخبار « وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغل التادب تبصرة ، ولأهل العلم تذكرة ولسان الناس وموسمهم مؤدياً ، وللملوك مستراحاً من كد الجهد والتعب ، وصنفتها أبواباً ، وقرنت الباب بشكله ، والخبر بمثله والكلمة باختها ليسهل على المتعلم علمها ، وعلى الدارس حفظها وهي لقاح عقول العلماء ، ونتاج أفكار الحكماء ، وحلية الأدب ، وأثمار طول النظر ، والتخير من كلام البلغاء ، وطقن الشعراء ، وسير الملوك ، وأثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت في هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها ، وتقومها بثقافتها ، وتخلصها من مآوى الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها » .

ونقف هنا لحظة عند قول ابن قتيبة انه صنف مادة كتابه أبواباً وقرن الباب بشكله ، والخبر بمثله ، والكلمة باختها لتقرر انه كان ذا أفكار منظمة ، وعقلية مرتبة ومن أجل ذلك جاء أكثر كتبه منسقاً مبوباً وإذا عرفنا أن التأليف في القرنين الثاني والثالث الهجريين كان مضطرباً مشوشاً كما لاحظنا ذلك في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب الحيوان له أيضاً ، وكتاب الكامل للمبرد ، حيث كان الاختيار هو الهدف ، وحيث ترى الموضوع الواحد موزعاً في أكثر من باب وفصل ، وحيث لا تكاد تجد رابطاً بين الموضوع وأجزائه . أدركنا عظمة ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار ، ورأينا كيف نظم أبواب كتابه ، وزينها أو بتعبير أدق كيف أجاد تبويب مختاراته ، وجمع ما تشابه منها تحت عنوان واحد ، كما سنوضح ذلك عند محتويات الكتاب مثل كتاب

الطعام وكتاب الحرب .

ولابن قتيبة مزية أخرى هي أنه عندما يتناول موضوعاً من الموضوعات يحتفل له ، ويستقصي أجزائه ويلقي الأضواء على كل جانب من جوانبه فبإذا تحدث عن السلطان مثلاً تناول صحبته وآدابها ، واتقاء شره ، واختيار عماله وكتابه ويطائته مورداً في ثنايا ذلك الأقوال المأثورة ، والجمل الحكيم من الشعر والنثر .

وروح التنظيم في ابن قتيبة ، وحسن التبويب والترتيب في مؤلفاته بضفي عليها حالة من الإعجاب والتقدير ، ونضاعف من مكانتها ، وتسهل على الباحثين والدارسين الرجوع إليها دون عناء أو مشقة وهو ما نفتقده في كثير من كتب التراث .

٤ - مادة الكتاب

قسم ابن قتيبة كتابه عيون الأخبار المكون من أربعة أجزاء إلى عشرة كتب صغيرة تحدث عنها في مقدمة الكتاب .

- **الكتاب الأول :** كتاب السلطان - وقد تحدث فيه عن عمل السلطان واختلاف أحواله وسيرته ، وصحبته وآدابها ، واختيار العمال ، والمشاورة والرأي ، واتباع الهوى ، والقضاء ، والشهادات والأحكام والحجاب .
- **الثاني :** كتاب الحرب - وقد تحدث فيه عن آداب الحرب ومكايدها ، وأخبار الجبناء والشجعان والفرسان وأشعارهم ، وعن السلاح والعتاد .
- **الثالث :** كتاب السؤدد - وقد أسهب فيه عن السيادة والهمة والمجازفة ، واختلاف الهمم ، والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب ، والعز والذل ، والهمة والمروءة والتوسط في الأشياء والغلو والتوسط في الدين .
- **الرابع :** كتاب الطبائع والاختلاف الممنومة - وقد تحدث فيه عن تشابه الناس في الطبائع وفهمهم ، ورجوع المخلوق إلى طبعه ، والحسد ، والغيبة والسعاية ، وسوء الخلق ، وسوء الجوار ، والسباب والشر والحق وطبائع الإنسان .
- **الخامس :** كتاب العلم والبيان - وقد تكلم فيه عن العلم والكتب والحفظ والقرآن والحديث ، والأهواء والكلام في الدين والرد على الملحدين والاعراب واللحن والبيان والاستدلال بالعين والاشارة والشعر وحسن التشبيه فيه ، والأبيات التي لا مثيل لها ثم سرد عدة خطب للخلفاء الراشدين ، ومشاهير الإسلام .
- **السادس :** كتاب الزهد - وقد تكلم فيه عما أوحى الله جل وعز إلى أنبيائه عليهم السلام ، والدعاء والمناجاة ، والبكاء والتهجد والموت والكبر والشيب والدنيا ، ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك وبعض المواعظ من كلام الزهاد .
- **السابع :** كتاب الاخوان - وفيه تحدث المؤلف عن الحث على إتخاذ الاخوان واختيارهم ، والغيرة والانصاف في المودة ، ومدارة الناس وحسن الخلق والجوار ، والتلاقي والزبارة والمعاينة ، والتعازي والتفاني والقربابات والولد ، والاعتذار ، وعتب الاخوان ، والتباغض والعداوة ، وشماتة الاعداء .
- **الثامن :** كتاب الخواص - وفيه تحدث عن استنتاج الخواص ، ومن يعتمد في الحاجة ويستسعى فيها ، والاجابة إلى الحاجة والرد عنها ،

وتنجزها ، وحال المسؤول عند السؤال ، والشرغيب في قضاء الحاجة ، واصطناع المعروف ، والقناعة والاستضعاف والحرص والالحاح .

- **التاسع :** كتاب الطعام - الذي تحدث فيه عن صنوف الأطعمة . وأخبار من أخبار العرب في مآكلهم ومشاربهم ، وآداب الأكل ، والجسوع والصوم ، والضيافة ، وأخبار البخلاء والقدور والجفان ، وسياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره ، والحمية وشرب الدواء ، والمياه والأشربة ، واللحوم وما شاكلها ، ومضار الأطعمة ومنافعها ، وعن أنواع كثيرة من منافع النبات والبقول والحبوب والفواكه .
- **العاشر :** كتاب النساء الذي تحدث فيه عن أخلاق النساء وما يختار منهن وما يكره ، والاكتفاء من الرجال ، والحسن والقبح ، والطول والقصر ، والمهور وسياسة النساء ومعاشرتهن .

٥ - أسلوب ابن قتيبة

عرض ابن قتيبة مختاراته في اللغة والأدب والتاريخ والفقه في عيون الأخبار بطريقة الرواية أو الاستناد على غلط كتب الحديث والكتاب - في مجموعه - من اختيار مؤلفه ، وما التقطه من العلماء والأدباء ، بمعنى أننا لا نجد فيه شخصية مؤلفه ولا أسلوبه الخاص . أما المقدمة فهي من إنشائه وهي التي تقدم لنا خصائص أسلوبه .

في أبواب الكتاب نجد النقل والرواية واضحين فمن الكتاب الثالث وهو السؤدد . يقول عن السيد وهو يتحدث عن السيادة قال **عمر بن الخطاب** عن السيد : إنه الجواد حين يسأل ، الحلم حين يستجمل ، البار حين يعاشر ، وقال عدي بن حاتم : السيد الذليل في نفسه الأحق في ماله ، المطرح لحقه ، المعني بأمر عامته .

وسئل **خالد بن صفوان** عن الأحف بن قيس بم ساد ؟ فقال : ببذل القرى ، وترك المرا ، ونصرة الملوك .

وقال **علي بن عبد الله بن عباس** : سادة الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأتقياء .

وقيل لعراية **الأوسي** : بم سدت قومك ؟ فقال بأربع : اتخذ لهم عن مالي ، وأذلهم في عرضي ، ولا أحقر صغيرهم ، ولا أحسد رفيعهم .

وقال **المقتع الكندي** وهو محمد بن عميرة :

ولا أجل المقعد القديم عليهم

وليس رئيس القوم من يحمل المقداد

وليسوا إلى نصري سراعاً وإن هم

دعوني إلى نصر أتيتهم شدا

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم

وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وقال آخر :

هينون لينون أيسار ذوو يسر

سواس مكرمة أبناء أيسار

لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا

ولا يمارون إن ماروا باكثار

من تلق منهم تقل لأقبت سيدهم

مثل النجوم التي يسري بها الساري

وفي الحديث المرفوع : « من بذل معروفه ، وكف أذاه فذلك السيد » .
وتحت باب المروءة يقول في الحديث المرفوع : قام رجل من مجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألت أفضل قومي ؟ فقال : « إن كان لك عقل فلك فضل ، وإن كان لك خلق فلك مروءة ، وإن كان لك مال فلك حسب ، وإن كان لك تق فلك دين » وفيه أيضاً « إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفاسفها » .

قال **الحسن** : لا دين إلا بمروءة ، وقيل لابن هبيرة ما المروءة ؟

قال : اصلاح المال ، والرزانة في المجلس ، والغذاء والعشاء بالفناء .

قال **عمر بن الخطاب** : « تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بنسبها » .

قال **ميمون بن ميمون** : أول المروءة طلاقة الوجه ، والثاني التودد والثالث قضاء الخواج .

وهذا الذي نقلناه عن ابن قتيبة ، والذي اختاره ضمن ما اختار لا يمكن أن يجعلنا نصدر حكماً منه على نثره ، وأسلوبه وسميات أدبه لسبب واضح وهو أن الكلام ليس له ، لم يتخير جملة ، ولم ينشئ عباراته ، ولكنه نقلها عن غيره في حين أن مقدمات كتبه من إنشائه ، ومنها مقدمته لكتابه عيون الأخبار التي استوعبت ما يزيد على عشر صفحات من القطع الكبير . وإذا شئنا أن نبرز سمات وخصائص أسلوب ابن قتيبة من هذه المقدمات وجدناها تتمثل في الخصائص التالية :

● **الأولى :** الأناقة في التعبير ، واختيار الجمل الرصينة والجزلة والعبارات المشوقة والحرص على الجانب الجمالي .

● **الثانية :** الميل إلى السجع غير المتكلف والذي يأتي عفواً الخاطر لا يكدر فيه الكاتب ذهنه ومن ذلك قوله عن مادة كتابه السالف الذكر « وهي لفاح عقول العلماء ، ونتاج أفكار الحكماء ، وأثمار طول النظر ، والمتخير من كلام البلغاء ، وفطن الشعراء » .
على أنه كان يميل للسجع المعتمد على الجمل القصيرة ، والذي لا بكاد يزيد على فاصتين .

● **الثالثة :** جنوحه أحياناً للجمل المزدوجة كقوله في المقدمة أيضاً « فزكاة المال الصدقة ، وزكاة الشرف التواضع ، وزكاة الجاه بذله ، وزكاة العلم نشره » .

● **الرابعة :** ميله بالإيجاز وتأدية المعنى بأقل لفظ وفي هذا يختلف عن الجاحظ الذي كان يميل إلى الاطناب ، والاكتثار من المترادفات .

● **الخامسة :** حرصه على المعنى والعناية به ، واختيار اللفظ الملائم له ونفوره من استخدام الألفاظ الوحشية ، ودعوته للكتاب للابتعاد عن التقعير والتعقيب .

● **السادسة :** نلاحظ في أسلوبه أنه يزينه ويجمله بالاقتراس من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ولعل ذلك راجع إلى نزعة الدبئية ، وإلى أنه عندما كان يؤلف كتاباً من كتبه كان يقصد بتأليفه إفادة القراء بما يعرف من حاجتهم لألوان المعرفة .

وبعد فسيظل أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة عالماً من أعلام الأدب ، وشيخاً من شيوخ الأخبار والرواية وإماماً من أئمة النقد ، وسيظل كتابه عيون الأخبار متزهاً من خير متزهات القلوب .



موضوع خاص

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ «المؤمنون ١٢ - ١٤» .

قصة

الخلق

من النطفة إلى الجنين

بمقام: عبد الرحمن حريشاني





(١)



(٢)

في قصة الخلق وتبني حياة المخلوق منذ كان نقطة في الصلب والتراتب ، ثم إلى أن تخلق وصار جنيناً . . ثم إلى أن خرج إلى النور والحياة ليصير مولوداً ، دأب العلماء في صبر وأناة ليقدموا للإنسانية إنجازات علمية في حقل تصوير العمليات الحيوية الدقيقة – والدقيقة جداً – للفضاء الداخلي للإنسان ، كاشقين يعملهم ومخابرتهم المستكنة هذه أسراراً وخفايا ما كان ليصدقها عقل بشري لا يقتنع إلا بما تكشفه له عيونه فقط من محسوسات وملمسات . هذا الإبداع الفني المذهل والمتع والحكم يزيدنا اقتراباً وتعظيماً لله – خالق كل شيء – ذلك أننا ما سنراه ونقرأه في ثنايا هذا التحقيق هو شيء قليل من الذي أقسم به جل جلاله في كتابه الكريم ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ﴾ .

من تراتب إلى تراتب

الأرض الميتة يقلبها المحراث ويفتح فيها أخاديد طويلة . . تزرع الحبة وتوضع على حافة الأخدود الترابي لتستمد غذاءها مما يحويه التراب من معادن وأملح . . ثم يأتيها الري – ماء الحياة – فتنتفخ البذرة وتفتق فلقتيها عن إنبات جنيني صغير . . به تبدأ رحلة النمو والحياة . وكذلك تبدأ حياة أي مخلوق على وجه الأرض كما أراده الله أن تكون . . نلموس واحد ضمن نواويس لا تبدل ولا تتغير منذ وجدت الحياة في هذه الأكوان وإلى أن يأخذ الله الأرض ومن عليها . فسبحان الله المبدئ والمعيد . . مبدع ومكون ومُؤنِ الأمر . . والواصل بأكوانه ومخلوقاته إلى الأجل المسمى الذي لا يمجد . . ولعل من شاهد ولحظ

ودرى وأسر . . ثم اعتبر فعبد . . وضحي وأعطى . . عل عطاءه يثمر . . فينعم برضى الخالق ورحمته في الحياة الحق ، الحياة الأخروية الأبدية الخالدة مستبدلاً بها عطاءه وبذله في الحياة الدنيوية القصيرة الزائلة – متاع الغرور – .

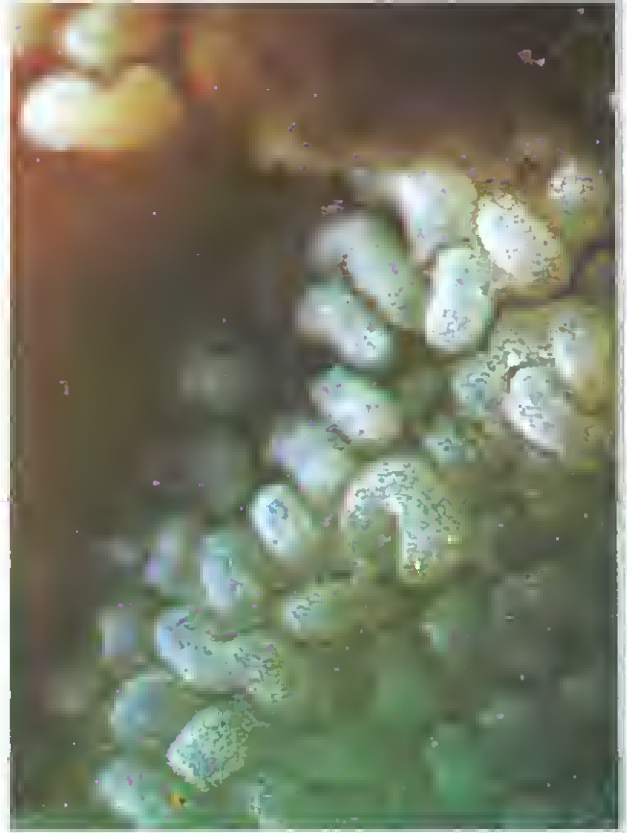
ما قبل التكوين والخلق

● المرأة : العذر من القارئ لتغير المألوف والمتبع ، وتقديم المرأة على الرجل في هذا العمل ، ذلك أن للمرأة الدور الرئيسي والأكبر والأهم في حمل تبعه هذا الأمر « أمر الخلق » وما على الرجل إلا الدور الثانوي البسيط ، دور الصابر المتلطف الناظر لما يجري ، والمتشوق لمعرفة إن كان ذكراً هو أم أنثى .

يتألف الجهاز الأنثوي للمرأة The Female reproductive organs من :

● المبيضان : Ovaries . وهما غدتان تناسليتان تستقران في جانبي الحوض ، يفرزان بويضة واحدة أو أكثر كل شهر ويبلغ طول كل واحد منها من (٣-٥) سم .

● قناتا فالوب : Fallopain Tube . هما ساعدا الرحم واستطالتاه من اليمين واليسار ، مكونتان من طبقة عضلية وطبقة مخاطية ، مهمتها الرئيسية التقاط البويضة المنفلتة من المبيض كل شهر ودفعها بواسطة الأهداب الموجودة على نهايتها إلى داخل النفير ، ثم احتضان البويضة في ممراتها إلى أن تصل طلائع الحيوانات المنوية القادمة من المهبل ثم الرحم ، ليلتي أحد هذه المنويات بالبويضة ويخصبها ، ثم عملية رجوع البويضة المخصبة إلى الرحم والانفراز فيه ، ليبدأ نمو وتخلق الجنين . . طول كل من القناتين من



(٣)



(٤)

(١٠-١٥) سم تقريباً .

● **الرحم Uterus** : عضو حيوي وهام في الجهاز الأنثوي التناسلي للمرأة ، وهو جسم عضلي أجوف يشبه الكثرى ، عمله لا إرادي عموماً ، يقع داخل الحوض بين المثانة والمستقيم ، لا يتجاوز حجمه قبضة اليد ، وحسين الحمل تمتد عضلاته ويتوسع ويكبر مرتفعاً إلى البطن شيئاً فشيئاً مع نمو الجنين المتوضع فيه ، ضيق من الأسفل ، عريض من الأعلى ، كقماموع منفتح ، يتقلص تقلصاً خفيفاً أثناء الجِماع ، وتقلصاً شديداً أثناء المخاض .

● **المهبل Vagina** : العضو الخاص بالجِماع ، أنبوب عضلي مبطن بغشاء مخاطي رقيق ، سمكه لا يتعدى الـ (٤) مم ، بداخله تقذف المنويات جميعاً ، ومنه تبدأ رحلتها متطلقة إلى الرحم ، قابل للامتداد والانتساع ، وعن طريقه تخرج محتويات الرحم من الدماء إلى خارج جسم الأنثى أثناء الدورة الشهرية . . طوله يتراوح بين (٧,٥ - ١٠) سم .

● **الأجربة المبيضية Ovarian Follicle** : وتسمى بـ - أجربة دوغراف - ، تتوضع في البيض ، وتمتلك الطفلة المولودة حديثاً في مبايضها من (٥٠ - ٨٠) ألف جراب ، ينخفض عدد هذه الأجربة في سن العاشرة إلى (٢٠) ألفاً ، وفي سن البلوغ ينخفض عددها إلى (١٥) ألفاً .

ينضج منها في حياة كاملة تقضيها الأنثى في هذه الدنيا من (٣٠٠ - ٤٠٠) جراب فقط ، بمعدل بيضة واحدة في كل شهر لمدة أربعين سنة بعد البلوغ . . ذلك لأن إنتاج البويضات يتوقف غالباً مع انقطاع الطمث الذي هو غالباً ما يتم بين سن الـ (٤٥ - ٥٠) .

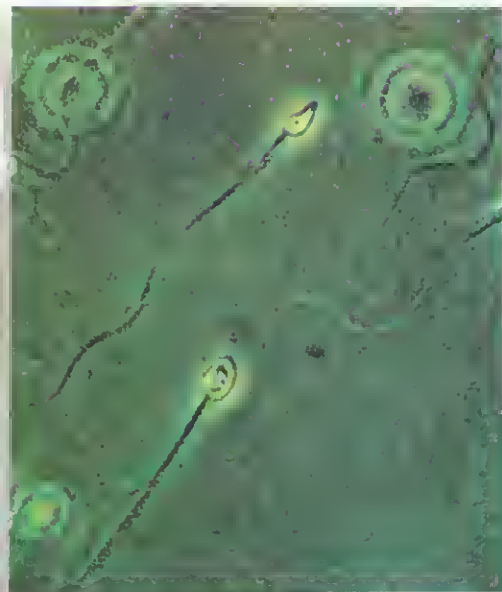
ويُرى الجراب الناضج قريباً من حافة المبيض بارزاً عليه كحبة الكرز في

أيام التبويض من كل شهر قري ، والجراب عبارة عن حويصل كيسي ويضمه سائل ينفجر بعد انبثاق البويضة منه . . ليشكل من بقاياه الجسم الأصفر . . وقطر الجراب الأخذ بالثمن يتراوح بين (٣ - ١٠) مم .

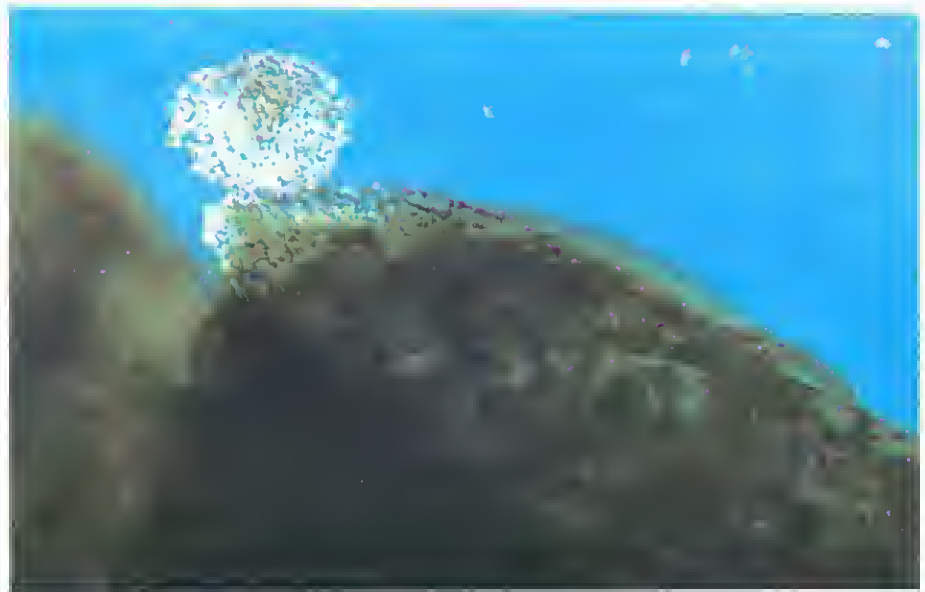
● **الجسم الأصفر Yellow body** : هو الجراب الذي انشق وقذف بالبويضة ، ثم انكش وغماً نمواً خاصاً ، وتكونت خلاياه من خلايا الجراب التي تضخمت بعد تمزقه ، قطره يتراوح بين (١٧ - ٢٠) مم ، ويصل إلى نموه الكامل بعد انشقاق الجراب بعشرة أيام فيصير غدة صماء داخلية الإفراز ، في مركزه سائل فضلي أو دم متخثر ، ولم يثبت وجود أعصاب أو عروق بلغمية فيه .

● **وللجسم الأصفر مهمات حيوية كثيرة ، فهو يفرز بعض الهرمونات التي تعد الغشاء الرحمي لانقراز وتعشيش البويضة فيه ، كما تؤثر في الأجرة البيضية التي لم تكون بعد حتى لا تكون وتطلق بويضاتها بعشوائية غير معروفة في عالم الجسم الداخلي المنظم ، كما يؤثر في تبدلات الحمل المختلفة ، ويوجه تبدلات الأعضاء التناسلية التي تقع في بدء الحمل ولا سيما غدد الثدي . وهو عضو مؤقت ، يضر ويذول بعد (١٥) يوماً من تكونه إذا لم يم القاح ، ليتلوه تكون جسم أصفر جديد مع انفجار الجريب التالي . . أما إذا لقحت البويضة فيستمر نموه ويدعى حينئذ بالجسم الأصفر الحُملي ، الذي يباشر مهامه الحُملي المتعددة ، يكون أبيض اللون باهت مع ابتداء الحمل ، ثم يكتمل نموه مع الحمل ويعود لونه أصفر برتقالياً . . طوله يتراوح بين (٧,٥ - ١٠) سم .**

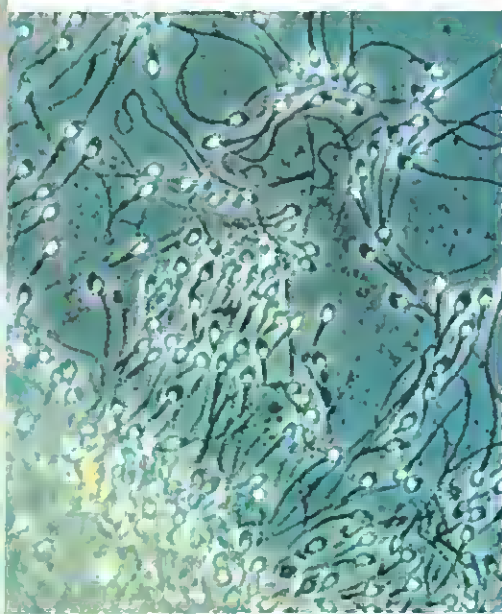
● **الدورة الشهرية Menstrual cycle** : بعد أن تستكمل البويضة



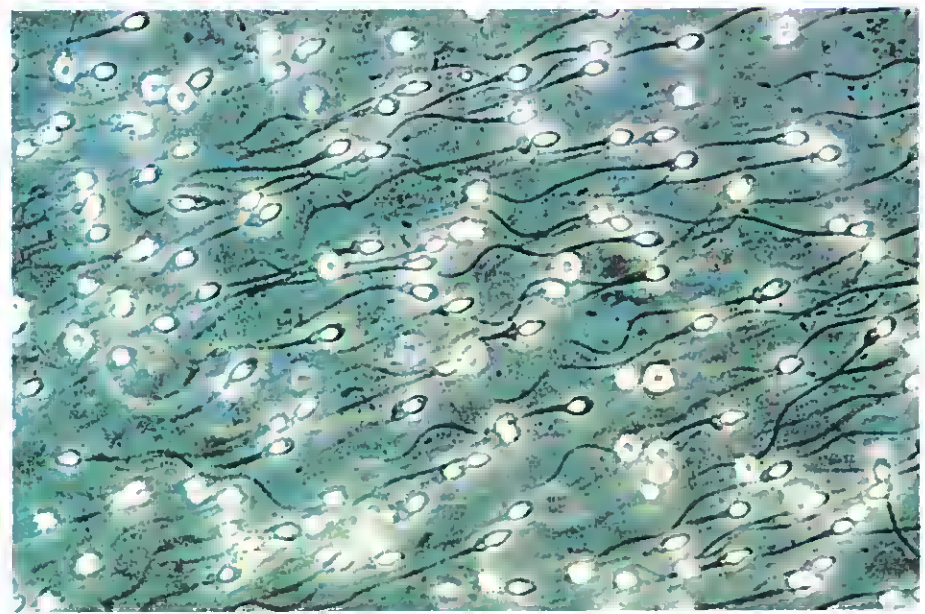
(٦ أ)



(٦ ب)



(٧ أ)



(٧ ب)

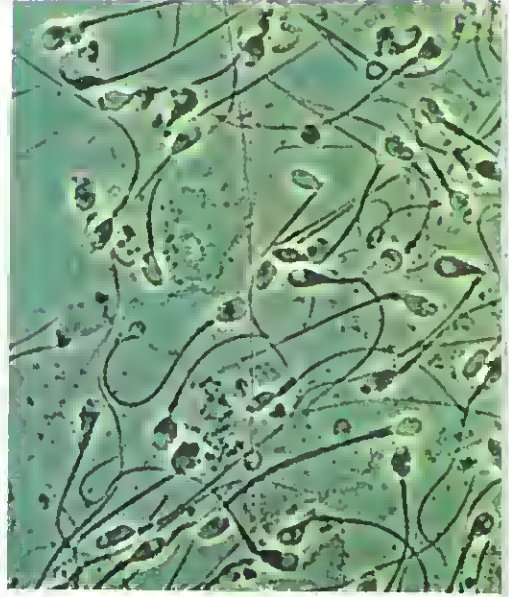
وفي حال كون الأنثى متزوجة ، وجرى تلقيح البويضة وتخصيبها من قبل أحد المنيات في إحدى قناتي فالوب .. فعندها لا كنس للغذاء المعد .. ولا عادة شهرية .. ولا طمث .. ذلك أن جنين المستقبل بحاجة لهذا الغذاء لينمو ويكبر وينزل إلى ابتلاء الدنيا باكياً ولادته وقدمه .

تمر كل أنثى في مجمل حياتها بدورة شهرية كدورة القمر حول الأرض ، مدتها (٢٨) يوماً قد تزيد أو تنقص قليلاً ، - ولا ارتباط دورة القمر بدورة المرأة معان كثيرة لمن أراد أن يتوسع بفهمه وإدراكه مجريات هذا الكون الواسع الشامل البديع .. الكل المتكامل .. ذلك أن لكل وجرده أرضي في هذا الكون الكبير مقابل وارتباط سماوي .. شمساً كان أم قرأً أم نجماً أم مجرة أم غير ذلك .. وذلك لأن مجريات أي حدث سماوي سيقابله حدثاً ونظماً وترتيباً مجريات حدث أرضي مقابل .. ولنبق الآن في تفكيرنا الأرضي هذا .. ولكل حديث أوان ووقت - .

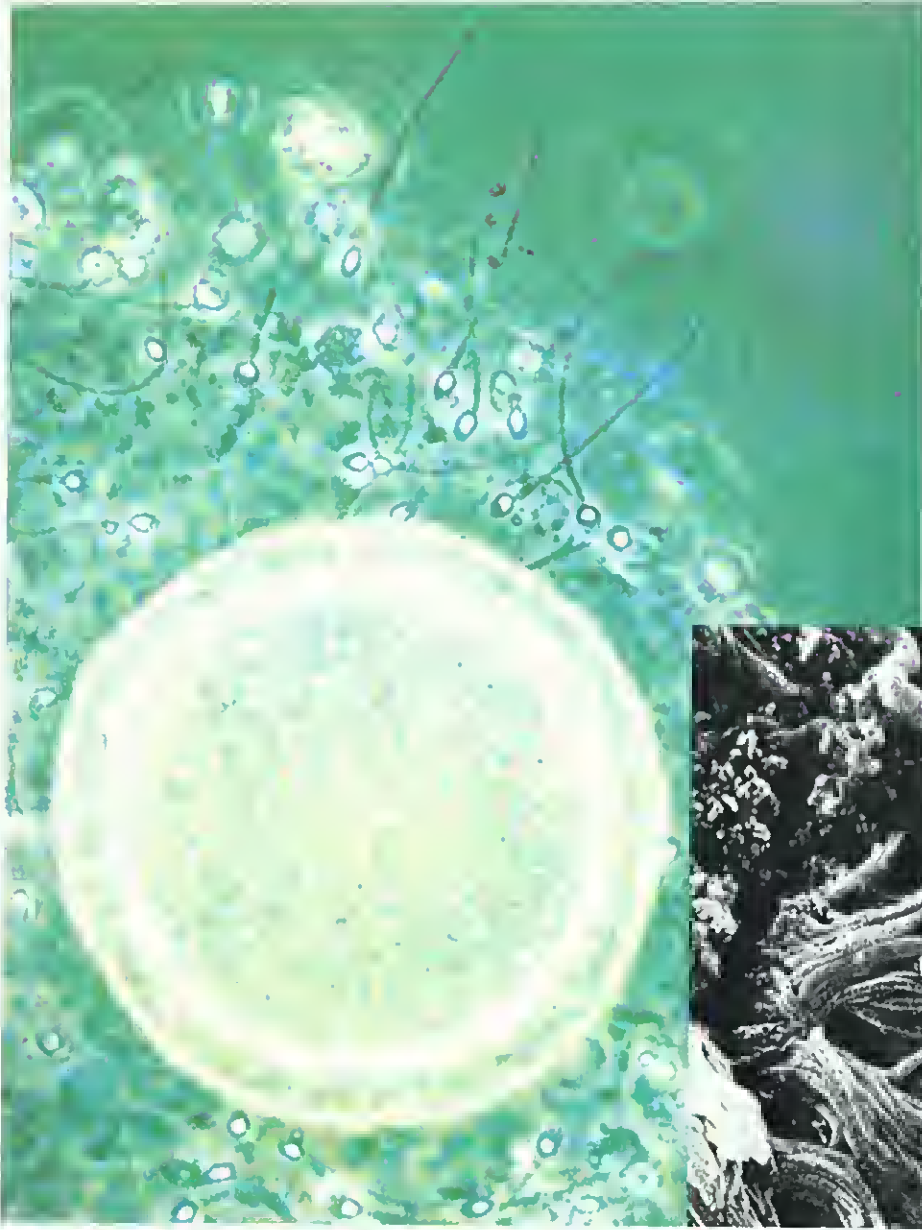
وبين اليوم الحادي عشر والرابع عشر من هذه الدورة الشهرية ، يطلق أحد المبيضين بويضة واحدة أو ربما أكثر ، لتتلقفها أهداب قناة فالوب كما سبق

نموها الكامل داخل جرابها الخاص بها ، ثم ويتأثر هرمون خاص بها أيضاً ، يتفجر الجراب الذي يكون قد وصل لحافة المبيض مطلعاً البويضة الناضجة .. فتتلقفها الأهداب المتعددة والكثيرة لإحدى قناتي فالوب دافعة بها ومسهلة لها المرور إلى داخل القناة ، حيث نستمر في سيرها البطيء الوئيد إلى الرحم الذي أعد غذاؤها به إعداداً مسبقاً بواسطة الأوعية الدموية المحملة بالغذاء اللازم لبويضة مخضبة والموجودة في جدره .. والخلايا المنثارة من تفجر الجريب تتحول إلى ما يسمى بالجسم الأصفر كما سبق ونوهنا .

والرحم المضيف يهيئ نفسه كعادة كل شهر قري لتغذية بويضة مخضبة ستصير جنيناً فيما بعد - فلا علم له بالغيب إن كان هناك حمل أم لا - فلما يتبين له أن البويضة لم تلحق - فالأنثى ما زالت عذراء ثيب - يكنس التجهيزات الغذائية المعدة ويكتسحها بدماء الحيض إلى خارج الجسم عن طريق المهبل .. وهذه هي العادة الشهرية التي تشغل بال كل أنثى في هذه الدنيا .



(٦)



(٧)



(٨)

مشاكل هذا العصر .

●● الرجل : بوصول الشاب إلى سن البلوغ ، تبدأ الأنابيب المنوية المتلفة على بعضها البعض ضمن الخصيتين في تصنيع الحيوانات المنوية وبشكل دائم ومستمر . (شكل ٣) .

ويتولى المني المصنع من إفرازات الحويصلات المنوية والبروستاتا وغدد كوبر ، نقل هذه المشيجات الذكرية أثناء الجماع إلى مهبل المرأة ، والمعدل الوسطي لإفراز الرجل البالغ هو (١٢٠) مليون حيوان منوي في كل ملم واحد من المني ، والمعدل الوسطي لإفراز الرجل في الدفقة الواحدة هو (٤٠٠) ألف مليون حيوان منوي .

نقطة حرجية بين الخلايا الجنسية

حياة كل مخلوق على وجه الأرض تبدأ بخلية واحدة ، هي البويضة المخصبة ، وعندما يكتمل نمو الجسم البشري يبلغ مجموع خلاياه (٦٠) ألف

وأوضحنا ، ثم تكمل طريقها إلى الرحم .

وهذه المعلومة لإفادة كل من اكتفى بنسبه ولا يريد إنجاباً ، أو لا يرغب في تعاطي حبوب منع الحمل هو أو زوجته - خصوصاً بعد إنتاج العلم أخيراً لحبوب يتعاطاها الرجل - وما على الزوجة إلا أن تحدد والضبط وبشكل قاطع موعد بداية الدورة أو نهايتها - وإن كانت نهايتها أضمن - ثم تحسب يوم التبويض الواقع بين اليوم الحادي عشر والرابع عشر ، وما عليها بعد كل هذا إلا أن تمتنع عن اللقاء الكامل مع الزوج خلال هذه الأيام فقط ، ولا مانع وللحيلة أكثر أن تستبقهم بيوم وتؤخرهم ليوم ، إذ إنه لا حمل قبل هذه الأيام ولا بعدها لعدم وجود بويضة في إحدى قناتي فالوب . . سنة محكمة من لندن خبير علم .

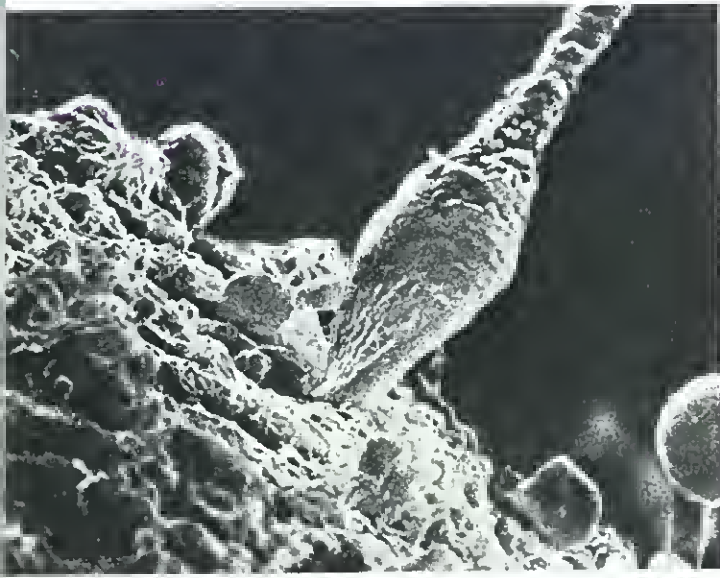
علمياً بأن انطلاق البويضة من المبيض يصاحبه عادة تغيرات فسيولوجية عديدة تنتاب المرأة ، ولو انتبهت المرأة لأحوالها قليلاً لاستطاعت تحديد اليوم الذي يجري فيه التبويض ، ولكن دائماً يختلط الأمر على الزوجة فتحسب هذا التغير الفسيولوجي تبداً نفسياً لمشكلة حياتية اعترضت طريقها . . وما أكثر

الشعيرات الدقيقة المتذبذبة وثنايا تجاويف النفير، والتي لم تقطع من رحلتها إلا القليل، إذ إنها تنهادر في مشيتها بدلال منتظرة رفيق الدرب ليكملا مشوار الحياة كأزواج، بينما الحيوانات المنوية الذكور قد خارت قواها وتقطعت أنفاسها من الدرب الطويل الذي قطعت في سبيل الظفر بيد العروس المنتظرة، علماً بأن البويضة حين تستشعر اقتراب الحيوانات المنوية تفرز بعض المواد الكاوية المتخصصة وتركيز جد ضئيل لتلفت نظر الحيوانات المنوية على مكانها المحدد في القناة.

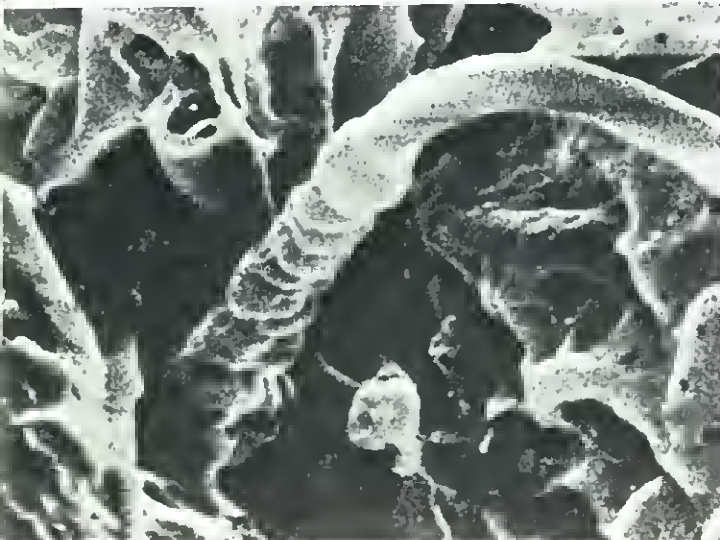
هذه القلة المهكة الواصلة من الحيوانات المنوية بعد لأي وجهد، تساعد بعضها بعضاً كل في إفرازه لإنزيم خاص يسمى (الهيالورونيداز) الذي يحل خلايا الغشاء المحيط بالبويضة من الخارج. أي أن الجميع يتعاونون في سبيل سعادة فرد لا زال مجهولاً.

وهنا وبذلك نادر قل حدوثه، يتبين لواحد منهم فقط أنه هو المقصود وليس غيره. ذلك أن البويضة تمتد باستطالة مخروطية معينة وفي مكان واحد من محيط دائرتها، فيلاحظها الحيوان المنوي المعين ويتقدم في اللحظة المناسبة، ويثبت اللوائق يرتكز برأسه على غشاء البويضة في مكان الاستطالة المحدد، ويفرز بعض مواد الشفرة الكاوية المعدة في رأسه، والمكونة من أنزيمات

(٩ أ)



(٩ ب)



مليون خلية، وإن كانت الإحصاءات الطبية الحديثة قد قدرت عدد هذه الخلايا بـ ١٠٠ (تريليون) خلية، أي ١٠٠ مليون مليون خلية.

تتنوع هذه الخلايا شكلاً وعملاً ووظيفة، كما تختلف طريقة تكاثرها ونموها وأسلوب حياتها، وجميع هذه الخلايا الجنسية Autosome Cell — ما عدا الخلايا العصبية التي لا تنقسم ولا تتكاثر — تتكاثر بالانقسام غير المباشر. أي أن كل خلية تتكون من خلية سابقة لها — خلية أم — وتحوي نفس عدد الكروموسومات، وهي (٤٦) كروموسوم للإنسان، وهو العدد الذي كان موجوداً في الخلية الأم، وهذا الانقسام غير المباشر هو الذي يهيئ النمو للكائن الحي إنساناً كان أم حيواناً أم نباتاً.

وحدها الخلايا الجنسية Sex Cells البويضة في الأنثى والحيوان المنوي في الذكر، والمفرزان من المبيضين والخصيلتين لها طريقة خاصة بها للانقسام والتكاثر. هي طريقة الانقسام الاختزالي المباشر Meiosis، وفيه تشطر الخلية إلى خليتين بكل واحدة منها نصف عدد الكروموسومات، أي (٢٣) كروموسوم فقط، وهو نصف عدد كروموسومات الخلية الأم. ويتخصص الحيوان المنوي الحاروي على (٢٣) كروموسوم هي مجموع الصفات الوراثية من الأب، للبويضة الحاوية أيضاً على (٢٣) كروموسوم هي مجموع الصفات الوراثية من الأم. تتكون البويضة المخصبة من (٤٦) كروموسوم مشترك وبالنساي من الأب والأم، ولتبدأ حياة الجنين من خلية عادية جسمية واحدة.

ثم صفة موروثية من الأب تسود صفة موروثية من الأم أو العكس فتنتج صفة وتسود صفة أو تطفر مورثة — جين — فتبدل كل تلك الصفات، وهذا ليس بموضوع دراستنا.

سببية التكاثر والخلق

بعد أن يلتقي الزوج والزوجة في فترة الإخصاب — فترة نضوج البويضة — ينطلق المني المغلوف في مهبل المرأة والخنثري على أكثر من (٤٠٠) ألف مليون حيوان منوي، تترامض وتتسابق في حركة نشطة وسريعة إلى ولج المهبل تجذبها دوافع مجهولة لا زالت تحير أهل العلم والمعرفة، وتقطع الحيوانات المنوية في تسابقها هذا مسافة (٣) سم في كل دقيقة، سابحة باتجاه معاكس للتيار. في المرأة. يكون الجريب قد انتفخ تحت ضغط البويضة الناضجة والمقترية من حافة المبيض، فينفجر الجريب وتنطلق البويضة، لتلتقيها أهذاب إحدى قناتي فالوب المنتظرة، وتدفعها إلى داخل القناة، عمدة لها طريق المرور حين وصول الحيوانات المنوية، ومع انفجار الجريب تقذف خلاياه الركامية وبعض السوائل التي كانت تكثره، لتشكل فيما بعد الجسم الأصفر ذو المهام الحيوية المتعددة، وكما سبق وشرحن.

في هذا الوقت تصل طليعة المتسابقين — وهي قلة — من آلاف ملايين الحيوانات المنوية المشاركة في السباق إلى قناة فالوب بعد أن مرت من المهبل ثم عنق الرحم ثم تجويف الرحم، وبعد أن فئنت أكثريتها. فقتلت حموضة المهبل والرحم منها الكثير، وقضت ارتدادات جدر الرحم والأنزيمات المفرزة والخلايا المضادة على البقية الباقية.

هذه القلة الواصلة من الحيوانات المنوية — وتعد بالآلاف فقط — والتي اقترمت من البويضة المتهادية المتقدمة ببطء وحذر في قناة فالوب بتأثير سطح

هدامة ، فيحل جدار البويضة ، وتجري سلسلة طويلة ومعقدة من التفاعلات الكيميائية والتحوليات البيولوجية المثيرة .

وبعد أن يغور الحيوان المنوي كاملاً - برأسه وذنبه - في الغشاء الشفاف للبويضة ، ينفصل الذنب وينحل ويتلاشى في سيتوبلازم البويضة ، بينما يقترب الرأس من نواة البويضة . ثم يتضخم هذا الرأس بمقدار (٥٠٠) مرة تقريباً متحولاً إلى نواة ذكرية كاملة كأنه بويضة صغيرة . . ولا تلبث هذه النواة الذكرية أن تندمج مع النواة الأنثوية ليكونا بداية مخلوق بدأت حياته منذ هذه اللحظة ، وليس كما كان يعتقد سابقاً من أن حياة المولود تبدأ من لحظة ولادته .

وبعد أن تطمئن البويضة إلى أنها وهو صارا كياناً واحداً ، تسارع إلى إفراز ما تبقى لديها من أنزيمات مطفئة أو قاتلة ، تبعد بها بقية الحيوانات المنوية التي ما زال يحلها الأمل ، ثم تبدأ ببناء سور من الخلايا ليحميها غول هذه الحيوانات الأملة . . والتي سرعان ما تنتقل إلى العالم الآخر غير مأسوف عليها .

جميع هذه العمليات المعقدة من لحظة ولوج الحيوان المنوي غشاء البويضة ، إلى مرحلة الاندماج الكامل لا تستغرق أكثر من (١٠ - ٥) ثوان

فقط ، فالأمر خطير والسرعة مطلوبة .

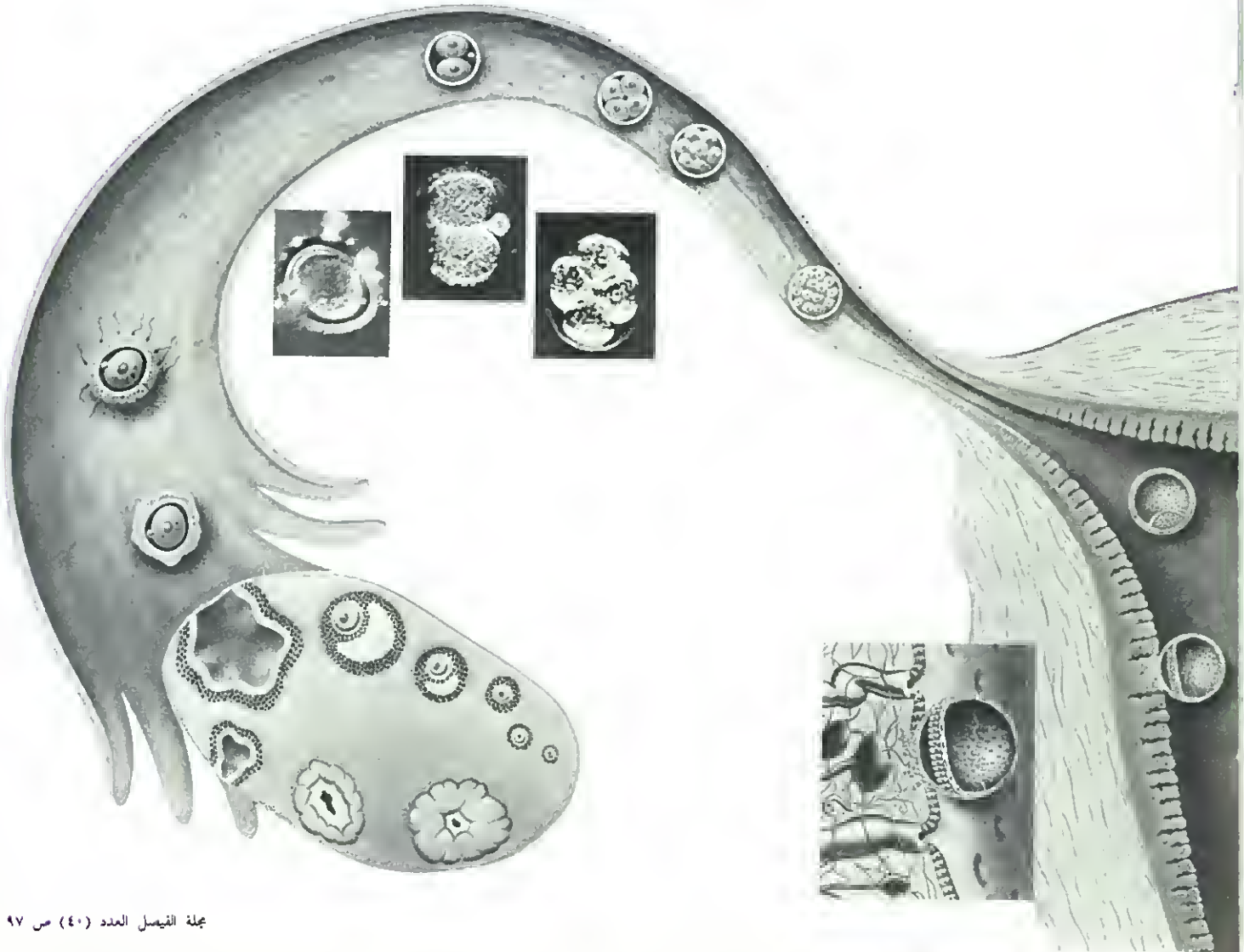
أما عملية السباق والتراكم حتى يصل الحيوان المنوي من مكان قذفه في المهبل إلى حين اختراقه البويضة وتلقيحها ، فتستغرق زمناً قدره ب (٥ - ٦) ساعات فقط .

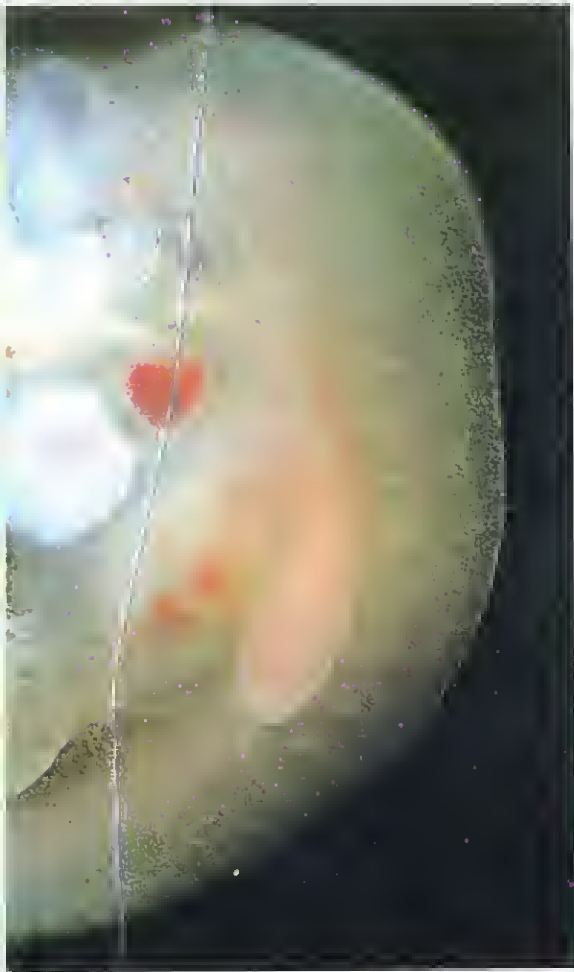
رحلة المني إلى الرحم

ما إن يتم إخصاب البويضة لتصير بويضة مخصبة واحدة مكونة من (٤٦) كروموسوم من حوامل الصفات الوراثية من الأب والأم بالتساوي . . وهن في الوقت نفسه ميراث الأجداد والآباء ومن سبقهم . . عودة إلى أول الخلق آدم عليه السلام .

بعد تخصيب البويضة تتحرك وتنكش وتدخل في مرحلة تتوالى فيها الانقسامات بسرعة كبيرة - مع سبر وئيد داخل قناة فالوب باتجاه الرحم المهدف المنشود للاستقرار بعد عناء - أي أن داخل الخلية حياة ونشاط من جراء الانقسامات المتوالية . . وخارجها سكون وثبات وسير بطيء هادف ، ككرتنا الأرضية في نظر رجل فضاء يتطلع إليها من الفضاء الرحب الفسيح .

(١٠)





(١٢)



(١١)

يكن هناك تخصيب للبويضة فتكنس هذه التجهيزات المعدة وتخرج إلى خارج المهبل في فترة العادة الشهرية التي تعرفها كل أنثى .. هذه الأوعية الدموية المعدة تفتحها أنزيمات مفرزة من جدار المضغة الخارجي بعد تثبيتها ببطانة الرحم ، لينهل منها الجنين ويغذي طيلة فترة الحمل .

ويظل هذا التبادل بين الأم والجنين قائماً . الجنين يعتمد الغذاء والأكسجين اللازم للحياة من دم الأم ، وي طرح الفضلات عن طريق دم الأم أيضاً ، إلى أن يخرج الجنين مولوداً وتقطع المشيمة . وعملية التبادل هذه - الأخذ والعطاء - تجري دون أن يختلط دم الأم بدم الجنين .

المرحلة الأولى: التكاثر والانقسام

بعد إخصاب البويضة ، تمر بمراحل رئيسية ثلاث :

- ١ - مرحلة التكاثر والانقسام : حيث تصير الخلية آلاف من الخلايا المشابهة Morula .
- ٢ - مرحلة الحركة وبدء التشكل : حيث تأخذ كل خلية وضعية وموقع التشكل للعضو المناسب بحركات غامضة ومعقدة لا تزال سرّاً من الأسرار المستعصية والتي لا تعد ولا تحصى Blastola .
- ٣ - مرحلة التميز والتنوع والاختصاص : حيث تشكل كل مجموعة خلايا أنسجة عضو معين من الجسم .

تعتبر البويضة الملقحة وهي خلية واحدة المنطقة الأولى من قناة فالوب بسرعة ملحوظة .. ثم تخفف سيرها لتتقسم إلى خليتين متشابهتين بعد (٢٤) ساعة .. ثم تصير أربع خلايا .. فثمان بعد (٦٠) ساعة ، ثم ست عشرة عند اقترابها من عنق الرحم ، فثلاثين وثلاثين .. وما إن تعبر فتحة الرحم من الأعلى حتى تكون قد صارت أربع وستون خلية .. مع احتواء كل خلية لعدد كامل من الكروموسومات .

وتستمر كل خلية من هذه الخلايا في الانقسام حتى تصير كتلة مكونة من مئات وألوف الخلايا تشبه ثمرة التوت وتسمى بالمضغة التوتية Morula . تتحرك كتلة الخلايا هذه نحو فتحة الرحم ببطء ، وتصل لمكان انفرازها في الرحم بعد أسبوع كامل أو عشرة أيام على أكثر تقدير . وتقوم طبقة الخلايا الخارجية الجدارية التي تكون جدار المضغة بإفراز بعض العصارات والأنزيمات لنهيئ مكاناً في بطانة الرحم لانفراز وتعشيش جنين المستقبل .. وحجم البويضة وقت التعشيش لا يتجاوز الـ (٠,٣) مم .

ومن هذه البطانة المخاطية تنتشأ المشيمة Placenta التي ستربط الحبل السري Umbilical Cord للجنين بجدار الرحم ، حيث يستمد منها الجنين غذاءه وي طرح فيها فضلاته .

ذلك أن الأوعية الدموية المليئة بالغذاء والموجودة في بطانة الرحم ، - والتي كما بينا سابقاً - حين قلنا بأن الأنثى وهي عذراء تمر بدورة شهرية محددة تستعد فيها الأوعية الدموية الرحمية وتفيض بالدم المحمل بالغذاء لتنفيذ البويضة الملقحة القادمة من قناة فالوب - هذا إن كان هناك حمل - أما إن لم



(13)



(14)

(15)





(16)

في الأسبوع الأول من تعشيش البويضة الملقحة في الرحم تبدأ حركة التشكل لختلف الأعضاء .. وخلال الأسبوع الثاني تشكل المشيمة المقدية والطارحة .. ومن الأسبوع الرابع إلى الأسبوع السابع تقريباً يبدأ تميز وصياغة مختلف أعضاء جسم الجنين ، فتبرز العينان والأذنان والجهاز الدوري والجهاز العصبي والقلب الذي يبدأ في التكون في الأسبوع الثالث . ومن الأسبوع السادس يبدأ تشكل الجهاز الهضمي - الذي لا يعمل إلا بعد الولادة بأيام - والفترة حتى نهاية الشهرين تعتبر فترة الترتيبات النهائية لاكمال التصميم للنموذج المصغر للجنين ، فبإنهاء الأسبوع الثامن تتخلق الأعضاء وتبرز كأعضاء سوية متكاملة متناسقة .. وتبدأ المضغفة في الظهور كجنين بشري متميز .. ويبدأ القلب بعزف سمفونية ذات الترددتين الضاغطة والقباض .. والطبيب المختص يستطيع وبمجهد بسيط سماع هذه الضربات الخفيفة المتناغمة . علماً بأن طول المضغفة في نهاية الأسبوع الثامن لا يتجاوز الـ (4) سم .

وفي الأسبوع السادس عشر .. ومن بدايته يبدو على الجنين السباح أنه قد بدأ يمارس بعض النشاط الداخلي غير المؤثر ، فهو يعبر عن استعجاله الخروج من هذا السجن المائي المظلم الذي حُشر فيه ، برفسات خفيفة - ذلك أن الأيدي والأرجل قد اكتمل نموها تقريباً وبدأ التحرك بحرية - تشعر بها الأم على شكل زغزغات خفيفة في بطنها .

وفي الأسبوع الثامن عشر يبدو على الجنين أنه قد زاد نشاطه وأخذ

في اليوم الثاني عشر من تعشيش البويضة الملقحة في الرحم ، تبدأ تحركات غريبة ومثيرة للخلايا المتكاثرة ، حركات وانزلاقات متعددة ومتنوعة من الجوانب ومن الداخل ومن الخارج ، ثم تصطف الخلايا بأنماط وتراكيب مختلفة لتشكيل طبقتين داخلية وخارجية تسميان بعرف أهل الطب والعلم (الأرومتان) أرومة علوية - وريقة خارجية ، وأرومة سفلية - وريقة داخلية ، ولا يتجاوز طول البلاستولا في هذه المرحلة الثلاثة أعشار المليمتر (0,3) مم .

وفي بداية الأسبوع الثالث تؤدي الهجرة الخلوية الواسعة النطاق إلى تشكل الأدمة الثالثة - الريقة الوسطى - . وبعد أن يشرع قسم البلاستولا المضغفي في التميز وتشكيل الوريقات ، تنمو طبقة الخلايا الخارجية - الطبقة المغذية - سريعاً ، ويظهر بينها وبين القسم المضغفي شق يتسع ويتحول إلى جوف جانبي يمتلئ بسائل مفرز من الخلايا ويشكل الكيس المحي Yolk sac الذي ينمو بسرعة أكبر من البرعم المضغفي ، فيتضخم ويمتلئ بالسائل .

وما إن تتوضع الريقة الوسطى بين الريقة الخارجية والريقة الداخلية ، حتى يؤدي استمرار الحركات المؤدية إلى التشكل ، والتأثير المتبادل بين مجموعات خلايا الأمكنة المختلفة للوريقات الثلاث ، وسيطرة الجينات ، إلى ظهور البداءات الأولية لأعضاء الجنين . فمن هذه الوريقات الثلاث تبدأ الحركات المؤدية إلى التشكل - إنثناء .. إنكماش .. إمتداد .. تداخل .. إلتهاء .. انزلاق .. هجرة . انتقال مجموعات خلوية معينة من البلاستولا إلى الداخل - ومن هذه الحركات الكثيرة والمنوعة تتكون ملامح البداءات الأولية لأعضاء الجنين .. حيث تستقر الخلايا المهاجرة نوعياً ، وتبدأ عمليات فرز متعددة تنضم بموجبها الخلايا بعضها إلى بعض ، وتتجمع في مجموعات متشابهة لتكوين أعضاء معينة من جسم الجنين .

وتتكاثر بعض الخلايا المفرزة للسائل لتكون جدار كيس يُغلف ويُحيط السائل المفرز من هذه الخلايا من جميع جوانبه ، ومشكلاً حوضاً صغيراً يسبح فيه الجنين فترة الحياة الرحمية إلى حين الولادة ، حيث يتنفس الجنين في هذا السائل عن طريق الخياشيم Branchial التي تتحور فيما بعد لتشكيل الجهاز التنفسي الكامل الذي يتعامل مع الهواء الخارجي لحظة الولادة .. فيعيب منه الأكسجين وي طرح غاز ثاني أكسيد الفحم .

التطور الجنيني لختلف الأعضاء

يتوزع تكوين أعضاء الجنين على هذه الوريقات الثلاث كالتالي :

١ - الريقة الخارجية : يتشكل منها وفيها : الجهاز العصبي - المخ ، الخنخ ، النخاع الشوكي ، الأعصاب - القعد للمفاوية ، أعضاء الحواس - العينين ، الأذنين ، الأنف ، الجلد ، الأشعار .

٢ - الريقة الداخلية : يتشكل منها وفيها : الجهاز الهضمي ، الجهاز التنفسي ، الكبد ، البنكرياس ، الجهاز التناسلي ، الغدد الصماء ، الأظافر .

٣ - الريقة الوسطى : يتشكل منها وفيها : العظام ، النخاع ، الحبل الظهري ، الجهاز العضلي ، العضاريف ، القلب ، الأوعية الدموية ، الجهاز البولي ، الكلى .. وعلى هذه الريقة تتحدد جميع أنسجة الجسم وأعضائه .



(٢٠)



(١٩)

(١٨)

الحمل .. ولا يبدأ عمله إلا بمجرد الولادة .. وتكتسب شبكية العين حساسية داخلية معينة قبل الولادة وروية النور للصرى الأولى ، وحتى لا تفاجأ بسطوع النور المباشر حين الولادة .

وتعتبر الفترة بين بداية الشهر الثالث ونهاية الشهر التاسع - فترة الحمل الطبيعي - فترة نمو الأعضاء التي تحدت معلها ومهامها ووظائفها منذ نهاية الشهر الثاني .. وهذه الأعضاء - سليمة كانت أم مشوهة - سيعمل جسم الجنين بعد خروجه إلى النور والحياة .

ومع نمو الأعضاء والأطراف وازدياد أحجامها يضيق حيز السائل الأمنيوسي الذي يسبح فيه الجنين تسبباً يقترب الجنين من جدر الرحم .. وهذه القطرات المنقية من هذا السائل الدبق تنزل مع جسم الجنين في المخاض ، فتدهن جوانب الرحم بلزوجة معينة تساعد الجنين على الإنزلاق بسهولة إلى خارج الرحم .

وفيل موعد اقتراب الولادة (يتقلب) الجنين بحركة هلوانية بطيئة خفيفة .. فيجعل رأسه لتحت وأطرافه لأعلى .. منتظراً نهاية فترة السجن الكاملة التي حكم به عليها وقضاهها (٢٧٠ - ٢٨٠) يوماً بالتمام والكمال .
وما هو (الطلق) قد أتى .. وانقباضات الرحم تعصر الجنين .. وتدفعه عنوة لفتح رحم أمه .. قليلاً قليلاً .. والمولود قد جساء إلى الدنيا متعضاً صارخاً .. لا يعلم ما تحيى له الاقدار .

يمسك بالأشياء التي حوله والتي قد تؤذيه أو تنفعه دون تقدير أو علم .. وفي الصورة رقم (٢٣) يبلو جنين وهو يمسك ويدون علمه بمصدر حياته ومدده - الحبل السري - أو أنه بدأ يصرف أوقات فراغه بالتلهي بما حوله - وما هو بمص إبهامه - كما في الصورة رقم (٢٤) .

وفي الأسبوع الثالث والعشرين تبدو ملامح النباهة على وجه الجنين رغم الجلو المعتم ، فهو يفكر وأحياناً يأخذ التفكير بعيداً ويستغرق .. وما هو يتلمس الأشياء حواله مستفسراً ، ويزدرد لعابه ، ويسحب لسانه ممتعضاً ، أو يقطب حاجبيه غاضباً .. ولعله أيضاً يحلم .. فعلمه الخاص هذا ما زال سراً من الأسرار التي لم تتكشف كل جوانبه بعد .

والجهاز التنفسي يبدو عليه آثار عمل تجريبي .. وكذلك آلة الفكر - الدماغ - يمكن لطبيب مختص وبجهاز تخطيط حديث أن يسجل على شريط بياني آثار موجات ضعيفة تنبعث منه .. محدة بعض التفكير البسيط البدائي .. وهو تفكير حتمي الاستفسار عن معنى هذه الأشياء التي يتحسها .

ولعل هذا ما يفسر حياة المواليد الذين يأتون قبل اكتمال مواعيدهم المحددة .

والجهاز الدوري بعد اكتسابه لشكله النهائي المميز يظل في غماء طوال فترة



(٢٢)



(٢١)

«بعض الجدول التوضيحية»

١ - «جدول يبين أوزان البويضة الملقحة والمضغة في مراحل أعمارها البدائية»

البويضة - واسم العالم	المقاييس بالم (ملليمتر) البويضة المضغة	العمر	كيفية الحصول
بيضة . ميللر	٠,٩	١٠ - ١١ يوماً	كشط الرحم
بيضة . تشبر - برايس - كر	١,٩٥ - ٠,٩٥ - ١,١٠	١٣ - ١٤ يوماً	إجهاض
بنرز	٤,٢ - ١,٨	١٤ - ١٦ يوماً	فتح جثة بعد انتحار
فترز		١٥ يوماً	
فون هرف - فون سي	٦ - ٤,٥	١٧ - ١٨ يوماً	إجهاض
ديباير	١٢ - ٧,٥ - ٤	١٨ - ١٩ يوماً	استئصال رحم
فراسي	١٣ - ٥	١٨ - ١٩ يوماً	استئصال رحم
اترنو	١٠ - ٨,٢ - ٦	١٨ - ١٩ يوماً	إجهاض
غل - فون سي	١١ - ١٠	١٩ - ٢٠ يوماً	إجهاض

١ - المقاييس بالنسبة للبويضة - هو قطرها - وبالنسبة للمضغة هو الطول .

٢ - دائماً لا يزيد طول المضغة عن عشر فطر البويضة .



(٢٤)



(٢٣)

«الاصطلاحات الواردة في المصطلح»

● الخلية : وحدة التركيب والوظيفة ، تتربك هيكل الإنسان والحيوان والنبات من تجمع آلاف الملايين منها ، وتتكون المادة الحية للخلية — البروتوبلازم — من النواة وهي مركز العمليات والتكاثر والانقسام ، ومن الخشوة — الميتوبلازم — وهي تختلف شكلاً ونوعاً ووظيفة .

● الغدد : نوعان . . غدد صماء Ductless Glands وهي غدد لا قنوات لها ، تفرز أهم الهرمونات الرئيسية في الجسم ، ونصب إفرازاتها في الدم مباشرة . . وغدد جسمية متنوعة تتوزع في باقي أنحاء الجسم .

● الهرمونات : مواد كيميائية ، تقوم بإفرازها الغدد الصماء فتسري في الدم لتؤدي وظائف حيوية وهامة ، تتحكم بمنفذاها في مجمل العواطف الإنسانية وتبدلاتها ، يحتوى الجسم الإنساني على حوالي ستة وثلاثين هرموناً مختلفاً ، وظيفتها الرئيسية تنظيم التفاعلات الأيضية في مختلف أنحاء الجسم ، وهي موجودة في الإنسان والحيوان والنبات ، بل قد يحوي الجسم الإنساني هرموناً نباتياً ويحوي النبات هرموناً إنسانياً .

● الكروموسومات : وتسمى — الصبغيات — وهي المادة الصبغية في نواة الخلية ، تحمل ميراث البشرية من الصفات الوراثية النوعية والفردية ، يختلف عددها باختلاف النوع فهي في الإنسان (٤٦) ، وفي ذبابة الفاكهة (٨) وفي النباتات من (١٢ - ٢٤) ، وجميعها أعداد زوجية لتقبل عملية القسمة على اثنين أثناء الانقسام والتكاثر .

● الجينات : وتسمى — المورثات — وهي الوحدات الأساسية التي يتربك منها الكروموسوم وتتركز فيها الصفات الوراثية ، تنتظم في الكروموسوم كجسيمات المسبحة ، وهي صغيرة جداً لا ترى إلا بالمجهر الإلكتروني ، وكل جين يحمل صفة نوعية معينة — كلون العيون أو شكل الأنف أو طول الظفر — يصل عددها في كل كروموسوم إلى الآلاف . . وإن لم يستطع العلم بعد تحديد أعدادها .

٢ - «جدول يبين زيادة الوزن أثناء التكوين»

الشهر	مقدار الزيادة
حتى الشهر الأول	مليون مرة
حتى الشهر الثاني	٧٤ مرة
حتى الشهر الثالث	١١ مرة
الشهر الأخير	٠,٣ مرة

٣ - «جدول يبين كميات الدم النازفة أثناء الحيض»

اليوم	الكمية (غ)
الأول	١٠ - ٥
الثاني	٥٠ - ٣٠
الثالث	٥٠ - ٣٠
الرابع	١٥ - ٥
الخامس	١٥ - ٥



(٢٦ أ)



(٢٥ ج)



(٢٥ ب)

(٢٥ أ)

مخارج الصورة

★ الصورة رقم (١) تمثل : الجهاز التناسلي الأنثوي .. ويبدو فيه (١) الرحم .
(٢) المبيض . (٣) قناة فالوب . (٤) المهبل . (٥) المثانة .

★ الصورة رقم (٢) تمثل : مقطع في الجهاز التناسلي الأنثوي .. ويبدو فيه أحد المبيضين وقد امتلأ بالأجربة المبيضية .. وبويضة ناضجة قد افترت من حافة المبيض أمام أهداب قناة فالوب .. ويلاحظ تشكل الجسم الأصفر بعد انبثاق البويضة من الجراب .

★ الصورة رقم (٣) تمثل : واحد من (٧٠٠ - ٨٠٠) أنبوب منوي تحسبها الخصيتان .. تظهر به الالتفاتات الكثيرة .. ويبلغ طول الأنابيب أكثر من (١٠٠) متر .

★ الصورة رقم (٤) تمثل : إحدى الصور التاريخية الرائعة .. البويضة بعد تلقيحها نتهادى بين طيات وثنايا قناة فالوب .. وهي في طور الانقسام والتكاثر .. متجهة إلى الرحم للانغراز فيه .

★ الصورة رقم (٥) تمثل : ثانية واحدة - أو أقل - في كل شهر قري .. تنطلق البويضة خلالها من المبيض .. الكاميرا الباصرة في داخل أحشاء المرأة وخارج الرحم تنتظر

● الأنزيمات : مواد كيميائية متخصصة تغير ولا تتغير ، وظيفتها الإسراع بتفاعلات الجسم الكيميائية وتنظيمها ، ولكل أنزيم عمل خاص به ، ولأن لم يعرف العلم التركيب الصحيح لأنزيم واحد ، ولا كيفية قيامه بالتأثير المنشط ، عزل منها في الجسم البشري حتى الآن أكثر من ٦٠٠ أنزيم مختلف .

● علم الوراثة : الدراسة العلمية للوراثة ، علم يبحث في الطريقة التي تورث بها الجينات الحاملة للصفات ، بموت هذا العلم وكشفه طغت على كل ما عداها .. حتى أنها استأثرت بجميع جوائز نوبل للعلوم تقريباً منذ بدأ ظهور هذا العلم .

● البويضة : أكبر خلايا الجسم البشري في كلا الجنسين ، فطرها ١/٢٠٠ من البوصة ، ووزنها بعد تخصبها (٠,٠٠,٠٠٠,٠٠٥) من الأونس ، تنضج (٥٠) ألف مليون مرة تقريباً .. تمثل بالمواد الغذائية .

● الحيوان المنوي : أصغر خلايا الجسم البشري ، حجمه ١/٨٠,٠٠٠ من حجم البويضة ، طوله من (٦٠ - ٧٠) ميكرون ، له رأس (٥) ميكرون ، وعنق (٥) ، وذنب (٥٥) ، يقطع في الدقيقة في تحركه مسافة (٢-٤) م .

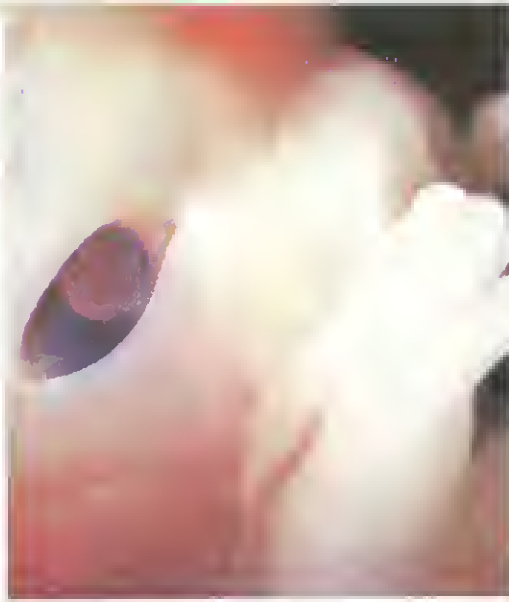
الميكرون : ١/١٠٠٠ من الم - ملليمتر - .

الأونس : ٢٨,٣٥ غرام .

البوصة : ٢٥,٤٠ م .



(٢٦ هـ)



(٢٦ جـ)



(٢٦ بـ) (٢٧ أـ)

هذه الثانية .. ألوف الصور حتى كانت هذه الصورة الحدث للحظة انبثاق البويضة من المبيض .. منجهة إلى قناة فالوب .. ويرى بنافيا خلايا الجريب المتفجر التي ستشكل الجسم الأصفر .

★ الصورة رقم (٦) تمثل : في كل واحد مللي متر (م) من المني يوجد فيه (١٢٠) مليون حيوان منوي .. في الصورة (١) الحيوانات المنوية في لفة نشاطها تشق طريقها بقوة وبمساعدة أذيالها في لحظة قذفها في المهبل في اليوم الرابع عشر من الدورة الشهرية . (ب) الحيوانات المنوية وقد خفت حركتها . (ج) النويات وهي تتسابق . (د) الكثير منها وقد فني ومات من تأثيرات شتى .. والبقية كانت في النزح الأخير .

★ الصورة رقم (٧) تمثل : البويضة قبل هنيئات من اللحظة الأولى لبداية حياة مخلوق جديد .. لحظة وصول واقترب الآلاف المتبقية من النويات المنبهة من البويضة .. بعد أن هلك وفي أكثرها في رحلة طويلة قطعت خلالها مسافة (٢٠) سم في ست ساعات تقريباً .. من المهبل إلى عنق الرحم ثم الرحم ثم إلى ما قبل نهاية قناة فالوب بفيل . واحد فقط من هذه النويات التي أحكت حصارها على البويضة من جميع أطرافها سيلتحم مع البويضة ليشكل بداية مخلوق الجنين .. يلاحظ الفرق الكبير بين حجم البويضة وحجم المنوي .. قطر البويضة : ١/٢٠٠ بويضة .. طول الحيوان المنوي من (٦٠ - ٧٠) ميكرون .. البويضة = ٢٥,٤٠ م .. الميكرون = ١/١٠٠٠ من المم .

★ الصورة رقم (٨) تمثل : منوي واحد من (٤٠٠٠) مليون حيوان منوي يشق طريقه برأسه المميز وذيله الطويل .. سائجاً إلى حيث هي البويضة مجتازاً المهبل ثم الرحم .. ثم إلى قناة فالوب .. في رحلة تستغرق ست ساعات كاملة يقطع فيها من (٢ - ٤) م في كل دقيقة .

★ الصورة رقم (٩) تمثل : الصورة التي اختارها علماء الفضاء في الإدارة الأميركية لبحوث الطيران والفضاء - ناسا - لتكون بطاقة التحية الكونية .. الرسالة مع مركبي الفضاء فوياجر ١ و ٢ .. لتشرح لعلماء ومخلوقات الكواكب الأخرى - إن وجدوا - اللحظة الأولى في تكوين المخلوقات البشرية في كوكبنا الأرض

- الصورة (١) لحظة الفصل الأولى للملامسة الحيوان المنوي الواحد من (٤٠٠٠) مليون منوي لسطح البويضة معلناً بدء تكوين مخلوق بشري جديد .

- الصورة (ب) رأس الحيوان المنوي مع عنقه المجدد الشايف وذيله الحركي .. وقد بدأ يغور في أعماق البويضة وكأنه داخل في كهف عميق .

★ الصورة رقم (١٠) تمثل : صورة كاملة لمراحل تخصيب البويضة .. منذ تكوينها في المبيض إلى أن عشتت في الرحم .. يلاحظ من اليسار المبيض وقد امتلأ بالأجربة المبيضة التي في طور التكوين .. ثم انطلاق البويضة الجاهزة ودخولها قناة فالوب .. ثم اختراق أحد المنويات لغشاء البويضة واقتزابه من نواتها .. ثم وقد انشطرت الخلية الكاملة وصارت اثنتين منشاهتين .. ثم انقسمت الخليتان إلى أربع .. فكان .. فست عشرة .. فثلاث وألوف الخلايا .. ثم جاء دور انغرازها في غشاء الرحم حيث مستقرها ومستودعها تمهيداً



(٢٧ بـ)



(٢٧ جـ)



★ الصورة رقم (١٦) تمثل : ٦ أسابيع .. (١,٥) سم - من الأمام - الأيدي وقد نبتت بها الأصابع رغم قصر الذراعان .. وبينهما يظهر بوضوح القلب والكبد بين الحجاب الحاجز .. ونصفي الدماغ الواهتان يومضان من خلال جلدة الرأس .

★ الصورة رقم (١٧) تمثل : ٦ أسابيع .. (١,٥) سم - من الخلف - الجنين يسبح بحرية في الكيس الأمنيوسي - الداخلي - مع بداية تشكل نموذج العمود الفقري .. ومع النمو مستحد الفقرات والغضاريف والأنسجة الليفيّة والنخاع الشوكي .. ويظهر في الزاوية اليسرى من الصورة الكيس الهلي - الخارجي - .

★ الصورة رقم (١٨) تمثل : الأسبوع السابع .. (٢) سم .

★ الصورة رقم (١٩) تمثل : نهاية الأسبوع الثامن .. (٤) سم .. نموذج مصغر لمولود سوي مكتمل .. نهاية مرحلة التشكل .. وبدء مرحلة نمو الأعضاء والأحشاء واكمال الخلق .

★ الصورة رقم (٢٠) تمثل : شهران وأسابيع .. (٤-٥) سم .. الجنين Fetus .. بداية مرحلة نمو الأعضاء وتميزها .. ومن الآن وصاعداً ستتكون المشيمة بإمداد الجنين بجميع الهرمونات اللازمة والضرورية لنموه واكماله .. فقد انتهى تكليف الجسم الأصفر الرحمي - في المبيض - بذلك .

★ الصورة رقم (٢١) تمثل : الأسبوع الحادي عشر .. (٦) سم .. اعتباراً من اليوم لن يزود الكيس الهلي الجنين بالكريات الحمر - الدموية - ، وسيقوم بهذه المهمة بدلاً منه الكبد والطحال - بعد اكتمال نموهما .. وبعدما سيتولى هذا الأمر نخاع العظام - كما في الإنسان الكبير - والجهاز اللمفاوي سيباشر بإنتاج الكريات البيض - اللموية - لتباشر عملها المناعي .. والقلب اكتمل نموه وصارت تسمع ضرباته .

★ الصورة رقم (٢٢) تمثل : أربعة أشهر ونصف .. (٢,٥) سم .. ضاحكاً مستبشراً لا يعلم ما يجيأ له .. والزرغب الجلدي بدأ يظهر بوضوح .. والحواجب أثرت ملامحها الضعيفة .

★ الصورة رقم (٢٣) تمثل : سبعة أعوام كاملة الوقت الذي استغرقه أخذ هذه الصورة من داخل رحم أم .. الإبهام داخل الفم للتسليّة في هذا الفراغ الموحش .. والرأس قد تدور .. والشفتان واللسان بدأ يتحركان .

★ الصورة رقم (٢٤) تمثل : (٥,٥-٦) شهر .. الجنين في حالة تفكير .. لعله بدأ يعي ما حوله .

★ الصورة رقم (٢٥) تمثل : مراحل تشكل وتميز الوجه :

(أ) الأسبوع الخامس (٦) م .

(ب) (٥-٦) أسابيع (١,٥) سم .

(ج) (٨-٩) أسابيع (٣) سم .. شق الفم بدائي .. أجناف العين بدأت تأخذ

ملامح التشكل .. الأنف قصير ومشدود .. والأذن تظهر بشكلها النهائي .. والوجه يشبه وجه إنسان .

★ الصورة رقم (٢٦) تمثل : مراحل تشكل عيون الجنين :

(أ) (٤) أسابيع (٤) م .. قذح العين قد بدأ بالظهور .. في المضغة .

(ب) (٥) أسابيع (٧-٨) م .. العين تبدو كدائرة سوداء مظلمة .. تشكل شبكية العين من جدار القذح .

(ج) (٨) أسابيع (٣) سم .. بداية ظهور الأجناف .. والصينغ الذي سيظهر لونه

العيني قد تبدل من اللون الأبيض إلى لون قاتم .. وقزحية العين تبدو كآثر .. ويمكن أن نرى يؤثر العين المغطى بششاء رقيق .

(د) (٢٠) أسبوعاً (٢١) سم .. العينان مغلقتان .. والأجناف زغب أبيض .

(هـ) المولود وعين واحدة مفتوحة وقد ظهر سوادها .. وعين مغمضة وقم مفتوح .

★ الصورة رقم (٢٧) تمثل : مراحل تشكل الأيدي والأرجل :

(أ) اليد - إلى اليمين - وقد ظهر تحديد مكان الأصابع الخمس .. وإلى اليسار

مقدم القدم اليمنى والأصابع لم تتحدد بعد .. وذيل في القدم اليسرى سينكسر ليصير إصبعاً .. (٦) أسابيع (١٣) م .

(ب) الأصابع بدون خطوط البصمات .. وأسرة الأظافر تأسست .. والعضلات

بدأت عملها لتحريك الألف والأقدام .. (١١) أسبوعاً (٥) سم .

(ج) اليدين والقدمان مع الأظافر النامية اكتملت تقريباً .. (٥) أشهر (٢٥) سم .

★ الصورة رقم (٢٨) : وخرج المولود إلى الحياة بإذن الله ومشيته وتوقيقه .



(٢٨)

لتخلقه جنيناً ثم مولوداً . ويلاحظ الجزء المقتطع للتوضيح .. لمكان تعشيش البويضة في غشاء الرحم المخاطي المبطن .. وكيف أن الأوعية الدموية الرحمية قد تمددت وتوسعت لامتلائها بالغذاء المعد سلفاً لاغتذاء الجنين .

★ الصورة رقم (١١) تمثل : ٢٦ يوماً .. (٣) م .. المضغة بلا ملامح تكون صورة بورتريه لإنسان في مرحلته الجنينية الأولى .. مكان شق الفم غير محدد .. الخلدود يبدأ التشكل .. مكان فتح العينين ما زال مجهولاً .. أيام فقط وتظهر بدايات ملامح التشكل .

★ الصورة رقم (١٢) تمثل : ٤ أسابيع .. (٧) م .. الجنين منحني كالقوس .. بدأت تظهر ملامح تكون الأعضاء .. الجسم .. الرأس .. وانفخ الصدر يغطي القلب والحياشيم .. ويلاحظ سرير الذراع وسرير الساق .. ولم تظهر معالم الفم أو الأذان بعد .

★ الصورة رقم (١٣) تمثل : نهاية الأسبوع الخامس .. (١١-١٢) م .. الرأس وقد انتصب .. والعين تبدو كدائرة سوداء مظلمة .. والأصابع الخمس ملتصقة في كف صغير نام .. ويظهر بوضوح الحبل السري واسطة غذاء الجنين .

★ الصورة رقم (١٤) تمثل : الوجه جامد القسبات .. عريض وضخم .. خال من أي تعبير عن المشاعر .. والعيون جاحظة نظراً باستقامة .. وعلى كل فهناك وقت ومتسع .. ٣٣ أسبوعاً ويبتسم .

★ الصورة رقم (١٥) تمثل : ٥ أسابيع ونصف .. (١) سم .. الجسم والرأس والكبس الهلي - الخارجي - قد بدأت تأخذ حيزها .. ولم يتشكل نخاع العظام بعد .. والحبل السري والمشيمة والقسم الأكبر من الدورة الدموية خارج جسم الجنين .



الفن

★ راقص شعبي من جنوب الهند بلباس الرقص التقليدي ★

. ومنهم الملوك والأمراء والقادة .

● ثالثاً : طبقة الصناع والتجار والمزارعين (Vaisya) .

● رابعاً : طبقة الخدم ، وهي في نهاية السلم الاجتماعي ويطلق عليها (Sudra) .

وتوجد طبقة أخرى لا تدخل في أي من الطبقات السني عندنا وهي طبقة (المنبوذين) حيث يعتبر أفرادها - حسب المعتقدات الهندوسية - دنسين غير طاهرين لا يجوز الاقتراب منهم أو ملامستهم أو مصافحتهم . ويقوم هؤلاء المنبوذين بكافة الأعمال الدنيا مثل : غسل الملابس وكبها ، وكفن الشوارع وديباغة الجلود والحلاقة .

ولكل طبقة قواعد وأصول مرسومة لها لا يجوز لأي فرد الخروج عليها إلا اعتبر منبوذاً من طبقة وهو أمر من أصعب الأمور ، إذ

تقع الهند في جنوب آسيا ، وتعتبر سابع دولة من حيث المساحة ، إذ تبلغ مساحتها (٣,٢٦٨,٠٩٠) كم^٢ ؛ كما يبلغ عدد سكانها - حسب إحصاء ١٩٧١ م - (٥٥٠) مليون نسمة .

تحدها جبال (الهمالايا) من الشمال ، وباكستان من الشمال الغربي ، وبحر العرب من الغرب ، وبنغلاديش من الشرق ، وخليج البنغال والمحيط الهندي من الجنوب الشرقي والجنوب .

وتعتبر اللغة الإنكليزية ، إلى جانب الهندية ، لغة رسمية وذلك بسبب تعدد اللغات المحلية واللهجات .

وفي هذا الحضم الزاخر من البشر ، تنتشر عادات وتقاليد غريبة ، تسير شيئاً فشيئاً إلى الزوال وذلك مع انتشار العمران والتصنيع . ونبذل هنا بعضاً من غرائب العادات في الهند .

● نظام الطبقات ●

قام النظام الاجتماعي في الهند منذ القديم على تقسيم الناس إلى طوائف طبقاً للاعتقاد الهندوسي (أو الهندوكية أو البرهمية) . ويعتقد أن الآريين الذين احتلوا الهند قد أقاموا هذا النظام الاجتماعي

للمحافظة على نقائهم العرقي والديني .

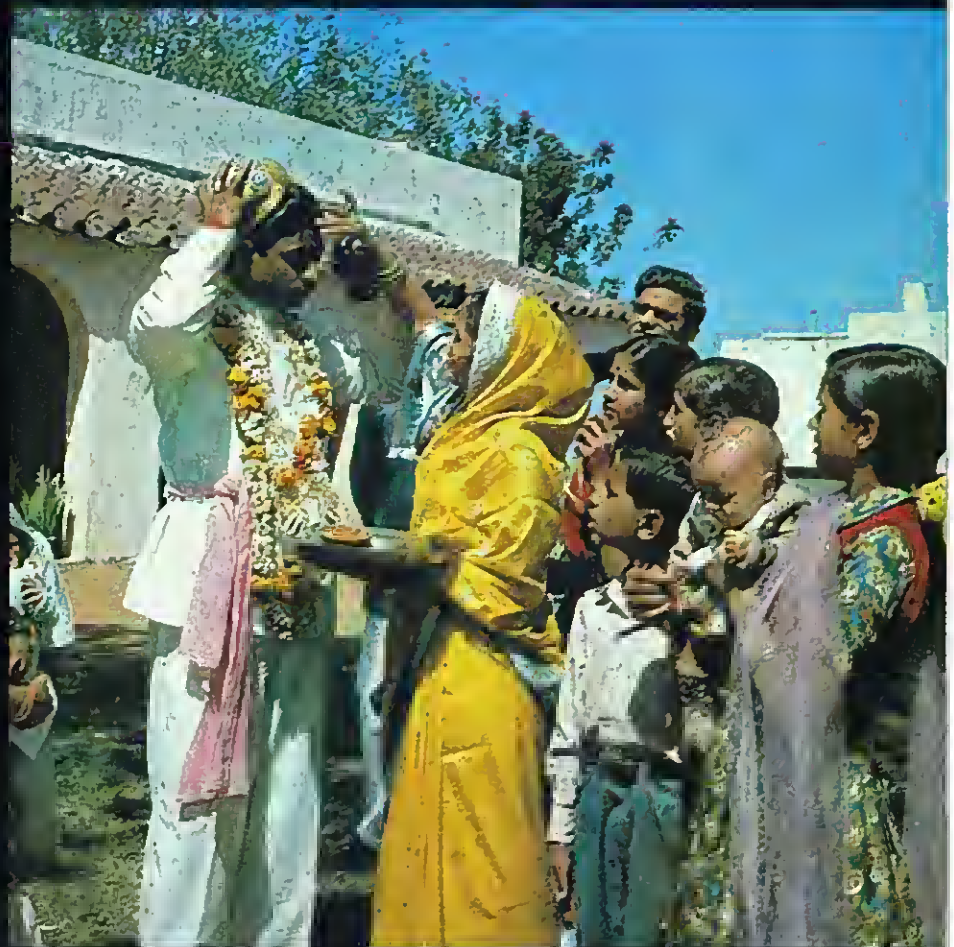
وهكذا ينقسم المجتمع الهندوسي ، الذي يعتقد في البرهمية ، إلى أربع طبقات :

● أولاً : طبقة الكهنة ورجال الدين (Brahmans) .

● ثانياً : طبقة المحاربين



★ إحراق جسد البت ★



★ عرس بيتاب عرس ★

كما أن الوظائف الحكومية ليس فيها مثل هذا التقسيم الطبقي مما يؤدي إلى سقوط هذه الحواجز الاجتماعية شيئاً فشيئاً . ومع ذلك فإن انعدام التسامح مع هؤلاء المنبوذين ما زال قائماً .

● تقديس البقر والتنجم والخرافات ●

تمثل الحياة الهندوسية بكثير من الخرافات والطقوس . وتسود فكرة الطاهر والمندس العالم الهندوسي ، وترجم إلى سلسلة من المحرمات في الاستهلاك والغذاء (كالامتناع عن تناول اللحوم مثلاً لدى أغلب الهندوس) . وهناك عام يأكمله للأفعال وللاشياء ولفترات الدنس . وتقديس بعض طوائف الهندوس الروح مهما تكن صورها ، ويضعون غلالة أو قناعاً على وجوههم حتى تمتع وصول الحشرات الصغيرة إلى أفواههم فيبتلعونها .

١٩٤٧ م ، كان من أول قرارات الحكومة الهندية الجديدة إلغاء الأعراف الاجتماعية الخاصة بالمنبوذين عن طريق إعطائهم كافة الحقوق والواجبات الخاصة ببقية المواطنين . وقد قام غاندي بتبني أحد أطفال المنبوذين ، وأعلن برنامجاً لإلغاء الطبقات الاجتماعية . وبالرغم من ذلك فإن وضع هؤلاء المنبوذين ما زال كما هو في القرى والمناطق الريفية .

وغالباً ما تقسم القرى الهندية إلى قسمين أحدهما للهندوس الذين ينتمون إلى إحدى الطبقات الأربع ، والقسم الآخر لمن هو خارج تلك الطبقات . وكمثال على ما يعانيه هؤلاء من التعصب المقيت ضدهم أنه ليس فسم الحق في الاطلاع على كتب الهندوسية أو قراءتها ، كما لا يستطيعون إرسال أطفالهم إلى المدارس العامة أو أن ينزحوا الماء من بئر القرية ، لأن ظلهم يدنس ماء البئر !!

يتخلى عنه أفراد أسرته جميعاً ولا يستطيع العيش بعد ذلك إلا مع المنبوذين .

وكنتيجة للهجرات العديدة وظهور مهن وحرف لم تكن معروفة ، وسبب تزواج بعض الطبقات ، ظهرت طبقات جديدة فرعية يبلغ عددها اليوم ثلاثة آلاف طبقة .

ويعتقد الهندوس أن أعمال المرء تستطيع أن تعدل أصله الطبقي . وتمسكون تمسكاً شديداً بهذا النظام الاجتماعي وخاصة في الريف . وكان لدخول الإسلام أثره البالغ في إلغاء نظام الطبقات عند من اعتنق الدين الحنيف . كما أن دخو أساليب الحياة الحديثة ، خاصة في المدن ، قد بدأت تخفف من آثار هذا التقسيم الاجتماعي .

● العلاقات مع المنبوذين ●

بعد أن حصلت الهند على استقلالها سنة

ذلك شأن (اليوجا) .

وأشهر الرقصات تسمى (پهارات ناتيام) Bharat natyam ، وقد نشأت هذه الرقصة في منطقة (مدراس) ، وكانت تقوم بها راقصات المعابد اللواتي نذرهن أهلهن للمعبد منذ الصغر ، فيرقصن - دون أن يراهن أحد - ساعات وساعات حتى تصل كل منهن إلى حالة من التعب والذهول التامين .

وقد خرج هذا الرقص في القرن التاسع عشر من المعابد ليصبح رقصاً يؤدي أمام البلاط والحاشية ، ثم أصبح رقصاً شعبياً تؤديه فرق متخصصة في أيام الأعياد والاحتفالات الوطنية .

ويقضي الراقص سنوات وسنوات يتعلم هذا الرقص ، فهو رقص حركي تعبيرى ويتم على إيقاعات مختلفة ... فكل حركة لها مدلولها وكل إشارة لها مفهومها .. فرقصة (ناتيا

وذلك يتوقف على طريقة الحياة التي كان الهنودوسي يعيشها قبل وفاته . وعند الوفاة لا بد من طقوس أخرى منها عملية الاعتراف والاحلال من الذنوب التي يقوم بها كاهن ، وتنتهي العملية بإحراق جثة الميت وذر رماده في نهر الغانج .

والبقرة لدى الهنودوسي شيء مقدس وحسب تأويلاتهم «من قتل بقرة فإنه يحترق في جهنم عدداً من السنوات تعادل عدد الوبر الذي يكسو جلدها» .

● الرقص التعبيري ●

ارتبط الرقص في القدم سح كثير من الحضارات الوثنية ، وأسبغت عليه تلك الحضارات طابع القداسة ، وفي الهند يعتبر الرقص طقساً من الطقوس يؤدي أمام الأصنام ، ويعتقدون أن فيه رياضة روحية ونفسية شأنه في



★ يضع بعض الطوائف قناعاً على الفم خشية إزعاج أرواح الحشرات الصغيرة إذا دخلت الفم ★

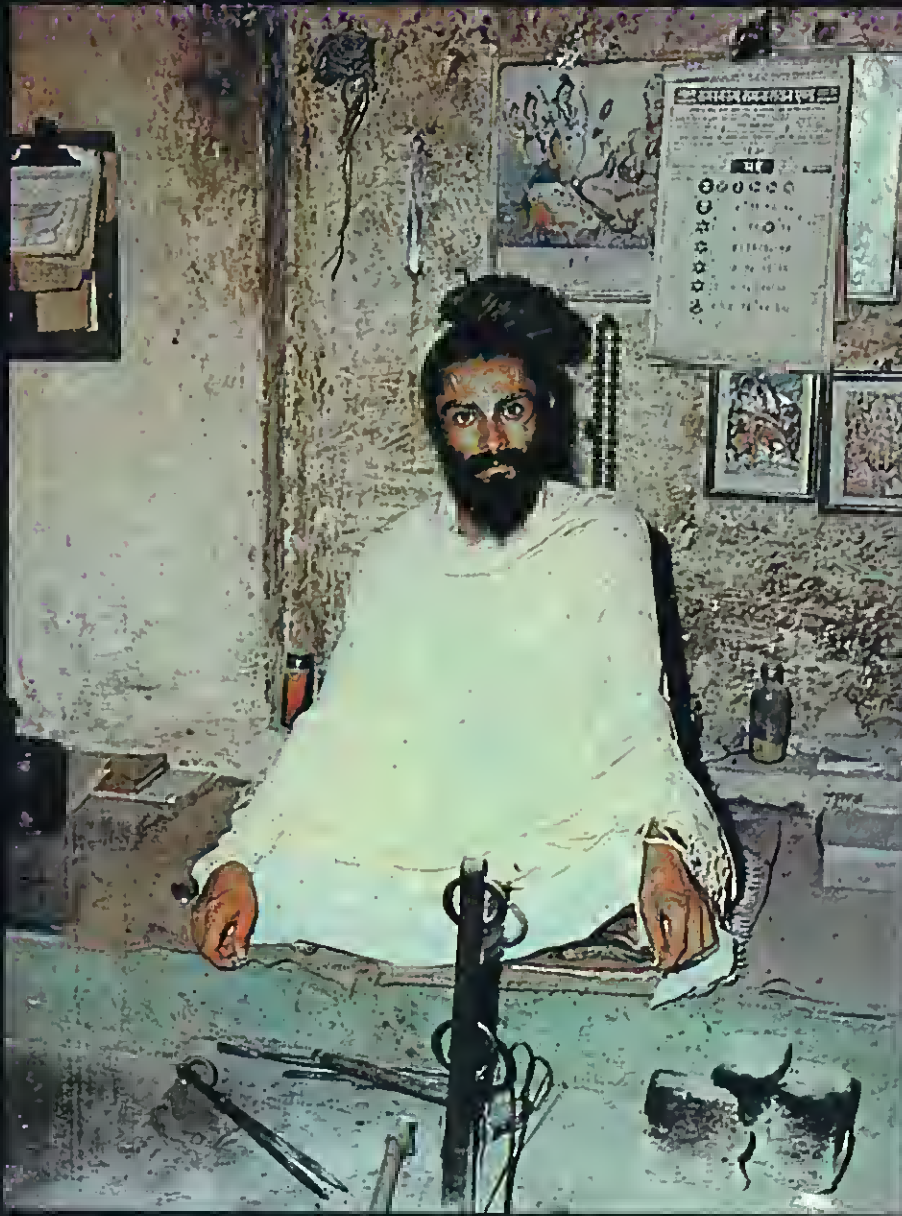
★ راقصة هندية تؤدي رقصة تعبيرية ★



والهندوسية وثنية تقوم على عبادة أصنام عديدة تراها منحوتة من الأحجار الضخمة في معابدهم ، وأهم تلك الأوثان (إسراهما وفشنو وشيفا) . ويعتبر نهر (الغانج) نهراً مقدساً ، فهو - على حد زعمهم - لا يغسل أقدار الجسد فحسب بل يطهر الروح أيضاً من أدرانها .

وتعتبر مدينة (بينارس) التي تقع على هذا النهر مركزاً روحياً يذهب إليه الهنودوس ، ويغتسلون في مياه هذا النهر ويغتسلون حسب طقوس هندوسية خاصة يتم في آخرها تقديم النذور إلى (آلهة) النهر المزعومة .

ويعتقد الهنودوسي أن الجسد غلاف للروح ، وعندما يموت أحدهم لا يقولون «أسلم الروح» بل : «خلع جسده» ، فالروح في نظرهم تعود بعد الوفاة إلى الحياة من جديد في جسد آخر قد يكون إنساناً أعلى مرتبة من الميت أو حيواناً !



★ أحد الدجالين الذي يدعي معرفة المسفل ★

★ صورة قديمة تمثل إحراق الميت وأرملته ★



شاسترا) فيها ثلاث عشرة حركة للرأس ، وست وثلاثون نظرة أو حركة عين ، وتسع حركات لخدقة العين ، وسبع حركات للحاجبين ، وست حركات للأنف ، وسبع حركات للذقن ، وست حركات للقدم ، وتسع حركات للعنق . . . وهناك حركات أخرى للأصابع والكف واليدين كل منها تعبر عن شيء محدد ومفهوم ؛ ويقول أحد الغربيين الذين كتبوا عن الرقص الهندي : « إذا أراد الراقص أن يتحدث بالحركة عن الحيوانات فإن أصابع يديه تنبسط وتنقبض لكي تمثل أسنان حيوان مفترس ، أو حركات أذنيه أو للتعبير عن طول منقاره . . . أما التعبير عن سقوط المطر وأشعة الشمس فيمكن للراقص أن يوحي بها للجمهور عن طريق حركات مستمرة متذبذبة من يديه ، وهكذا . . . »

● إحراق الأرمال ●

إن حكاية إحراق أرمل توفي عنها زوجها لدى الهنود ليست حكاية خرافية بل إنها استمرت حتى مطلع القرن العشرين . وقد ذكر (نيكولو دي كونتي) الذي زار البلاد الآسيوية في القرن الخامس عشر الميلادي أن « الهنود يترجون المرأة على شرط أن تزين يوم وفاته ثم تقوم بإحراق نفسها معه . . . » ويصف ذلك قائلاً : « يوضع الميت على كومة من جذوع الأشجار المعطرة بالبخور وتظهر الزوجة في أبهى حلة وزينة بين الأغاني والزغاريد . وبالقرب من كومة الحطب التي يرقد عليها جسد زوجها يأتي الكاهن فيعظها ويهديها في الحياة الدنيا ، ويحدثها عن الموت مؤكداً لها أنها سترى مسرات أكثر وستمتع بحياة أخرى أكثر غنى إذا رافقت زوجها في رحلة الموت . . . وتطوف المرأة حول النار عدة مرات. ثم بتشجيع الكاهن تلقي نفسها بالقرب من جسد زوجها الذي يحترق » .

وقد منعت هذه العادة عام ١٨٤٩ م ، إلا أنها استمرت في الريف وبشكل غير علني حتى السنوات الأولى من هذا القرن . أما اليوم فقد اختفت فعلاً هذه العادة كما بدأت بالزوال كثير من العادات القديمة .

من أعينكم مخلوقات

بقلم : هشام سليمان أبو عودة

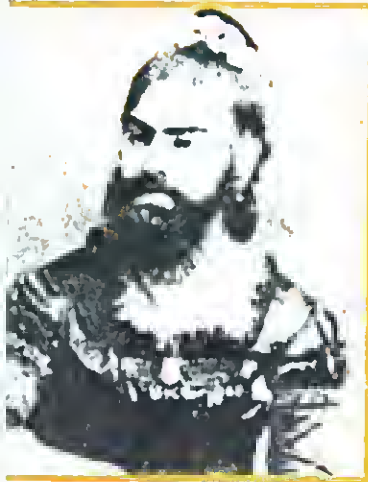


★ جويس جلبرت .. كانت نسامي يصيح
لحيتها باللون الأشقر ★

شاهدت كثيراً من النساء .. لكنني لم أشاهد مثل تلك المرأة قط .. إنها امرأة لكنها ليست كالنساء ... كان ذلك منذ ما يربو على خمسة عشر عاماً .. وقد تكون دهستكم بمقدار دهستي حينذاك عندما تعلمون أن هذه المرأة غير مكتملة الأنوثة .. أقصد هنا تميزها ببعض مميزات الرجال .. ألا وهي اللحية والشعر الغزير الذي ينمو في المناطق الموهودة من وجه الرجل .. وكنت حينذاك لا أدري ما الذي حل بهذه السيدة المتزوجة وأم الأطفال الأربعة ، الذين ربما كانوا يتساءلون عن سر هذا التشابه الغريب بين أمهم وأبيهم .. فكلاهما كان يحمل شارياً ولحية وإن كانت لحية الأب أدكن وأغزر ...

هذه الحادثة وضعتني في حيرة من أمري لزمن طويل .. وكنت أشك أن تكون هذه الأم امرأة بالمعنى الكامل للمرأة ... ولكن تساؤلاتي حول هذا الموضوع قد تبخرت أمام تأكيد الجميع لأنوثتها كما أنها لا بد أن تكون أنثى .. كيف لا وتنج أنوثتها من حولها أربعة أطفال أصحاء أسوياء ... لا أعتقد أنني كنت مغالياً في دهستي .. فلو حدث لكم ذلك .. فهل ستكونون دهستكم واستغرابكم أقل مما حدث لي .. ؟ إذن دعونا نبدأ الموضوع من أوله :

هذه الظاهرة .. قد لا تفرق بين امرأة وأخرى .. وقد تحدث لجميع النساء إذا تعرضن لما تعرضت له هذه السيدة من تغيرات بيولوجية في بعض أعضائها الحيوية .. فتقلب أنوثتهن إلى النقيض .. وتظهر نكتلات الشعر في المناطق المقصورة على الرجال فقط .. ويحضرني هنا ما حدث لـ (مدام كلوفوليا) ، وهي امرأة ذات شخصية جذابة ، لكنها تختلف عن النساء في لحيتها التي بلغ طولها ست بوصات ... ولدت في «فيرسوا» بالقرب من جنيف في ٢٥ مارس / آذار ١٨٣١ م .. لكن سرعان ما انحسرت سعادة أبويها بمولدها عندما لاحظا وجود شعر غزير على وجهها وجسدها .. وبعد أن فحصها طبيب العائلة بعناية .. طمأنهم بأن كل المواليد الجدد يولدون بمثل هذا الشعر الغزير ، لكنه سرعان ما يزول إلا من أماكن تواجده الطبيعية ... وهبات أن يقتنع الوالدان .. ف شعر الطفلة داكن وغزير .. فذهبوا بها إلى أستاذة الكلية الطبية في جنيف .. وبعد الفحص والمداولة نصحوهم بالانتظار حتى تبلغ الطفلة سن السابعة وعندها يقررون لها العلاج .. وبلغت الطفلة سبع سنوات .. لكن ماذا بيد الأطباء عمله .. ؟ وكان جوابهم : «تغيير الحال .. من الحال .. وأسقط في أيدي الأبوين .. فتركوا لحية ابنتهم وشأنها .. وفي سن الثامنة بلغ طول هذه اللحية بوصتين .. وفي سن الرابعة عشرة ترعرعت اللحية ليصل طولها إلى خمس بوصات .. وقد يتصور البعض أن اللحية ستكون عائقاً للفتاة في طريق حياتها .. لكن للناس أهواء وأمزجة ، فقد رزقها الله بمن فتنته لحيتها فتزوجها .. وكان ثمره هذا الزواج



★ آني جوتز .. في سن الشباب .. تزوجت مرتين ★



★ آني جوتز .. الطفلة الأميركية ذات اللحية والشارب ★



★ ستيفان بيروفسكي .. «الرجل الأسد» ★

طفلة جميلة طبيعية تخلو من الشعر الذي ولدت به أمها .. لكنها لم تعمر أكثر من ١١ شهراً .. وبعد موت الطفلة بسنة أسابيع وضعت (مدام كلوفوليا) طفلاً آخر كل جسمه مغطى بالشعر اسمته (البرت) .

في المحكمة

اشتغلت (مدام كلوفوليا) بعد ذلك كعارضة في السيرك بالولايات المتحدة الأمريكية لعرض لحيتها .. وكان الناس يتقاطرون من كل الولايات لمشاهدة «السيدة الملتحية» ... لكن واحداً من المتفرجين اعتقد أن اللحية التي يشاهدها لحيه مستعارة .. ونغل استنتاجه إلى القضاء .. عقدت المحكمة جلستها في يوليو/ تموز ١٨٥٣ م .. وتمت الاستعانة بثلاثة أطباء ممن فحصوا مدام كلوفوليا ليدلوا بشهادتهم ... وجاءت الشهادة في صالح أنسوة (مدام كلوفوليا) .. كما نفت عنها تهمة الرجولة شهادة الأطباء الذين أشرفوا على ولادتها .. وبهذا تكون هذه السيدة أول امرأة في التاريخ - سمعنا بها - تحتاج إلى الذهاب إلى المحكمة لتثبت جنسها !!

النساء الملتحيات في التاريخ

ذوات اللحي والشوارب معروفات منذ أقدم العصور .. ففي القرن الخامس قبل الميلاد وصف أبقراط (أبو الطب) امرأة ثمت لحيتها بعد تحطيتها لسن اللباس .. كما كان الإغريق يخافون من النساء الملتحيات لاعتقادهم بأنهن «وسيطات الآلهة» ..

أما هيرودوت المؤرخ اليوناني القديم فأخبرنا أن كاهنة أثينا كان ينمو لها لحية عندما يكون شعبها في خطر .. !! وفي العصور الوسطى ... لم تكن للنساء الملتحيات تلك الرهبة التي كانت لهن أيام الإغريق ... وربما كانت أشهر (لحية نسائية) في ذلك العهد ، تلك اللحية التي كانت تزين وجه «مرجريت البارمية» (نسبة إلى بارما هولندا) .

و(مرجريت) هذه امرأة ذات قدرات عضلية كالرجال .. وكانت لحيتها مصدر سعادة لها .. وكان طبيها يزودها بدهانات من المفترض فيها أن تطيل شعر اللحية وتجعله أكثر لمعاناً وحيوية .. أما في السويد .. فيقص علينا التاريخ قصة المرأة الملتحية التي حاربت في صفوف «تشارلز الثاني عشر» ملك السويد كرامية قتال ..

وفي القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ، ظهرت حالات كثيرة لسيدات من ذوات اللحي والشوارب .. ولن نستعمل اللقاء .. فنستقبل منهن الكثير .

لماذا تنبت اللحي على وجوه النساء ؟

التركيب البيولوجي لكل النساء واحد .. غير أن هناك فارقاً أساسياً بين النساء ذوات اللحي وبين بنات جنسهن الأخريات .. والحالة التي نحسن بصدها هنا يطلق عليها الطب الحديث اسم «HYPERTRICOSIS» أو «POLYTRICOSIS» .. وهذه الصفة قد تكون وراثية في بعض الأحوال .. لكن السبب الرئيسي لهذه الظاهرة المرضية يعزى إلى اضطراب في الغدد الصماء ... وكما هو معروف فإن وظيفة هذه الغدد إفراز الهرمونات^(١) ... ومبيض المرأة يعتبر غدة صماء ، فبالإضافة إلى كونه

مصنعاً لإنتاج البويضات فإنه يقوم أيضاً بتصنيع الهرمونات الأنثوية مثل الإسترون ESTRONE والبروجستيرون PROGESTERONE التي تقوم بدورها في تجهيز جسد المرأة لكي يؤدي وظيفته الأنثوية في الحياة على أكمل وجه .. ولكن تحت ظروف غير طبيعية يزداد إفراز الهرمونات الذكرية بكثافة .. وبالتالي يقل إنتاج الهرمونات الأنثوية .. وهكذا تفقد المرأة بعض خصائصها الأنثوية ، وتكتسب بعض الخصائص الذكرية فتنبت اللحية ، ويخشن الصوت ، ويتوقف الطمث .

كما أن اضطراب الغدة النخامية^(٢) Pituitary gland يمكن أن ينتج عنه نفس التأثير السابق .

وهناك سبب آخر يمكن أن تعزى إليه الصفات التي تكتسبها المرأة «المشعراتية» - إن صح هذا التعبير - وهو ناتج عن الغدتين الكظرية Adrenal gland ، وكل منهما غدتان في غدة واحدة .. فالجزء الداخلي من الغدة يدعى النخاع Medulla والجزء الخارجي يدعى القشرة Cortex .. ولكل جزء منها إفرازه الخاص به .. فالنخاع مسؤول عن إفراز الأدرينالين Adrenaline الذي تنتج عن زيادته زيادة ضربات القلب وزيادة تحفز الوجه والجهد في حالات الطوارئ ... أما القشرة فإنها تفرز الهرمون الذي يهمننا هنا

★ جورج .. عثروا عليه في غابات روسيا الوسطى ★





★ جوليا باسترانا .. أفتح امرأة في العالم ★



★ كراو .. الفتاة النابليدية ★

فتزوجت كسائر النساء عام ١٨٨٠م ، واستمر زواجها خمسة عشر عاماً ..
وبعد طلاقها تزوجت بآخر مرة ثانية .

ذات اللحية الزرقاء

تسببت تلك اللحية على وجهه النساء بأضرار نفسية بالغة لحاملاتها .. إذ تعرضن للسخرية والمضايقة أو للضرب المبرح في بعض الأحيان ، خاصة عندما كانت ترتاد الواحدة منهن الأماكن المقصورة على النساء والمحظورة على الرجال لأن الناس كانوا يعتقدون أن المرأة منهن ما هي إلا رجل متنكر في زي النساء ، لذلك كانت كل النساء الملتحيات يحاولن إخفاء لحاهن بأية وسيلة .. لكن من العجيب أن نسمع أن بعضهن كن يفخرن بهذه اللحية .. وليست قصة السيدة الروسية «أولجا» إلا مثالا على ذلك .. فقد كان طول لحيتها يزيد على ٣٥ سنتيمتراً .. وكانت تصنع لحيتها باللون الأزرق فأطلقوا عليها لقب «ذات اللحية الزرقاء» نسبة إلى القصة المشهورة «ذو اللحية الزرقاء» ... أما السيدة «جريس جلبرت» التي ولدت عام ١٨٨٠م ، في كاليفورنيا بولاية متشيغان الأمريكية ، فقد

وهي هرمونات الأندروجين Androgen وهي الهرمونات المسؤولة عن صفات الذكورة في كلا الجنسين على حد سواء .. فإذا زاد إفرازه في الأنثى فإنه يضمن عليها صفات الرجولة ... وقبل أن يولد أي طفل تكون له (منطقة متوسطة) بين النخاع والفخرة في الغدة السكظرية .. وفي الجنين الأنثوي الطبيعي تختفي هذه المنطقة ، وربما ازدادت وتسببت في أورام فيها .. وتكون النتيجة زيادة إنتاج الأندروجين وبالتالي إعطاء المولودة الأنثى بعض صفات الذكورة .. ومنها ظهور الشعر في مناطق الوجه واليدين .. الخ .

بعض هذه الأسباب يسبب بروز اللحية للسيدات .. فما بالك لو اجتمعت كلها .. فعندها تكون الطامة الكبرى .. والأمثلة على ذلك كثيرة ... فنقص علينا الكتب العلمية القديمة قصة «آني جونز» الفتاة الأمريكية التي ولدت في ١٤ يوليو/ تموز ١٨٦٥م ، بمدينة ماريون بولاية فرجينيا .. وكان وجهها مغطى بشعر طويل وكثيف .. وفي السادسة عشرة من عمرها ، بلغ طول لحيتها ذات الملمس الحريري والشعر البني الداكن ست بوصات مع أنها امرأة في جميع تفاصيلها ... لقد كانت امرأة حتى النخاع باستثناء الشاربين واللحية .. لكنهما لم يؤثرتا على مجرى حياتها وأصولها ،

كانت تصبغ لحيتها باللون الأشقر .

لحية نسائية في الجيش

ستيللا ماك جريجور .. امرأة كانت توصف بأنها جذابة .. تزوجت مرتين .. عملت في السيرك لعرض لحيتها الطويلة على جمهور النظارة .. لكنها سرعان ما شمتت ذلك ... فالتحقت بجيش الاحتياط النسائي الأميركي ، ثم درست التمريض في مستشفى كلية كالامازو ، ومن ثم التحقت بجامعة ميشيغان حيث حصلت على درجة الماجستير ثم تحولت إلى التدريس ... وفي كل وظيفة من هذه الوظائف كانت لحيتها تسبب لها مشاكل كثيرة .. فكانت تضطر لحلقها خمس مرات في اليوم الواحد .. وكانت عندما تخرج لمسافات طويلة تغطي وجهها بنقاب يحجب لحيتها .. وكثيراً ما سبب لها نقابها المشاكل ... فقد أوقفوها مرتين في أحد البنوك من قبل الشرطة التي اعتقدت بأن النقاب يخفي وراءه لصاً من لصوص البنوك المسلحين .. وكان يؤكد اعتقادهم هذا ، وجود اللحية فوق ثياب امرأة .

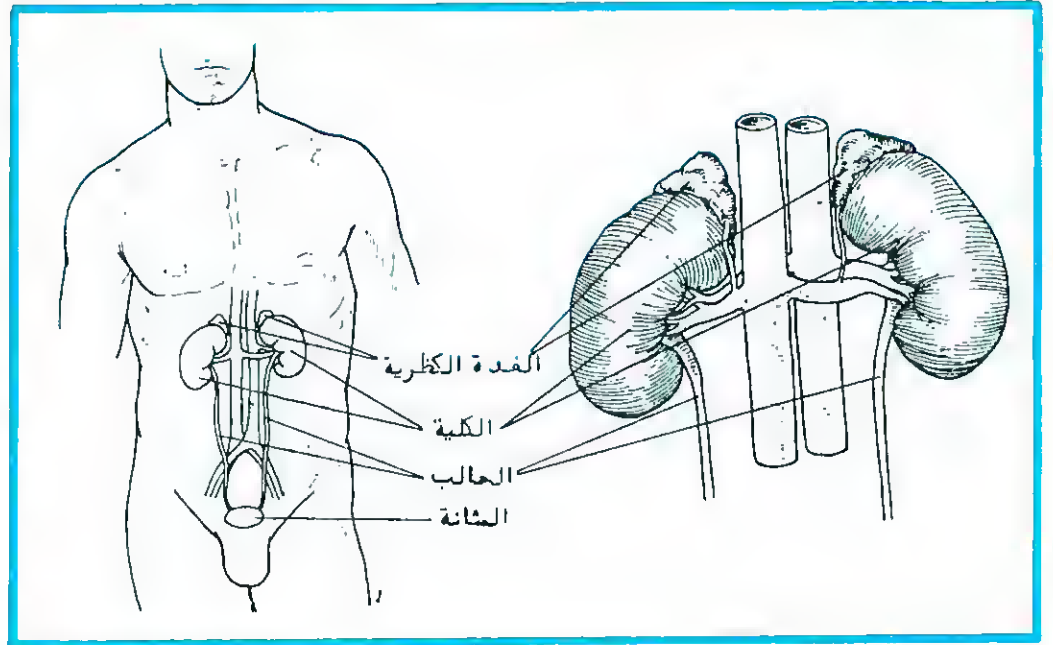
الطفلة «كراو»

توجد فصائل كاملة من البشر (من النساء والرجال على حد سواء) من ينمو شعرهم بشكل يفوق الإنسان العادي بالآلاف المرات ، وبحيث لا يقتصر نمو الشعر في أجسامهم على الأماكن الطبيعية المهددة لنموه .. بل يتعداها إلى جميع مساحات الجسم والوجه بلا استثناء .. أو بمعنى آخر .. شعر .. شعر .. شعر .. وفي كل مليمتر من الجسم من قبة الرأس إلى أخمص القدمين ... فنلاً .. طائفة «الإينو» Aino التي تعيش بجزيرة هوكايدو وبمجموعة جزر سخالين في شمالي اليابان (يبلغ تعدادهم ١٥,٠٠٠ نسمة ،

ويتحدثون لغة مختلفة عن اليابانية) (٣) يعتبرون مثالا مناسباً لذلك .. كما أن سلالة الأبورجيني (سكان أستراليا الأصليين) مثال آخر لذلك .. فهم في هيتهم أقرب إلى الإنسان البدائي الذي عاش من ملايين السنين منه إلى الإنسان المعاصر .. والغريب في الأمر أن «الصلع» لم يتطرق إلى رؤوسهم بعد ، ويبدو أنه لن يصل إليها أبداً لطبيعتهم «المشعرانية» .. ثم إن أمراض العصر لم تصل إليهم بعد ، رغم وجودهم في بلدين متقدمين كاليابان وأستراليا .

وإذا كانت الطوائف البدائية السابقة على هذا الحال .. فإذا عسانا أن نقول لو ظهرت حالات أشد غرابة وقسوة في مجتمعات متحضرة وأكثر رقياً كالقارة الأوروبية وأمريكا ... ففي ألمانيا ومنذ حوالي مئة عام تقريباً ولدت المدعوة «بريبارا أوسلر» وكل جسمها مغطى بشعر كثيف أشقر متجدد .. وكانت لها لحية طويلة ... حتى أذنيها نبشت عليها خصلات طويلة من الشعر .. وفي الولايات المتحدة .. عرضوا في السيرك عائلة بأكملها من بورما والشعر يغطيهم من جميع مناطق الجسد ... كما زودنا الصحفي هـ . كوليتز جارلو العضو بمعهد الإثنوغرافيا (٤) بوصف علمي لطفلة تدعى «كراو» في السادسة من عمرها .

يصف كوليتز الطفلة بأن لها شعراً أسود فاحم سميك .. ولها لبدة من الشعر خلف رأسها وتنحدر على ظهرها ... ويظل عينها حاجبان كثيفان لامعان .. والشعر الأشقر يغطي جسدها من قبة رأسها إلى أخمص قدميها . وإذا ضايقها أحد ، تُلقي بنفسها على الأرض صارخة وضاربة بقدميها ثم تجذب شعرها بشكل مربع وعنيف ... وتقول التقارير الطبية إنه كانت لها قوة رهيبة وخارقة للعادة في قدميها وشفثتها عند الرفس أو العض ... وفد بقيت (كراو) على طبيعتها الشاذة عن السلوك البشري .. وماتت (كراو) في سن التاسعة والأربعين في ١٦ أبريل / نيسان ١٩٢٦ م .



★ الغدة الكظرية ★ ▲

★ مدام كلرفوليا .. اضطرت للذهاب إلى الحكة

لثنت أنها امرأة بلحية حنيفة ★ ◀

الرجل الأسد

ستيفان بروفسكي .. ولد في بولندا عام ١٨٩٠م ، له وجه كوجه الأسد .. فهو مغطى بالشعر لدرجة أنه لم تكن تظهر من جلد وجهه أي بقعة خالية .. ولم تكن له لحية أو رموش أو حواجب بالمعنى المتعارف عليه .. لكنه كان مغطى بالشعر السميك الفاسي والذي نما إلى طول كبير ... وكما لاحظنا في حالة جوجو .. نلاحظ أيضاً في هذه الحالة ندرة الأسنان .. إذ كان لبروفسكي سنان فقط .. واحد في كل فك ... وتسمى هذه الحالة Partial Anodontia ثم نبت له سنان آخران بعد ذلك .

أقبح امرأة في العالم

ولن يكتمل مقالنا هذا ما لم نأت إلى ذكر «جوليا باسترانا» الهندية المكسيكية .. التي استحققت مجداً لقب أقبح امرأة في العالم .. ولدت جوليا عام ١٨٣٢م .. ولا هيمننا من قبحها شيء هنا .. لكن الذي يعيننا هي أرتال الشعر الغريب الشاذ التي كانت تغطي جسدها .. فمعظم وجهها وجبهتها مغطاة بطبقة تصدم الناظر من الشعر الأسود الكثيف اللامع .. ورغم هذا القبح .. فقد سألها رجل أن تتزوجه .. ولم يكن بحاجة لأن يكرر السؤال مرة أخرى .. ونم الزواج .. وحملت جوليا ووضعت طفلها بنجاح .. وكانت جوليا تنتظر بشوق لأن تلقى نظرتها الأولى على الطفل الذي وضعته .. وكانت تمنى النفس أن يكون طبيعياً كأييه .. وعندما أحضرت الممرضة الطفل لكي تلقى عليه الأم نظرتها الأولى .. رأت جوليا قزماً اسمر يشبهها بجسده المشوه المغطى بالشعر الكثيف .. فكانت الضربة القاضية .. وماتت في الحال من الصدمة .. ومات طفلها من بعدها مباشرة .. وكان عمرها حينذاك ٢٨ سنة ..

وفي هذه الأيام .. لم نعد نسمع كثيراً عن حدوث مثل هذه الحالات السابقة .. لأننا أصبحنا نعرف كل ما يتعلق بالغدد الصماء .. وحتى لو حدث ذلك فباستطاعة السيدات أن يتخلصن من هذه الزينة الرجالية بإجراء جراحة لمعالجة الغدد المعطوبة أو بتناول الهرمونات .. أو بإزالة بصيالات الشعر الزائد بالتحليل الكهربائي ELECTROLYSIS .. والطرق الأخرى المتعددة .. لكنهن ولسوء حظهن .. ولدن قبل معرفة كل هذه الحقائق العلمية .

الحواشي

- (١) راجع مجلة الفيصل - العدد الثالث - السنة الأولى - صفحة ١٦٠ .
- (٢) راجع مجلة الفيصل - العدد الثالث - السنة الأولى - صفحة ١٥٩ .
- (٣) LAROUSSE ENCYCLOPEDIA - ١٩٧٢م .
- (٤) Ethnography : علم بصف أنواع الجنس البشري والأعراف البشرية .

المراجع

- 1) Drimmer, Frederick, VERY SPECIAL PEOPLE. NEW YORK: Amjon Publishers, inc.
- 2) Gould, George. M. and Pyle, walter L. ANOMALIES AND CURIOSITIES OF MEDICINE. NEW YORK: Bell Publishing Company.
- 3) Dinawell, Eric John. SOME HUMAN ODDITIES London: Home & Ven Thal, Ltd.



★ عائلة من بروسيا .. الأب والأم والابن .. يمسو الشعر الطويل جميع مساحات جلودهم
بلا استثناء ★

من عجائب المخلوقات

ومن أعجب هذه المخلوقات الطفل الروسي «جوجو» ، الذي عثرنا عليه مع أبيه في غابة (كوستروما) في روسيا الوسطى .. إذ تتبع آثارهما أحد الصيادين إلى الكهف الذي يقطنان فيه ... وكان الأب والابن يتغذيان على الثوت البري والطرائد التي كانا يصطادانها بالهراوات والحجارة .. ونجح الصياد في أسرهما بمساعدة بعض الرجال .. كان الأب متوحشاً جداً ، فقاوم الأمر بكل وحشية ، ولم يستطعوا بعد ذلك جعله متحضراً حتى مات ... أما الابن فإنه تعلم حتى استطاع بعد ذلك التحدث بثلاث لغات مختلفة ... ونطلع على التقرير الذي كتبه أحد مراسلي جريدة «الهيرالد تريبيون» الأميركية في عددها الصادر بتاريخ ١٣ أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٨٨٤م .. يقول التقرير :

«إن وجه «جوجو» مغطى تماماً بشعر أصفر سميك له ملمس الحرير الجاف .. ويزداد كثافة وسمكاً على جانبي أنفه .. كما أن له خصلتي شعر تتدليان على وجهه » .. وما يستحق الذكر هنا أن «جوجو» له سنان فقط في فكّه العلوي ومثلها في الفك السفلي ...

سلاح الهندسة

الهندسة
الهندسة

يدعوك... ويحقق لك المستقبل الزاهر

مزايا الشهادة للطالب بها التحريج :

- ✓ يمنح راتب شهري بحدود ٢٠٠٠ ريال.
- ✓ يمنح الرتبة والراتب والعطلة الفنية التي تناسب مستوى الثقافي.
- ✓ إتاحة الفرصة له بدخول دورات عسكرية وفنية داخل المملكة وخارجها.
- ✓ تأمين السكن له ولعائلته ضمن مشاريع إسكان وزارة الدفاع والطيران.
- ✓ العلاج المجاني له ولذاته يعولهم شرعاً.
- ✓ إتاحة الفرصة له لاستكمال دراسته المتقدمة.
- ✓ أجهزة مبنية مع إركابه وعائلته على طائرات الخطوط الجوية السعودية لمكان قضاء الأجازات داخل المملكة.
- ✓ بعد إكمال الخدمة النظامية فله الخيار في الاستمرار أو الانتقال.
- ✓ يصرف له المخصصات التقاعدية بعد استكمال مدة الخدمة النظامية.

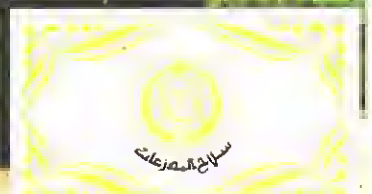
شروط قبولها بالالتحاق :

- ١- أنه يكون سعودي الجنسية.
 - ٢- أن لا يقل عمره عن ١٦ سنة ولا يزيد عن ٢٥.
 - ٣- حامل شهادة أقل من لائحة ابتدائي يتخرج براتب إجمالي ٢٥٥٠ ريالاً.
 - ٤- حامل شهادة لائحة ابتدائي وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٢٧٣٠ ريالاً.
 - ٥- حامل الشهادة الابتدائية وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٣٤٣٠ ريالاً.
 - ٦- حامل الشهادة الثانوية المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٣٥٠ ريالاً.
 - ٧- حامل شهادة الكفاءة المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٧٨٠ ريالاً.
- مدة الدراسة من ٤ إلى ٢٠ أسبوعاً فقط.

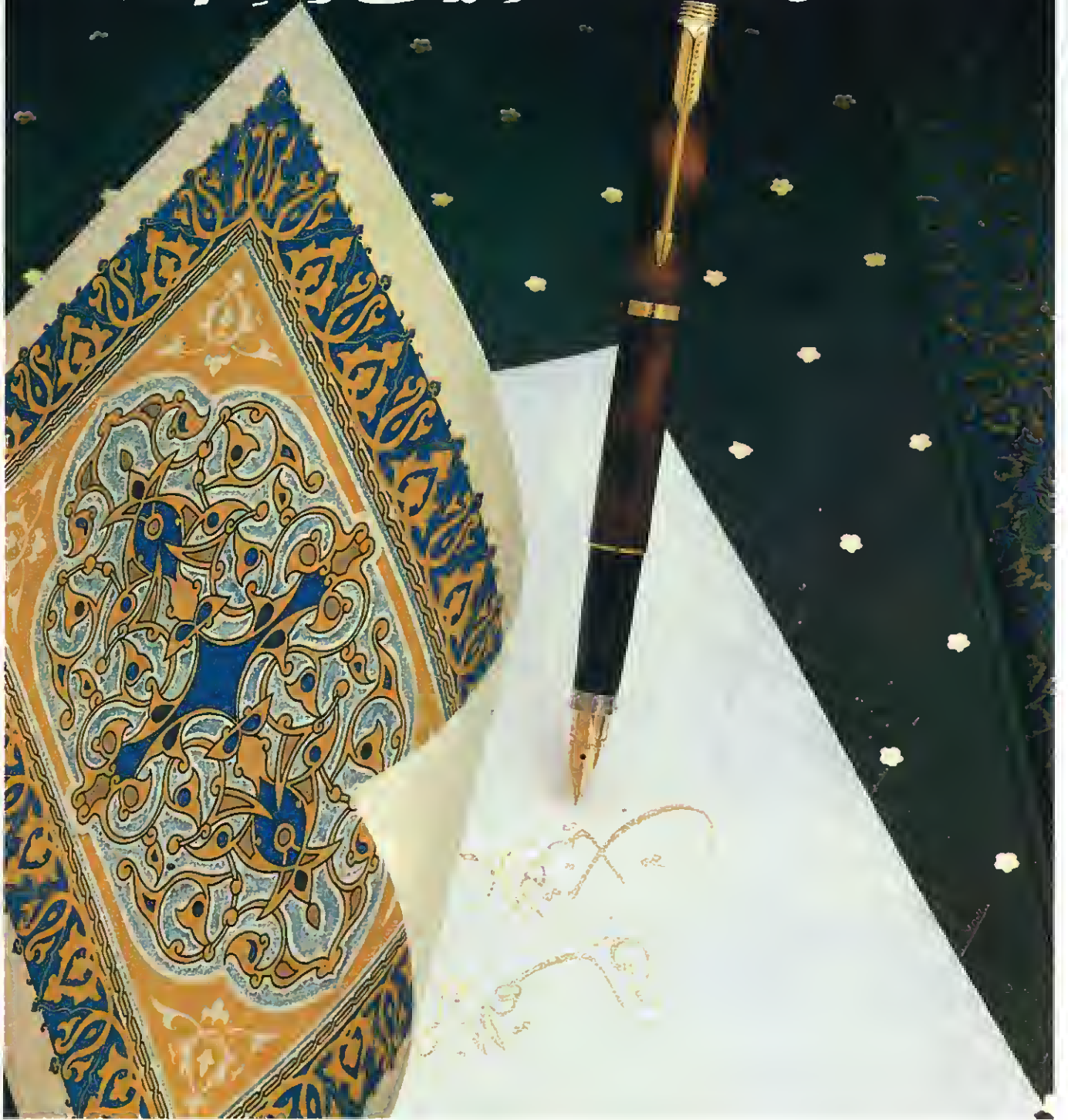
مميزات أثناء الخدمة :

- ٦- تأمين الإعاقة.
- ٦- تأمين السكن.
- ٦- تأمين الملابس العسكرية.
- ٦- تأمين العلاج للطالب وعائلته.
- ٦- مكافأة شهرية تتراوح بين ٦٠٠ - ٧٥٠ ريالاً.

بادرجة جامعة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها...
قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى
وليزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون
رقم ٥٨٢/٤٠٤٨٨٢ أو رقم ٣٠٠٩٣ الرياض.



تحف رائعة من اللالك النفيسة



IP1

باركر لال

تاريخيًا وفي صميم التراث الصيني كان اللالك ذروة فنية تزيين التحف الرائعة. واليوم، مستوحاة من هذا الفن العريق تقدم أفلام باركر مجموعة أقلام ٧٥ و ١٨٠ من اللالك النفيس بعدة ألوان مميزة وجذابة. أضف إلى ذلك ما يضفيّه إسو باركر من مستوى وثقة وتقنية عالية.

PARKER

الوكلاء: مجموعة للوكالات العامة جدة - مصر ٢٠١٢٧ - تلفون ٢٢١٩٥ / ٢٢١٩٥ - الفون ٢٧٢٤٢ - الفاكس ٨٦٤٢٧٥

الفن التشكيلي المغربي

ومشاكله

إعداد :
سمير ضريص



حيث يمتزج الوعي باللاوعي أثناء عملية الإبداع التشكيلي ، متجاوزاً الحدود الطبيعية والنفسية ، بين العالم الداخلي والعالم الخارجي .. فتخرج تكويناته وموضوعاته ، جزء منها منتبهاً للوعي ، والجزء الآخر منتبهاً لللاوعي حيث التلقائية والاكتشاف .. فالفن عنده إعادة صياغة العالم المرئي بالاكتشاف أثناء ممارسة التشكيل .. وأسلوبه الفني يتميز بأنه مريح للمتلقي ، نتيجة اختزاله وتلخيصه للأشكال ، وهو يجمع بين الأسلوب الهندسي ، والأسلوب العضوي .. فنجد أن خطته البنائية للوحة هندسية ، تذكرنا أحياناً بهندسة موندريان .. فهو غالباً يستخدم المربع أو المستطيل ، أو يقسم مساحة اللوحة إلى أقسام هندسية ، ويضع رموزه وأشكاله ومشخصاته وعناصره داخل تلك المساحات الهندسية ، بتلخيص للأشكال في مجال البعدين ، يتناسب ويتواءم مع بنائه الهندسي ... ويعتمد أيضاً في أسلوبه على التباين اللوني للكتلة والفراغ .. وعلى تنوع ملمس السطح .. كما أن الخط عنده يجمع بين الاستاتيكية والديناميكية .. استاتيكية في هندسة التكوين ، وديناميكية في خطوط مشخصاته وأشكاله ، وبذلك يحقق الهارموني الخطي ، بالإضافة أيضاً إلى هارمونية الألوان ، وتوازن الكتل .

كل تلك المعطيات والمعادلات الموضوعية والتشكيلية ، تحدث نغماً موسيقياً باللوحة ، وتعطي لأسلوبه شكلاً متميزاً ، وشخصية متفردة .

الحداثة أو المعاصرة ، والتي يلجأ بعض الفنانين التشكيليين بالمنطقة إلى المدارس والمذاهب والاتجاهات الفنية الغربية الحديثة لتحقيقها .

التشكيل المغربي .. تأثراً وتأثيراً

●● بدأ الحوار بسؤال الفنان عدة أسئلة تحدد إطار موضوع الحديث ، والذي نريد أن نعلم من خلاله الكثير عن الحركة التشكيلية بالمغرب وتاريخها .. وعلاقتها بالفنون الغربية ، ومدى التأثير بها .. وكذلك

ومن خلال اللقاء مع الفنان المغربي العربي محمد القاسمي ، والذي قدمنا تحليلاً مبسطاً لعمله الفني ، نلقي الآن الضوء على الفن التشكيلي في بقعة من الأرض العربية هو « المغرب الأقصى » الشقيق ، لتتعرف على طبيعة تلك الحركة ، سماتها ، والمشاكل التي يمر بها الفنان التشكيلي المغربي .. خصوصاً أن الفن التشكيلي في المنطقة العربية يمر بمنعطفات ، ومشاكل تواجهه للبحث عن هوية أو شخصية خاصة بتلك المنطقة ، مستمدة جذورها من الحضارات العديدة التي قامت بالمنطقة على مر الزمن ... وفي نفس الوقت يتحقق إطار

المفهوم المعاصر للوحة من مفهوم الغرب .

ونحن نعرف أن كل الفنون عندنا هي داخلية أو مندمجة ، ضمن المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ، ونعرف أن كل الزخارف الإسلامية العربية في المغرب ، هي فنون وزخارف مندمجة في المحيط ، بمعنى أن يرى الإنسان المحيط في شموليته .. اللوحة التي أخذها الفنان عن الغرب لم تكن في تقاليدنا ، إذن الأسئلة المطروحة هي : ماذا نفعل باللوحة لكي تعبر عن مشاكلنا الجمالية والثقافية ؟ .. كيف يمكن أن لا ندخل في الدوامة الأوروبية أو حالة الاستهلاك التي وقع فيها العالم الغربي ؟ .. ثم كيف يمكن للفنان أن يوفق بين التراث والأشياء المعاصرة التي احتك بها ، وبين انتفاءاته لعالم له خصوصيات ، وبين الثقافات الأخرى الواردة ؟ .. كل هذه الأشياء مطروحة وتفرض نفسها على الفنان المغربي ، وعلى الفنان في العالم الثالث بصفة عامة .. يظل الشيء الذي جعل الفنان المغربي يتفجر إلى حد ما في إبداعاته هو أولاً معاشته للأشكال .. فلا زالت توجد صناعة تقليدية في المغرب كالنقش على الخشب والجص والمعادن المختلفة ... وخلافه ، بالإضافة إلى تنوع طبيعة البلد ، كل ذلك جعل



عن مدى استفادة الفنانين المغاربة من التراث وفنون الحضارة الإسلامية .. وتأثير الفنان التشكيلي بالواقع الذي يحياه بالمغرب ؟

● أجاب القاسمي بأن عمر الفن في المغرب لا يتجاوز ثلاثين عاماً على وجه التقريب ، لكنه تفجر بطريقة جادة ، بعد استقلال المغرب ، أي ما بعد عام ١٩٥٦ م ، وذلك بعد أن رحلت بعثات دراسية للخارج ، وحدث اتصال مباشر بالفنون العالمية .. ثم كما هو الحال في البلاد العربية ، استمد الفنانون المغاربة

ذهنية الفنان في المغرب متحركة ، إضافة إلى كل المفاهيم الموجودة في الساحة الثقافية منها مشاكل فنية - أيديولوجية - فكرية .. كل هذه الأشياء تجعل الفنان المغربي يتحرك كي يعبر عن وجوده كفرد منتم إلى هذه التحركات .

الحركة التشكيلية ... قبل الاستقلال

●● وعن الحركة التشكيلية في المغرب قبل الاستقلال ويعدده قال :

● قبل الاستقلال كان هناك مجموعة من الفنانين الأجانب يرسمون كل ما هو غريب بالنسبة لهم (كالأسواق - الصحراء - النخيل ..) وذلك بمفهوم أكاديمي متخلف لارضاء رغبات البعض .

وبعد الاستقلال حاول الفنانون هدم هذا المفهوم عند المتلقي عن طريق الكتابة ، والمناقشات والمحاضرات ... وأيضاً عن طريق تنظيم مجموعة معارض ببعض الكليات ، وفتح مناقشات مع الطلبة حول الإبداع والفرن التشكيلي بصفة عامة .

●● ماذا كانت نتائج الحركة التشكيلية التي بدأت في المغرب بعد الاستقلال ؟ وما تأثيرها على المتلقي المغربي ؟

الفنان محمد القاسمي في سطور



● مثل المغرب في أسابيع ثقافية ، كان آخرها الأسبوع الثقافي المغربي في المملكة العربية السعودية .

● كتب في عدة مجالات فنية مركزاً على التعريف بالمصطلحات الفنية .

● من فناني المغرب الشقيق البارزين .. تتميز أعماله ببساطة التكوين ، والتعبير الفني الصادق .. كما أن الموضوع عنده يختزن في ذاكرته ليعبر عنه بمفردات تشكيلية .

● من مواليد مدينة مكناس بالمغرب الأقصى عام ١٩٤٢ م .

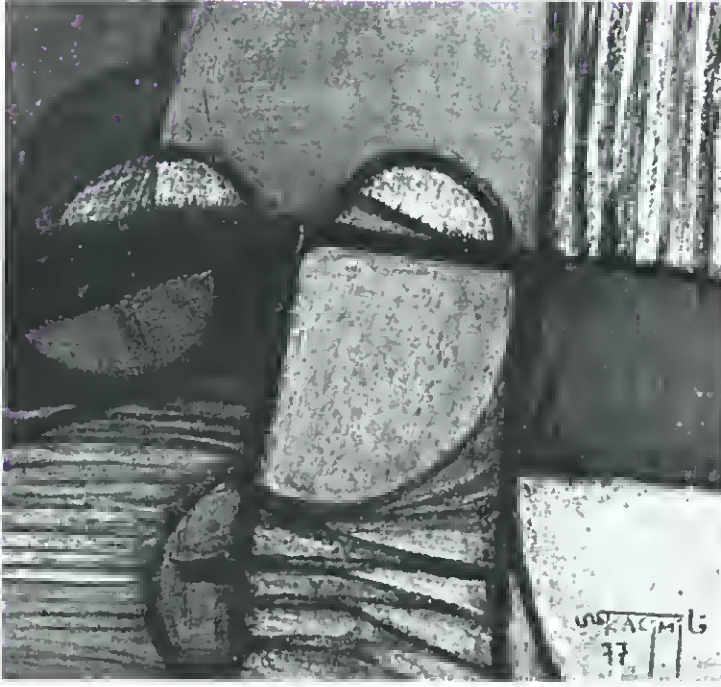
● عمل بوزارة الشبيبة والرياضة في حقل التدريب للتعريف بالفنون التشكيلية المنظمة .

● كما عمل مدرّساً لمعمل الصباغة العضوية .

● شارك في عدة معارض جماعية وفردية في بلاده ، والبلاد العربية ، والأوروبية .

إلا جامداً . وكذلك أحداث بعض النشرات والمجلات في الفنون التشكيلية ، كان له أثره على الجمهور في فهم بعض المفاهيم الفنية ، وأيضاً كان هناك حوار مباشر مع الجمهور ، حينما تطوعت مجموعة من الفنانين لرسم جداريات في شوارع المدينة ، نظراً لأن المشكلة هي في كيفية فتح الحوار مع المتلقي ، وبذلك نزل الفنان التشكيلي من برجه إلى الجمهور ، وكانت كل هذه بمثابة حوارات مع المتلقي .

● ظهرت نتائج هذه الحركة في تظاهرات متنوعة في المغرب .. فكانت هناك معارض جماعية في الساحات العامة ، حيث يكون الحوار والنقاش المباشر مع الجمهور .. بالإضافة إلى بعض الأبحاث والدراسات والمناقشات حول مشكل التراث وكيفية التعامل معه ، والاستفادة منه .. وقد كانت الميول للانفتاح أكثر مما كانت للتقوقع ، لأن ذهن الإنسان متحرك بطبيعته ، وإذا كان جامداً فلن يكون الإبداع



الجمعيات الفنية

● ما أثر الجمعيات الفنية في الحركة التشكيلية بالمغرب حالياً ؟
● الجمعيات الفنية موجودة بالمغرب ، وتمارس عملها ، وتقيم معارض جماعية للفنانين ، لكنها ليست مدعمة بشكل جيد من قبل المسؤولين بالمغرب ، لهذا وجدت الرغبة في تغيير بعض المفاهيم السائدة ، وهذا الإيمان دفع مجموعة من الفنانين لايجاد مناخ فني متقدم نسبياً .

الفنون التشكيلية في الوطن العربي

● تمر الفنون التشكيلية في الوطن العربي بمشاكل ، كمشكلة التراث والاستفادة منه ومن الحضارات التي كانت موجودة بالوطن العربي ،

وفي نفس الوقت تحقيق المعاصرة في تلك الفنون .. والبحث عن شخصيتها وسماتها المستقلة عن الفنون الغربية ؟ ... كما يمر الفنان التشكيلي العربي نفسه بمجموعة من المشاكل .. كيف ترى الفنون

التشكيلية في الوطن العربي ككل على ضوء الواقع الحالي ؟

● انطلاقة الحركة الفنية في العالم العربي تشابه إلى حد ما ، وتلتقي في ظروفها ، وفي معاشتها لمرحلة التحول ، في الحوار الدائم ، بين « التراث والمعاصرة » .. كما تلتقي أيضاً في قلق البحث عن شخصيتها .. الخ ، إلا أنها تختلف في بعض معطياتها في بعض البلدان بالنسبة لبلدان أخرى ، وهذا يرجع إلى طبيعة البلاد ، وإلى مقدار البحث المستمر والوعي بالظرف التاريخي المتحول ، وبالصدمة التي نعاني منها تجاه التحركات الحديثة في العالم .

فنحن نعرف أن هناك مشاكل في بعض البلاد العربية ما زالت تنهج في بحثها منهجاً أكاديمياً أو تقليدياً في الفنون ، ثم يطفئ عليها ثقل المفهوم الأكاديمي الذي تلقته سواء في المعاهد الغربية أو ملحقاتها في البلاد العربية ، والتخلص من هذا الانفصام « الازدواجية » الذي يعيشه الفنان العربي بصفة عامة ، لا يمكن أن يتغير أو يتحول إلى منطقة أخرى إلا إذا تحرر الفنان نفسه من مجموعة رواسب سائدة ، وبمجموعة أشياء ثابتة لا تسمح له ، برمي الخطوات إذا شئت نحو إبداع حقيقي خال من العقد والكبت والتفوق .

فالإبداع لا ينمو بطريقة حقيقية إلا في مجتمع يتحرك ، والفن يتأثر بهذا التحرك ، الفن منبثق من المجتمع ، ولكنه دائماً يتجاوزه إلى المستقبل ويدفع للتغيير ، إلا أنه يجد عراقيل كثيرة في البلاد العربية تجعله محاصراً ، يعيش في ثكنة ، وهذا يرجع إلى السياسة الثقافية التي تنهجها بلاد عربية نحو الثقافة بصفة عامة والفنون التشكيلية بصفة خاصة .

الحركة التشكيلية في صميمها كإنتاج ، هي أن بعض البلاد العربية قد أعطت أشياء لا تخلو من الجودة والجدية ، مثل بعض الفنانين المصريين وبعض العراقيين والمغاربة .. ومن خلال معرض السنين العربي الأول الذي أقيم ببغداد أو الثاني بالرباط ، يمكن لنا الحكم أو إعطاء نظرة أو القول ، بأن هذه التظاهرة هي الوجه الرسمي للفن في بعض البلاد العربية ، وذلك الوجه يغطي المحاولات الطليعية الجادة التي تبقى هامشية بحكم أنها لا تخدم رؤية الأنظمة .. وأهم ما في الأمر أن الفنانين في الوطن العربي يعيشون مرحلة محض ، مرحلة تناقضات .. وهذا قد يدفعهم إلى إيجاد ما يبحثون عنه أو ما يعبرون عنه .



المشهوره: هي الأفضل لبنا، قصوركم وفلكم لأنها الممثلة الوحيدة لمؤسسة جنسان العالمية التي صممت ونفذت لبنا، قصور الملوك والأمراء والحكام في انحاء العالم

مؤسسة المشهورة

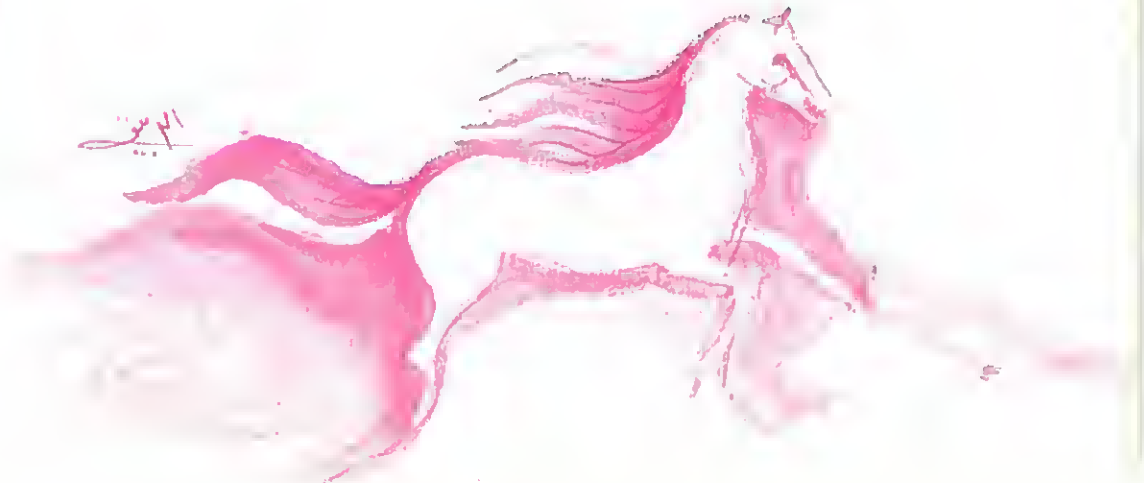
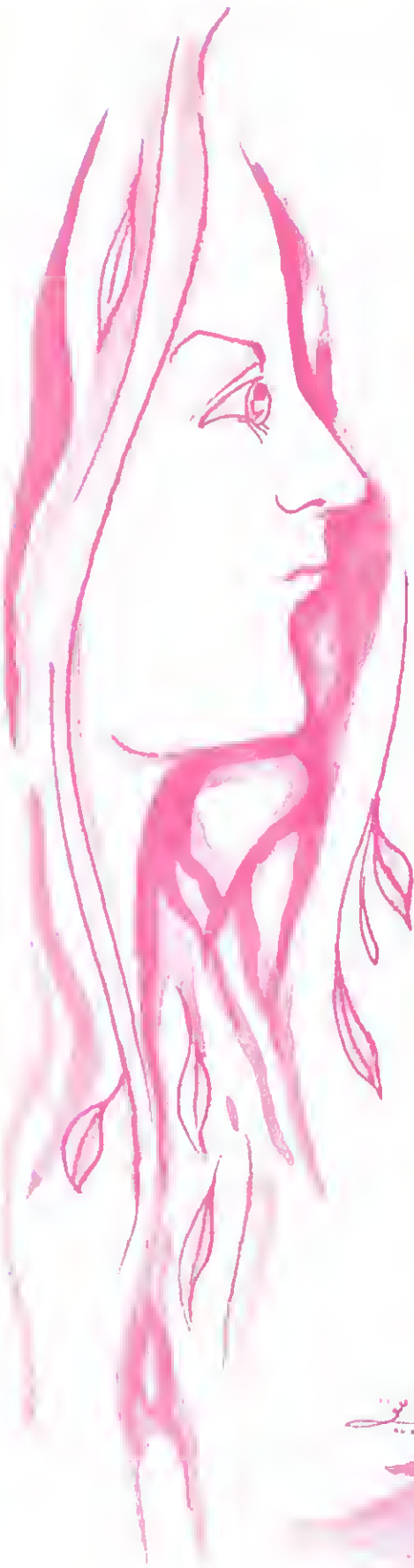
بنا، قصور وفلل - مشاريع عمرانية
ديكورات داخلية وخارجية .
تلفون ٢٣٧٤٥ / ٢٣٧٠٠ - تليكس ٢٠١٣٣٦ - الرياض

ليلة الرابية

شعر: محمد بن علي السنوسي

على الطبيعة بين السرمل والماء
أرسل إلى (زرقه) في الأفق صافية
على كتيب لأذيال الرياح به
وضعت جنبي على جنبه فاتصلت روعي بروح من العلياء علياء
أنضو عن القلب أكداراً وأغسله في موجة من خضيل الروض خضراء
أكاد من فرط إحساسي برقته
تزينت بجلاها الأرض وانطلقت
رؤى من الحسن مصبواً تفيض به
في موكب عبقرى الفن تغمره
تفرغ الروح في أرجائه جذلاً
في ليلة من ليالي العمر ناعمة
تألق البدر في آفاقها وسرى
يضمه الغم أحياناً ويرسله
للقلب في ضوئه الشوان أجنحة
وللنفوس انطلاق من أعتنها
وللنساءم والأزهار وشوشة
لله تلك السويحات التي ذهبت
إذا تخيلت رؤياها رشفت بها
ما أبدع الليل في أكناف رابية

أمضيت أحلى سويعاتي وأناي
وخضرة في أديم الأرض زهواء
طرائق من تجاعيد وأطواء
بروح من العلياء علياء
موجة من خضيل الروض خضراء
أغوص في لجة منه وأشطاء
تهتز في (ربوة) منها وبطحاء
مفاتيح من خيالات وأصداء
عراس الشور والنوار والماء
وتستحم بأضواء وأنداء
شفافة كجبين الفجر غراء
يغازل الزهر في دل وإغراء
أشف نوراً وأسنى ومض لالاء
نشوانة من أغاريد وسراء
تحرراً من تقاليد وأزياء
كهمسة الحب في آذان عذراء
وعرفها ملء أنفاسي وأحشائي
راحاً وهبت صباباتي وأهوائي
وما أرق الهوى في ضوء قمر



الشطرنج

البيدق : بياؤه : الراجل .
الشاه : الملك .
الفرزان : الوزير .
الدست : اللعبة .

ويرجع كثير من الاصطلاحات المستعملة للشطرنج أثناء اللعب إلى أصل فارسي أو عربي كقوهم (check mate) أي الشاه مات . وليس هذا معنى الموت فعلاً بل أخرج ويهدد أو هزم .

ولفظه الطابية (rook) بالإنجليزية ، وهي (roque) بالإسبانية ، و (rukh) بالفارسية ، هو الرخ الرهيب الذي لقيه السندباد البحري ، واستعمل مسلمو الأندلس هذه الكلمة بمعنى عربة (chariot) مما عرف منذ القرن التاسع عشر أن الرخ على هيئة عربة فيها أرجل مستقيمة الحركة

مع عنف ، أما الأداة المسماة (القسيس) وتعرف في إسبانيا باسم (Alfil) أي الفيل ، ومثل ذلك لفظة (Fou) الفرنسية فهي كلمة عربية .

أنواع الشطرنج

إن لعبة الشطرنج تلعب على مربعات عددها ٦٤ مربعاً ، وكان منها في الأندلس ما يلعب على رقعة مكونة من مئة مربع فيها قطعتان إضافيتان تسميان (القضاة) في كل جانب . وهناك الشطرنج الكبير

(Grande Acedrx) يلعب على لوحة فيها أربعة وأربعين ومئة مربع فيها اثنتي عشرة قطعة واثني عشر بيدقاً ، ويلى الملك فيها فيل ، ويلى الفيل على الجانبين افعوان وزرافة وخرتيت (وحيد القرن) وأسد وطابية .

ومنهم من يقترح أن يكون الشطرنج مضاعفاً وهم أصحاب المدرسة الأندلسية .

الشطرنج لعبة « استراتيجية » ، وفن من الفنون يجمع بين الحرب والخطة ، وبعد النظر ، والحركة ، والتصور . وهو لعبة تحتاج إلى تفكير ، وتأن وصبر ، وحذر وبقظة ، وهذه اللعبة المنطقية تبتعد عن الحظ وتدرس الاحتمالات وتبين نتائجها . وقد اختص العرب في العصور القديمة بالشطرنج . ولكن الكتب تذكر أن الهندي (شانور ننافي) اخترع هذه اللعبة في القرن السابع للميلاد . وقد انتشرت اللعبة في فارس ومصر القديمة ، والصين ، والدول الإسلامية العربية .

ثم انتقلت اللعبة عن طريق الأندلس إلى أوروبا التي تحررت في القرن التاسع عشر واتجهت إلى النزعة العقلانية ، والتفكير الموضوعي .. عندها برزت في روسيا ، وأوروبا ، وأمريكا ، مدارس جديدة للشطرنج . وظهرت أفكار جيدة في الافتتاحيات والأفخاخ والنهايات ، وقد أقيمت أخيراً المباريات والبطولات العالمية في أنحاء دول العالم ، كذلك المباراة التي استرعت الأنظار ، وقد جرت في ايسلندا بمدينة جادوفيك بين اللاعب الأميركي (فيشر) ، واللاعب الروسي (سباسكي) .

أسماء أدوات الشطرنج واصطلاحاته

تسمى لعبة الشطرنج في معظم اللغات بأسماء مشتقة من كلمة (شاه) الفارسية . وباللاتينية الوسيطة (Scaci) أي رجال الشطرنج ، أما اللفظة الإسبانية (Ajedrez) كانت قبل ذلك (Axedez—Acedrx) ، واللفظة البرتغالية هي (xadrez) ، بينما نرى اسم الشطرنج في الألمانية (Schach) (شاخ) كلها من تلك اللفظة الفارسية التي ترجع في أول أمرها إلى أصل سنسكريتي . وفي كتاب (السامي في الأسامي) لأحمد بن محمد الميداني النيسابوري المتوفي (٥٣١ هـ) صاحب (مجمع الأمثال) يترجم لنا عن الفارسية أسماء أدوات الشطرنج :
رقعة الشطرنج : نطعة .

خند العربي

دور الأندلس بنقل الشطرنج إلى أوروبا

بقلم : محمد عدنان الجوهري دمشقي

يقول المأمون الخليفة العباسي الشاعر المتوفى عام (٢١٨ هـ) في وصف الشطرنج :

أرض مربعة حمراء من إدم
ما بين إلفين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شهماً
من غير أن يسعيا فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على
هذا يغير، وعين الحرب لم نـم
فانظر إلى الخيل قد جاشت بمـركة
في عسكريـن ، بلا طبل ، ولا علم

أما الخليفة العباسي ابن المعتز الشاعر فيقول في مدح الشطرنج :

يا عائب الشطرنج من جهله
ولبس في الشطرنج من لباس
في فهمها علم وفي لعبها
شغل عن الغيبة للناس

ومن مدح الشطرنج من الشعراء (ابن الرومي) الشاعر العباسي حيث يقول :

ففي نصب الشطرنج كما يرى بها
عواقب لا تسمو بها عين جاهل
وأجدي على السلطان في ذاك أنه
يزيد بها كيف انقضاء الغوائل
وتصرف ما فيها إذا ما اعتبرته
مثال لتصرف القنا والقنابل

لعبت الأندلس العربية دوراً هاماً كوسيط لنقل حضارة العرب إلى أوروبا . وقد ورد ذكر الشطرنج في وصيتين لفردين من أسرة نبلاء برشلونة سنة ١٠٠٨م - ١٠١٧م ، يوهبان فيها بياض الشطرنج إلى أشخاص معينين .

أما أول كتاب عن لعبة الشطرنج ووصفها باللغة الأوروبية فقد كان كتاب ألفونس الحكيم (الألعاب) ، وهو كتاب إيباني مأخوذ من مصادر عربية . إذ إن الصور المصغرة الواردة فيه للاعبين تمثلهم بملابس شرفية بصاحبهم موسيقيون شرقيون .

موقف الشريعة الإسلامية من لعبة الشطرنج

اختلف الفقهاء في حكم لعبة الشطرنج بين الإباحة والكراهة والتحريم .. وأدلة أهل التحريم قول عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هو شر من الزرد . وقول علي رضي الله عنه : هو من الميسر . وقال عبد الله بن عباس وابن سيرين : مباح . أما أصحاب المذهب الحنفي فهو محرم عندهم إلا عند أبي يوسف فهو مباح إذا لم يقامر به ، ولم يداوم عليه ، ولم يخل بواجب ، ولم يكثر الخلف عليه .

الشطرنج في الأدب العربي

كان للأدب العربي دور كبير في نشر لعبة الشطرنج بين الأوساط المثقفة . وأول القصائد في الشطرنج قصيدة وردت في كتاب (العقد الفين) منسوبة لامرئ القيس ، يلعب فيها فناة ، ويصف لعبه بالشطرنج معها ، والقصيدة من الشعر المنحل المنسوب زوراً لامرئ القيس . ولكن أدباء العصر العباسي وعلى رأسهم الخلفاء العباسيون كان لهم اهتمام كبير بلعبة الشطرنج ولهم أشعار جميلة فيها :

وسئل محمد المزني عن المتلاعبين بالشطرنج فقال :

« إذا سلمت أيديهما من الضروب والخسائر ، وألستهما من الفحش والعدوان ، وصلاتهما من السهو والنسيان ، كانت أدباً بين الإخوان والخلفاء » .

وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول: «ما وضع هذا الشطرنج إلا لأمر عظيم».

وهناك من ذمّ الشطرنج من الأدباء فقد ذكر الصولي في كتاب شعراء مصر أن الخراساني الشاعر كان حاذقاً بلعب الشطرنج ، فعابها الحسين بن محمد مكيدة له فقال :

« صاحبها أبدأ مشغول ، مهموم يخلف بالله كاذباً ، ويعتذر مبطلاً ، ويشتم نفسه ، ويسخط ربه » ، وفي كتاب **يَتِيْمَةُ السَّاهِرِ لِلشَّعَالِيِّ** ، ينقل عن أبي القاسم الكسروي قوله :

لا ترى شطرنجباً غنياً، إلا بخيلاً دنيئاً، ولا فقيراً إلا ضفيلأ، ولا
نسمع نادرة بادرة إلا على الشطرنج .

ثم يورد الكسروي الكلمات الوضيعة المستعملة في لعبة الشطرنج في عصره . كقولہ : كأن يده على المائدة كالرخ في الرقعة . وللوضيعة إذا ارتفع (متى تفرزنت يا بيدق ؟) ولساقط المروءة (من أنت في الرقعة ؟) .

وللشريف بن الهبارية الشاعر (المتوفي عام ٥٠٤ هـ / ١١١٠م) ، أرجوزة في لعبة الشطرنج وهي مخطوطة نادرة في دار الكتب الألمانية في برلين نشرت في مجلة الزهراء (غيب الدين الخطيب) بقلم الأديب عيد الله مخلص منها هذه الأبيات :

الشاه لا يحضر عند الشاه

لأنها من أعظم الدواهي

والريخ لا يولج في المضائق

إذ ذاك بالطيور غير لائق

كذلك في الشطرنج يفدى الشاه

بغیرہ من عظم ما یغشاه

كذلك في الشطرنج حفظ البيدق

والفعل أصل مع مبادئ الفيلسوف

لا نحقرن راجلاً في الفيلسوف

فربما غلبته بالبيدق

وقد جرى لعب الشطرنج مجرى الحكم في الشعر .

قال الأمير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ (صاحب قلعة شيزر)

انظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها

مغالباً ثم بعد الجمع يرميها

كالمرء يكدرح للدنيا ويجمعها

حتى إذا مات خلاها وما فيها

وللشريف ابن الهبارية في الحكم أيضاً:

خذ جملة البلسوى ودع تفصيلها

ما في البرية كلها إنسان

★ تطريج الشعراء من كتاب تمهيد المروص للشيخ فاضل الخزازي رحمه الله ★

نفسی	اخو لطف	همام	مؤمل	سما	غیر راج	ناصر	مفضل
صفی	حقیقی	حیی	مہذب	حلی	ذو معال	باسل	منوکل
وفی	وزو عظیم	مدار	مداری	حلا	غوث راج	صابر	مخمر
ولت	بلا حجب	کفی	مدرب	سما	ذو اعتدال	واصل	متطول
نصیح	حوی انسا	مواک	مؤلف	حی	خبر خیر	ذاکر	ماتل
سری	بلاریب	ذکت	مؤذب	علا	ذو نوال	عامل	متبیل
نقی	زکافنسا	موف	موفق	علا	خبر خیر	جابر	ومنول
نئی	بلا عجب	علی	مقرب	حی	رکن آلی	کامل	بنہال

وأعمران هذا الجدول معمول على قدر منازل الشطر مخ فاذا اقروى على المعتاد خرج منا ثمانية ايات لامية من بحر الطويل واذا قرأت الكلمات التي في المنزل الاول من اعلى الى اسفل خرج بيت من بحر المقارب واذا قرأت كل كلمة منه مع التي تعادها بالورب مكم كما حركه في الشطر مخ الى ان يحصل آخر الشطر ثم تبدى من الكلمة التي تليه كذلك الى ان يتم ثمانية ايات لامية من بحر الطويل ايضا فاذا ابتدأت من الكلمة الاولى خرج قوله بنفسى حتى يمدأ مدررب * سماغوث لاج باسل متفضل .

واذا بدأت من الكلمة الأخيرة خرج قولا

نقی زکائفی ذکی مؤلف * حمی ذونوال جابری تھلر .

واذا قرأت كلمات المنزل الثاني من اعلى إلى اسفل خرج بيتان من المنزج واذا قرأت منه كلمتين وملت بمنه اوبصرة كالغرس وقرأت ما فيه خرج بيتان من الوافر واذا قرأت كلمات المنزل السادس على هذا النسق فان ملت بمنه خرج بيتان من المديد وان ملت بغيره خرج بيتان من الضرب الثالث من الرسل وباقي ما يستخرج منه ما هو ظاهر ومنه ما يفتقر إلى التحمل في طلبك

وكذلك في (المكتبة التيمورية) كتاب مجهول مؤلفه وتاريخ عصره ، فيه صور عديدة لرقعة الشطرنج ومواقع أحجارها ، اسمه كتاب الشطرنج .

وللصوفية كتاب منسوب لابن عربي اسمه شطرنج العارفين شرحه الشيخ محمد بن الهانمي الحسني التلمساني ومنهم من يسميه شطرنج الغافلين . وهو مثنوي الرقعة .

وقد اشتهر كثير من الأدباء والعظماء والنساء والشعراء بلعب الشطرنج ، فهذه عريب المأمونية تحظى عند المأمون بالإعجاب في حذقها لعبة الشطرنج . قال ابن وكيع فيها : ما رأيت امرأة أضرب من عريب ولا ألعب بالشطرنج والنزد ولا أجمع بخصلة حسنة .

وهذا أمير أندلسي يتغلب على ملك الفرنجة ، بلعبة الشطرنج ثلاث مرات . ويطلب منه فك الحصار عن مدينته بعد أن أهدها رقعة شطرنجه ، ويستعد لحربه في العام التالي .

لقد كان للعبة الشطرنج دور كبير في حياة العرب ، كما أن الحضارة العربية الإسلامية ساهمت في بناء الحضارة الإنسانية . ومن هداياهم إلى العالم (الشطرنج) الذي أصبح مالى الدنيا وشاغل الناس .

المصادر

- ١ - كتاب الشطرنج : عدنان العطار .
- ٢ - السامي في الأسامي : الميداني النيسابوري .
- ٣ - كتاب تراث الإسلام : ترجمة زكي محمد حسن ، م : ١٠ .
- ٤ - الإعلام : خير الدين الزركلي .
- ٥ - الفهرست : لابن النديم .
- ٦ - كشف الظنون : حاجي خليفة ، ج ٢ .
- ٧ - يتيمة الدهر : الثعالبي .
- ٨ - الجمع بين اللطائف والظرائف وكتاب اليواقيت : أحمد بن عبد الرزاق المقدسي .
- ٩ - أنيس الخائفين وسمير العاكفين شرح شطرنج العارفين : محمد بن الهانمي التلمساني .
- ١٠ - ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء لياقوت الحموي) ج ١ .
- ١١ - مجلة الزهراء ، م : ١ سنة ١٣٤٣ هـ : الأستاذ محب الدين الخطيب .
- ١٢ - مجلة انجم العلمي بدمشق ، م : ٣ سنة ١٩٢٣ م .
- ١٣ - تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، ج ٣ .
- ١٤ - شمس العرب تسطع على الغرب : المقدمة : المستشرق الألماني زيغريد هونكه .



★ مائة شطرنجية من مخطوط ألفونسو الحكيم (بسالامانكا) من القرن الثالث عشر *

وإذا البيادق في الدسوت تفرزنت

فالرأي أن يتبيدق الفرزان

مؤلفات العرب في لعبة الشطرنج ولاعبيه

١ يصلنا من المخطوطات العربية التي ألفها علماء المسلمين العرب إلا النزر اليسير ، وقد أفرد صاحب الفهرست (ابن النديم) للمؤلفات الشطرنجية باباً ذكر منها :

- ١ - كتاب الشطرنج للعدلي .
- ٢ - كتاب الرازي ولم يذكر اسمه ، وكان يلعب للمتوكل .
- ٣ - كتاب الشطرنج لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، وهو نسختان ، وكان لاعباً ماهراً حاذقاً يلعب مع المتوكل .
- ٤ - كتاب منصوبات الشطرنج لابن الأقلبيدي وكان من الحذاق .
- ٥ - كتاب منصوبات الشطرنج لأبي الفرج محمد بن عبيد الله اللجلج وكان من البارعين فيه .

وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي ، يذكر كتاب الشطرنج لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (المتوفى عام ٣٢٢ هـ) ، وهناك في خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس نسخة مخطوطة من كتاب (فريدة العجائب والغرائب) لعمر بن الوردني بخط أندلسي ختمت بفصل عن موضع لعبة الشطرنج وما فيه من الحكم .

الحمامات في الأندلس

مسجداً^(١٣)، وكان في المرية وحدها ألف فندق إلا ثلاثين فندقاً^(١٤). وقد كانت الحمامات منتشرة في أرجاء الأندلس كافة وبأعداد كبيرة؛ فقد بلغ عدد الحمامات في قرطبة وحدها في زمن عبد الرحمن الناصر سبعة مائة حمام ونيف^(١٥)، وقد ازداد عددها في زمن المنصور بن أبي عامر إلى تسعمائة حمام^(١٦). وكانت إشبيلية وضواحيها عامرة بالحمامات^(١٧). وكان في بجاية أحد عشر حماماً^(١٨). كما كانت الحمامات منتشرة في مرسية ومالقة وجزيرة طريف وغيرها من البلاد الأندلسية^(١٩).

وإلى جانب هذه الحمامات انتشرت في الأندلس ينانيع معدنية حارة استقطبت أهل الأندلس فأتوا عليها الحمامات، فمن هذه الينابيع التي كانت تسمى بالحمامات الحمة الشهيرة في وادي لكّة^(٢٠) والحمة التي في أشبونة قرب البحر^(٢١). وفي أقش حمة غزيرة الماء واسعة الفضاء يستحم أهلها في جنباتها على بعد من عنصرها لشدة سخونته^(٢٢).

وكان في مدينة بجاية الحمة العجيبة الشأن ليس لها نظير في الأندلس في طيب مائها وعذوبته وصفائه ولدونته ونفعه وعموم بركته، يقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحي فلا يكاد يحطّتهم نفعها^(٢٣).

ويجوز في مدينة بجاية حمة أخرى أغزر من الأولى إلا أن الأولى أنجح في الأسقام وأصلح للأبدان، ويذكر صاحب (الروض المعطار) أن الحمة الأولى تجري على عنصر الكريت، وأن الثانية تجري على النحاس، ويورد قصة فحواها أن ملك تدمير وملك رية في غابر الدهر خطبا ابنة أحد ملوك الأندلس، فاشتترط أن من بلغ ماء إحدى الجهتين حتى يصلها بدار سكنى أبيها فهو أحق بها^(٢٤).

ويورد صاحب الروض المعطار أن هناك حمة أخرى «بين بجاية والمرية لا نظير لها في معمور الأرض إتقان بناء وسخانة ماء، والمرضى يقصدونها من جميع الجهات ويقيمون عليها حتى يشفوا من أمراضهم، ويرحل إليها أهل المرية في فصل الربيع باحتفال في المطاعم والمشارب والتوسع في الإنفاق، فلربما بلغ المسكن في الشهر بها ثلاثة دنائير مرابطة وأكثر»^(٢٥).

وفد أنشئ كثير من الحمامات على مجاري الأنهار؛ فالنهر الذي يشق مدينة وشقة يجري في حمامين من حماماتها، وتسقى بفضل مائه البساتين^(٢٦)، وقد اختصت غرناطة بكون النهر يتوزع على ديارها وحماماتها وأسواقها وأرحاتها الداخلة والخارجة وساتيتها^(٢٧). ويعرف هذا النهر بنهر فلوم، وهذا النهر ينقسم عند مدنتها قسمين: قسم يجري في أسفل المدينة، وقسم يجري في أعلاها يشقها شقاً ويجري في بعض حماماتها، كما جلب الماء إلى غرناطة من عين عذبة تجاورها^(٢٨).

وقد كانت عناية أهل الأندلس بالنظافة عناية بالغة، وقد شبهوا لذلك بأهل بغداد في نظافتهم وحسن منظرهم^(٢٩). كما اشتهر أهل مدينة بطليموس الأندلسية بحسن الحمة في اللبس والمطعم والنظافة والطهارة^(٣٠).

وقد عرف أهل الأندلس الصابون واستخدموه في غسل ملابسهم وأجسامهم، كما استخرجوا مادة لغسل شعورهم كانوا يأتون بها من الجبال القريبة من طليطلة^(٣١). وقد جاء في نفع الطيب أن أهل الأندلس كانوا أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم، ومنهم من لا يكون عنده إلا ما بقوته يومه فيطويه صائماً ويتع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها^(٣٢).

لذلك لم يكن غريباً أن يبني الحكيم المستنصر في جامع قرطبة أربعة أماكن للوضوء، اثنين للرجال واثنين للنساء، وقد أجرى في جميعها الماء في قناة اجنلها من سفح جبل قرطبة^(٣٣).

وكان من مظاهر الاهتمام بالنظافة أن يكرم الناس ضيوفهم أول نزولهم بدعوتهم للاستحمام خاصة إذا كان الضيف قادمًا من سفر بعيد^(٣٤).

وكانت كثرة الدور والفنادق والمدارس والمساجد مع وفرة مياه الأنهار والينابيع من دواعي إنشاء الحمامات التي كانت على غرار المنشآت المختلفة ضخمة في أعدادها وأحجامها وحسبها؛ فقد كان في قرطبة وحدها من المساجد في زمن عبد الرحمن الناصر ثلاثة آلاف ومئائتين وسبعة وثلاثين

لم ترتبط النظافة بدين من الأديان السأوية مثلما ارتبطت بالدين الإسلامي ؛ فنظافة المسلم جزء من إيمانه ، والطهارة كما ورد في الأحاديث النبوية نصف دينه ، ولطالما حث الدين الإسلامي على نظافة المسلم وطهارته ؛ فالصلاة من أقوى الأركان التي يقوم عليها هذا الدين ، ولا تجوز إلا بالوضوء والطهارة ، وكل ذلك يحتاج إلى توفر الماء .

وقد بات من الطبيعي حين يبحث المسلم عن مكان إقامة أن يضع في اعتباره توافر الماء في هذا المكان ، فيحل بالقرب من بركة أو عين ماء أو نهر أو بئر . ولم يغفل قادة المسلمين وولايتهم هذه الاعتبارات أثناء إقامة المدن وتحديد مواطن التجمعات الجديدة . وقد كانت الأندلس ، بحكم ما وهبها الله ، غنية بالمياه والأنهار التي تكاد تشق كل مدنها ، فقد كان يشقها أربعون نهراً كبيراً^(٣١) . وقد أتاح ذلك للمسلمين جلب المياه إلى المساجد والمنازل ، ومد القنوات وحفر الآبار ، لري مزارعهم وبساتينهم ، ولم يكن عسيراً تصريف المياه الزائدة عن الحاجة ، فقد كان يجري تحويلها إلى البرك والنفوافير والنواعير والحمامات العامة ، وقد كان بالأندلس من العيون والحمامات - على حد تعبير صاحب نفح الطيب - ما لا يحصى عدداً^(٣٢) .

بصلم صلاح جزار

الحمام قاتلاً : (٣٠)

أنواع الحمامات

وكانت الحمامات في الأندلس على أربعة أنواع : حمامات خاصة بقصور الخلفاء والأمراء ، وحمامات خاصة ببعض الطوائف أو الأقسام ، وحمامات تابعة للمنازل ، وحمامات عامة ، وكان من الطبيعي أن يلحق بكل قصر من قصور الخلفاء والأمراء حمامات خاصة بسكان ذلك القصر ، ويبدو أن الخليفة أو الأمير كان يختار له قماً خاصاً يرافقه أثناء الاستحمام ويساعده في الاستحمام^(٣٣) . وكان هؤلاء الحكام يجدون لذتهم في إطالة الجلوس بالحمام^(٣٤) . وقد كان في قصر الزهراء في قرطبة حمامان أحدهما للقصر والآخر للعامة^(٣٥) .

أما النوع الثاني وهو الخاص ببعض الأقوام ، فتدل عليه الفصحة التي أوردها الحشني^(٣٦) قال : قال خالد بن سعد : سمعت أسلم بن عبد العزيز القاضي يقول : دخلت حمام الاصطبل يوماً ، فلما خرجت لفيت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم راكباً على حمار فسلم علي وكان قد عرفني بساعي منه ، فقال لي : من أين أفليت ؟ فقلت : من الحمام . فقال : وأي الحمام ؟ قلت : حمام الاصطبل ، فقال : مثلك يدخل حمام الاصطبل ؟ فقلت له : وما شأنه ؟ فقال لي : هو مغصوب لا يجل دخوله ، فقلت : ومن غصبه ؟ فقال : كان لبني أمية ، فقلت له : مهما حرم على أحد فإنه لي حلال ، فقال لي : وكيف ذلك ؟ فقلت : الحمام لهم ، وأنا مولى القوم ، فضحك ابن عبد الحكم .

أما النوع الثالث فهو الحمامات الخاصة بمنازل السكان^(٣٧) ، وكان طبيعياً وجرد مثل هذه الحمامات ، وذلك لتوفر المياه في هذه البيوت التي تجلب إليها من الأنهار والينابيع ، وأن النساء لا يمكنهن أن يذهبن إلى الحمامات العامة التي يرئها أنواع مختلفة من الناس . ولعل الرجال يؤثرون الاستحمام في الحمامات العامة بسبب توفر الخدمات المختلفة فيها ، ولما يجدونه من منعة اللقاء بالأصدقاء والتحدث إليهم .

أما الحمامات العامة فكانت متدنى يجمع فيه أجناس مختلفة من الناس صغارهم وكبارهم أرادهم وأفاضلهم علماءهم وجهلهم ، ولذلك نجد ابن خضاعة يصف

أهلاً بيت النار من منزل
شيد لأبرار وفجار
تقصده ملتصقي لذو
فندخل الجنة في النار

وكان هؤلاء كلهم يأتون إلى الحمام ويجلسون في انتظار دورهم في الاستحمام ، فكانوا أثناء هذا الانتظار يتبادلون الأحاديث ويتدرون ويقولون الشعر .

ودخل القاضي أبو الحسن مختار الرعيني ، عالم المريّة ، حماماً فجلس بإزائه عامي أساء الأدب عليه فقال : (٣٨)

ألا لعن الحمام داراً فإنه
سواء به ذو العلم والجهل في القسدير
تضيق به الآداب حتى كأنها
مصاييح لم تنفق على طلعة الفجر

ولم يكن إرباد هذه الحمامات مقصوراً على أبناء الطبقة الفقيرة أو الوسطى من الناس .

وقد عرفت بعض هذه الحمامات بأسمائها ، من ذلك : حمام الاصطبل بقرطبة^(٣٩) ، وحمام الشطارة بـإشبيلية^(٤٠) ، وحمام الرقاقين بإشبيلية^(٤١) ، وحمام الثور ببيان ، وكان ببيان أيضاً : حمام الولد وحمام ابن طرفة وحمام ابن إسحق وحمام حسين وحمام ابن السليم ، وكانت تسقى بفضلها البساتين^(٤٢) .

ويغوم بالإشراف على الحمام عامل يسمى سائس الحمام ، وتولى هذا السائس ، بالإضافة إلى الإشراف على الحمام ، القيام بمساعدة الزماتن في الاستحمام .

وفي أثناء وصفه للحمام يقول أبو جعفر ابن سعيد: (٣٦) .

ماء وفيه طيب نار
كالشمس في ديمة تصوب
وابيض من تحفه رخام
كالثلج حين ابتدا يذوب

وقيم يجذبي جذبة
وتارة يكسر إبهامي
وتجمع الأوساخ من لؤمه
في عضدي قصداً لإسلامي

وكانت الحمامات أيضاً تزدهن بلوحات فنية رائعة تجذب أنظار الزائرين وتزيد من متعتهم بالاستحمام ، فقد كان بحمام الشطرارة بإشبيلية صورة بديعة الشكل (٣٧) .

وكانت مهنة السائس تعتبر من المهن الوضيعة ؛ ولذلك يقول صاحب المغرب (٣٧) : إن محمد بن يوسف بن هود الجذامي أثناء توليه الأندلس قد وكّل قرابته الأندلسيين من بين شعّار وخبّاز وساسة حمام ومناو على ممالك الأندلس . وفي أثناء وصفه للحمام جمع أبو عثمان سعد بن أحمد بن ليون التجيبي الشاعر كثيراً من مزايا الحمامات ومستخدميها فقال : (٣٨)

وللحمام حاءات إذا ما
ظفرت بها عزت على النعم
فحناء وحكّك مجيد
وفل حجر يمر على الأديم
وحوض مغم ماء لذيذ
وحمام على النهج القويم
وللحلق الجديدة حين تنمى
وأطيبها حديث أخ كريم

أما الشكل الداخلي والخارجي للحمامات فيرى أوليج جرابار في مقالته عن الفن الإسلامي (٣٩) أن الحمامات من أشكال العارة التي اتخذت طابعاً إسلامياً أصيلاً غير متأثر بأصول الفن الإغريقي أو الروماني أو غيرها .

أشكال الحمامات

وقد اتسمت الحمامات كثيراً من أشكال العمارة الأندلسية بالضخامة والفخامة والإبداع وازدانت جدرانها بالزخارف والنقوش والحيل الفنية المختلفة ؛ وقد وصف صاحب الروض المعطار (٤٠) مباني مدينة مالقة الأندلسية بالفخامة وحماماتها بالحسن . وكان كثير من النقوش الجميلة هذه تمثل صوراً من عناصر الطبيعة الأندلسية بطيورها وأشجارها وأزهارها ومياهها وغير ذلك ، وقد وصف محمد بن غالب الرصافي البلبسي أحد هذه الحمامات بقوله : (٤١)

انظر إلى نقشي البديع
يسلبك عن زهرة الربيع
لو جني البحر من رياض
كان جني روضي المريع
سقاني الله دمع عيني
ولا وقاني جوى ضلوعي
فا أبالي شفاء بعضي
إذا تشقّيت في جميعي
كيف تراني وقيت ما بي
الست من أعجب الربوع

وكانت جدرانها وأحواضها مصنوعة في الغالب من الرخام الأبيض الناصع ، وقد وصف أبو بكر التطيلي الحمام مشيراً إلى رخامه فقال : (٤٢)

« وكان في إقليم مالقة صورة جارية من مرمر لم يُسمع في الأخبار ولا رُئي في الآثار صورة أبدع منها في قالب جارية كاملة القدّ حَسنة الجسم جميلة الوجه ، قد صوّر كل عضو من أعضائها وكل جارية من جوارحها على أتم ما يكون وأفضل ما يستحسن في جوارح المرأة ، وفي حضنها صورة صبي على مثل ذلك من الحكمة والإتقان ، وقد صورت حية تصعد من قدمها كأنها تريد نشء الصبي ، فقسمت الجارية نظرها بين مصعد الحية ومكان الطفل كالمشفقة الحذرة ، يتبين ذلك في التفاتها ، ولو وقف الناظر يتأملها عامة نهاره لم يسأم ذلك ولا مله ، لدقيق صنعها وغريب حكتها ،

وهذه الصورة موضوعة في بعض حمامات إشبيلية ، وقد تعشّتها جماعة من العوام وشغف بها ناسٌ من الطعام فتعطلت أشغالهم وانقطعت متاجرهم بالنظر إليها » (٤٤) .

وكان بحمام الثور في مدينة جيان صورة ثور من رخام (٤٥) .

وكانت الحمامات بحكم ضخامتها وسعتها وكثرة ممراتها الداخلية ودهاليزها تستعمل في أغراض متعددة ، فنجد فيما ورد من أخبار الأندلس أن حماماتها كانت مسارج للاغتيالات السياسية وإراقة الدماء وإزهاق الأرواح ؛ فهذا علي بن حود بن إدريس الذي بويع في قرطبة يقتله صبيان أغمار من صفالمة بني مروان في الحمام سنة ٤٠٨ هـ (٤٦) .

وعندما جاء عز الدولة محمد بن نوح السديري صاحب مرور سنة

٤٤٥ هـ مع اثنين من أمراء زنّانة البرابرة مع منّي فاروس والفدين على المعتضد ابن عباد في إشبيلية غدر بهم وقبض عليهم جميعاً وسجنهم في حمام الرقاقين في إشبيلية ، وكان أخلاه لهذه الغاية ، ولم يزلوا في هذا السجن حتى ماتوا كلهم (٤٧) .

أما المستظهر بالله أبو المطرف عبد الرحمن فقد هرب إلى الحمام عندما قام عليه الناس وأحاطت به العامة ، ثم استخفى في أتون الحمام وقد انطوى انطواء الحية في قبيص أسود وبحال قبيحة ، وقد اهتدى الناس إليه فبطشوا به وقتلوه (٤٨) .

الحمامات .. والشعر

فالحمامات كانت تستعمل إلى جانب الغاية التي أنشئت من أجلها مخابراً وسجوناً وأوكاراً تنفذ بها أحكام الإعدام ؛ ولكنها مع ذلك كانت أشبه بالنوادي يلتقي بها الشعراء والسيّار يتبادلون فيها الأحاديث والأشعار والسطر ؛ فقد دخل أبو جعفر ابن هريرة التطيلي المعروف بالأعيمي وأبو بكر ابن بقي الحمام ، فقال الأعيمي :

يا حسن حمامنا ويهجنه
مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حواهما كنفت
كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال :

وله أيضاً : (٥١)

ليس على لهونا مزيد
ولا لحامنا صريب
ماء وفيه طيب ناب
كالشمس في دية تصوب
وابيض من تحته رخام
كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقي :

حمامنا فيه فصل القيظ محتدم
وفيه للبرد صر غير ذي ضرر
ضدان ينعم جسم المرء بينهما
كالفصل ينعم بين الشمس والمطر

وكان لهذا الانتشار الواسع للحمامات في الأندلس انعكاسه في الشعر الأندلسي ، فقد خلبت أنظارهم ضخامتها وزينتها وزخارفها وسعة انتشارها ، وكان وصفهم للحمامات جزء من وصفهم للحركة العمرانية بشكل عام ، ولكن زاد من اهتمامهم بوصف الحمامات أنها كانت قريبة من حواسهم ، وأن ازديادها كان من الحاجات الأساسية المتكررة .

وقد وصف الشعراء الأندلسيون هذه الحمامات وصفاً دقيقاً وشاملاً لكل محتوياتها ومتعلقاتها فوصفوا حرارتها ونارها وأجرتها ودخانها وماءها وأحواضها وزخارفها وصورها ورخامها ومستخدمياتها وزيناتها ونعيمها ولذتها وكل ما يتصل بها ؛ فهذا ابن الزقاق البليسي يصف حبيبات البخار التي تتجمع على جدران الحمام فيقول : (٥٢)

رب حمام تلتقي كتلطي كل وامق
ثم أذرى عبرات صورها بالوجد ناطق
فغدا مني ومنه عاشق في جوف عاشق

وفي ذمه للحمام واصفاً دخانه وبخاره ورواده وقيمه ، يقول أبو جعفر ابن سعيد الأندلسي : (٥٣)

يا رب حمام لعنا به
أبدى إلينا كل حمام
أنق له قطر حم كما
أصمت سهام من يدي رامي
يخرق سحبا للدخان الذي
لاح لغيث المارض الهامي
وقيم يجذبني جذبة
وتارة يكسر إيهامي
ويجمع الأوساخ من لؤمه
في عضدي قصداً لإعلامي
وأزدهم الأندال فيه وقد
ضجوا ضجيجاً دون إلهام
وجلة الأمر دخلنا بني س
عام وعدنا كبني حمام

لا أنس ما عشتُ حماماً ظفرت به
وكان عندي أحلى من جنى الظفر
نعمتُ جسمي في ضذين مغتاً
تنعم الغصن بين الشمس والمطر

ويصف أبو عامر محمد بن عبد الملك بن شهيد الحمام ويذكر ناره وماءه قائلا : (٥٤)

أنعم أبسا عامر بلذته
وأعجب لأمرين فيه قد مجعا
نيرانه من زنادكم قدحت
ومأؤه من بنانكم نبعا

وقال أحد الشعراء الأندلسيين في وصف الصورة البديعة التي كانت بحمام الشطارة بإشبيلية : (٥٥)

ودمية مرمر تزهي بجيد
تتاهى في التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلاً
ولا الت باوجاع الخاض
ونعيم أنها حجر ولكن
تتينا بالحافظ مراض

إلى غير ذلك من الأشعار التي أوردناها في أثناء هذه الدراسة وغيرها من الأشعار التي انتشرت في دواوين الشعراء الأندلسيين وأمهات مصادر الأدب الأندلسي .

خاتمة

إن انتشار الحمامات بالأندلس للدليل واضح على حرص الأندلسيين على النظافة وعنايتهم الفائقة بها ، وتمثل هذه النظافة قيمة حضارية وخلقية ودينية وهذه القيم الثلاث لا انفصام بينها ؛ فالدين الإسلامي دين أخلاق وتهذيب لشخصية الإنسان وتقويم لجسمه وعقله التي بصحتها تستقيم الحضارة الإنسانية وترعرع .

وقد برز هذا الأثر الحضاري في الوقت الذي كانت فيه كثير من الأمم تفتقر إلى مثل هذه العناصر الحضارية المشرقة التي أقام الإسلام صرحها في الأندلس وغيرها ؛ فقد ذكرت سيجريد هوتكه (٥٦) في معرض حديثها عن أثر الحضارة العربية على الأوروبية أنه في حين كانت قرطبة في زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر تغص بالحمامات ندر أن نجد مثل هذه الحمامات في المدن الأوروبية ، بل على العكس تماماً كانت شوارع هذه المدن ملأى بالقاذورات والوحل بسبب قلة عنايتهم بالنظافة .

وجاء في الروض الممطر (٥٧) في الحديث عن أهل جليقية شمال الأندلس أن أهلها لا ينتظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد ، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسوها إلى أن تنقطع عليهم ، ويزعمون أن الوضر الذي يعلوها من عرقهم به تنعم أجسامهم وتصلح أبدانهم .

وفي وصفه لطريقة الاستحمام عند الصقلالية يقول البكري (٥٨) بأنه ليس لهم حمامات وإنما يتخذون بيوتاً من خشب ، ويسدّ خصاصه بتي يتكوّن على أشجارهم يشبه الطحلب ، وهو مقام الزفت لسفهم ، وينون كانوا من حجارة في إحدى

زواياه ، ويفتحون في أعلاه روزنة تلقاء لخروج دخانه ، فإذا سخن سَدُوا تلك الروزنة وأغلقوا باب البيت ، وفيه مناصب الماء ، وصَبُّوا من ذلك الماء على الكانون المحتشمي ، وترتفع أجزرته ، ويكون بيد كل واحد منهم ضفت من حشيش يحرك به الهواء ويجذبه إلى نفسه ، فتفتح مسامهم ، ويخرج فضول أجسامهم ، فتجري منهم السبول من عرق أبدانهم .

وهذا الوصف يدل على بدائية أساليب الاستحمام والنظافة عند الأوروبيين في ذلك الوقت . ولكن مجاورة الأوروبيين للمسلمين في الأندلس ، وتعرفهم على أنماط حياتهم وحضارتهم جعلتهم يغيرون من نمط حماماتهم وأخذوا بتقليد المسلمين ؛ فقد ذكرت سيجريد هونكة^(٥٧) أن إنشاء الحمامات العامة في أوروبا أصبح ينظر إليه بالأهمية نفسها التي كان ينظر بها إلى إنشاء المدارس ، واعتبرت هذه الحمامات منشآت صحية ، كما أخذ الملوك بزودون قصورهم بالحمامات والمياه الجارية ، وكان ذلك في بداية الأمر موضع انتقاد الأوروبيين الذين لم يتعودوا تلك الرفاهية واعتبروا الحمام رذيلة لأنه اهتمام زائد بالجسد .

الحواشي

- (١) نفع الطيب ٢٦٦/١ .
- (٢) نفسه ٢٦٦/١ .
- (٣) الروض المعطار ٥١١ .
- (٤) نفع الطيب ٢١٧/٣ .
- (٥) الروض المعطار ٤٥ .
- (٦) فرحة الأنفس ٢٨١ .
- (٧) نفع الطيب ١٥٠/٣ .
- (٨) الروض المعطار ٣٩٤ .
- (٩) نفع الطيب ٢٢٣/١ .
- (١٠) نفع الطيب ٥٥٥/١ .
- (١١) انظر سلاً على ذلك في : نفع الطيب ١٩٥/١ .
- (١٢) نفع الطيب ٥٤٠/١ .
- (١٣) الروض المعطار ٤٨٨ . وهذا دليل على نشاط حركة الرحلة إلى الأندلس للعلم والتجارة .
- (١٤) فرحة الأنفس ٢٩٩ . الروض المعطار ٤٥٦ . نفع الطيب ٥٤٠/١ .
- (١٥) نفع الطيب ٥٤٠/١ .
- (١٦) المغرب ٢٩٣/١ ، ٢٩٩ .
- (١٧) الروض المعطار ٧٩ .
- (١٨) الروض المعطار ١١٩ ، ٢٢٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٦١ ، ٥١٨ ، ٥٣٩ ، ٦٠٤ ، وغيرها .
- (١٩) الروض المعطار ٥١١ .
- (٢٠) نفسه ٦١ .
- (٢١) نفسه ٥٢ .
- (٢٢) نفسه ٧٩ .
- (٢٣) نفسه ٨٠ .
- (٢٤) نفسه ٨٠ .
- (٢٥) انظر المغتبيس ٢٠ ، النفع ٢٣٤/٣ .
- (٢٦) انظر : النفع ٢٣٤/٣ ، وانظر فيه «فصة دخول للعنمد ابن عباد الحمام» .
- (٢٧) نفع الطيب ٥٦٨/١ .
- (٢٨) قضاء قرطبة ١٠٦ .
- (٢٩) انظر الرواية التي ذكرها المفري في نفع الطيب ٤٨٧/٣ .
- (٣٠) خريدة القصر ج ٥/٢ .
- (٣١) نفع الطيب ٣٨١/٣ .
- (٣٢) قضاء قرطبة ١٠٦ .

- (٣٣) نفع الطيب ٥٣٣/١ .
- (٣٤) البيان المغرب ٢٩٥/٣ .
- (٣٥) الروض المعطار ١٨٣ .
- (٣٦) نفع الطيب ١٨٢/٤ .
- (٣٧) المغرب ٢٥٢/٢ .
- (٣٨) نفع الطيب ٥٨٧/٥ .
- (٣٩) تراث الإسلام في ٣٣/٢ .
- (٤٠) الروض المعطار ٥١٨ .
- (٤١) المغرب ٣٥٢/٢ .
- (٤٢) نفع الطيب ٣٤٧/٣ .
- (٤٣) نفع الطيب ٥٣٣/١ .
- (٤٤) جغرافية الأندلس وأوروبا ١١٦ . الروض المعطار ٣٨١ .
- (٤٥) الروض المعطار ١٨٣ .
- (٤٦) نفع الطيب ٤٨٣/١ .
- (٤٧) البيان المغرب ٢٩٥/٣ .
- (٤٨) البيان المغرب ١٣٨/٣ ، ١٣٩ .
- (٤٩) الخريدة ٦٤٨/٢ .
- (٥٠) نفع الطيب ١٨٢/٤ .
- (٥١) نفع الطيب ١٨٢/٤ .
- (٥٢) الخريدة ٦٤٠/٢ .
- (٥٣) نفع الطيب ٥٣٣/١ .
- (٥٤) شمس العرب ٤٩٩ .
- (٥٥) الروض المعطار ١٦٩ .
- (٥٦) جغرافية الأندلس وأوروبا ١٨٩ .
- (٥٧) شمس العرب ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

المصادر والمراجع

- ١ - بدائع البدائه ، علي بن طاهر الأزدي ، تحقيق محمد أثير الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ٢ - البيان المغرب ج ٤ ، ابن عذاري المراكشي ، تحقيق كولان وسرفستان ، دار الثقافة ، بيروت .
- ٣ - تراث الإسلام في ٢ ، شاخت ويوزورث ، ترجمة حسين مؤنس وإحسان العماد ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٨ م .
- ٤ - جغرافية الأندلس وأوروبا ، لأبي عبد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، دار الإرشاد ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ٥ - خريدة القصر في ٤ ، العباد الأصفهاني ، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، دار نهضة مصر ، مصر ، ١٩٦٤ م .
- ٦ - الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد عبد المنعم الحميري ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
- ٧ - شمس العرب نسطع على الغرب ، زغيريد هونكة ، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي ، المكتب التجاري ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- ٨ - قضاء قرطبة ، الخشني ، الدار المصرية للنايلف والترجمة ، ١٩٦٦ م .
- ٩ - قطعة من كتاب «فرحة الأنفس» لابن غالب ، نشرت في مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد ١ ، ج ٢ ، سنة ١٩٥٥ م ، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع .
- ١٠ - المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤ م .
- ١١ - المغتبيس في أنباء أهل الأندلس ، ابن حيان ، تحقيق الدكتور محمود مكسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- ١٢ - نفع الطيب ، ج ٨ ، المفري ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

يَا لَيْل

شعر: احمد مرتضى عبيد

قد ملّ حديثاً كرره
وأبى أن ينسج أحلاه
قد ضاق بليلٍ ممثّلٍ
لظلام يحسو أضواءه
وفجر لا يصفو أبداً
إلا في غَبَشٍ يغشاه
وموتٍ يسعى في ذمّه
يخشاه ويخشى صحراه
في غُربٍ زمنٍ ممتهنٍ
ضاعت دنياه .. بدنياه
قلق .. ولعمري محتشد
في عشق يُحيى موتاه
ألم .. تالف بلا برء
فالبرء احترقت جدواه
يا صباً حاوره خوف
من أملٍ ضاعت سيماه
غداً بفؤادك فالرؤيا
خدعت في لحنك أغناه
قيظ يشره يُؤسبه
في عابر لحظٍ تلقاه
في شوط طالٍ وعدّه
يا ليل الحزن .. وأغراه

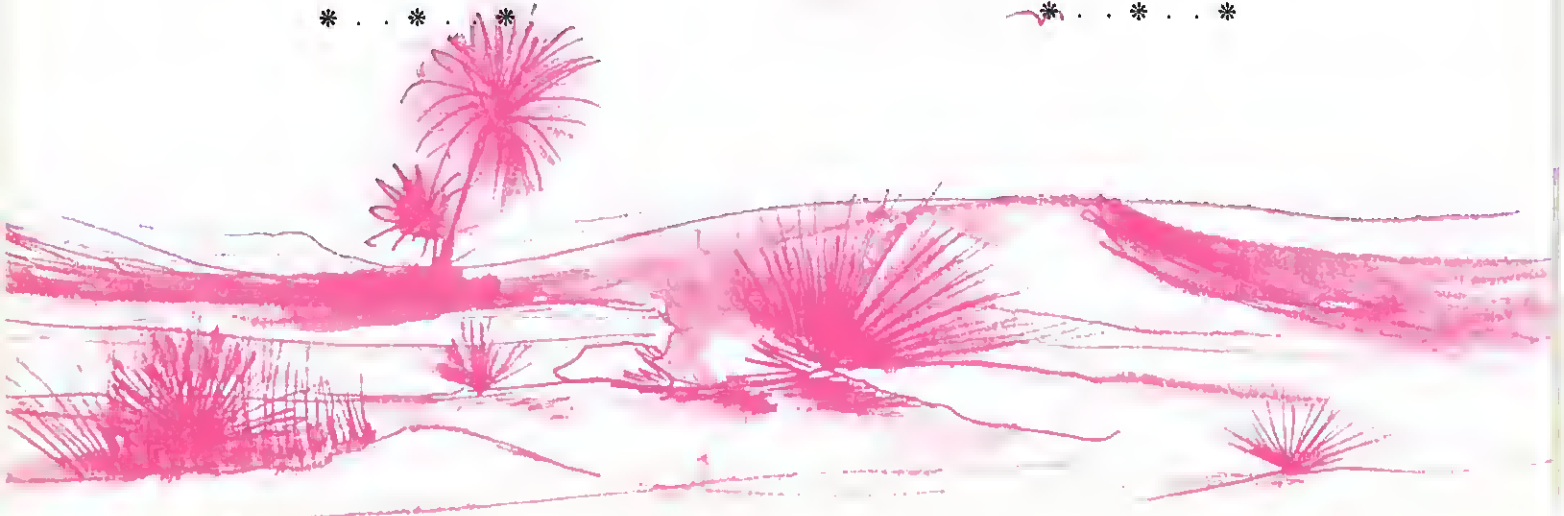
الصبّ تهدت سلواه
أشعاراً تحكي نجواه
والليل أنينٌ مكسور
يتدى فوق مُحياه
يلمسه الشوق بلا عنفٍ
فيمتف بالشوق مداه
يُسلمه الحزن إلى الشكوى
والشكوى ملّت شكواه

* . . * . . *

يا صباً حاوره خوف
من أملٍ ضاعت سيماه
في وهدة يأسٍ واحترقت
نهضة .. دمعاً عيناه
والليل إذا حدث خان
والوهم يُخطط مجراه
يا صبحاً كيف تاخرت
ورضييت بأو حكاياه
هل تأتي يوماً بحبيب
لتدندن فرحاً .. شفتاه .. ؟

* . . * . . *

* . . * . . *



طبيب يتحدث عن :

القصور التنفسي!

بقلم : د. اندره سوبيران
ترجمة : سعاد دركزلي

عقد منذ أمد قريب في مدينة كامبو ليان المؤتمر الدولي الأول للاخصائيين في التدليك الطبي ، وحضر هذا المؤتمر اخصائيون من معظم بلاد العالم ؛ وفي إحدى المحاضرات التي أقيمت في المؤتمر تبين أن عدد المصابين بالقصور التنفسي المزمن في فرنسا وحدها بلغ (١٥٠) ألفاً ، وهو كما يلاحظ رقم كبير .

وقد يشعر الناس أحياناً بأنهم أصحاء لا يشكون شيئاً ، إلا أنه من بين هؤلاء الناس بالذات يوجد في فرنسا حالياً مليونان مصابون بالعلامات الأولى للقصور التنفسي العضوي المزمن وهم يجهلون للأسف الشديد إصابتهم هذه .

الاهمال .. سبب رئيسي

● كيف نتعرف على القصور التنفسي المزمن؟ وما هي أعراض ضيق النفس والتنفس السطحي الذي يزداد بسرعة ليصبح لهاثاً عندما يقوم أحد ببذل بعض الجهد؟

بالنسبة للشخص المصاب بالقصور التنفسي المزمن ، إذا صعد الدرج لبلوغ شقة تقع في الدور الأول ، يحتاج إلى راحة تعادل أو تزيد أحياناً عما يتطلبه شخص سليم عندما يصعد الدرج لبلوغ شقة تقع في الدور الرابع أو الخامس .

كذلك فإن المصاب بالقصور التنفسي المزمن إذا حث الخطى للركوب في « التكي » أو في الحافلة ، يشعر بضيق النفس وبالحاجة إلى الزيادة في استنشاق الهواء وباللهات مصحوباً أحياناً بالضيق والكرب والانزعاج . بحيث يشعر هذا الشخص بعد بضع سنوات - فيما إذا لم يعالج - بأنه من أصحاب العاهات .

وفي معظم الحالات فإن السبب في ازدياد هذا التدهور التنفسي هو الاهمال والتهاون والتقصير في اتخاذ ما يلزم عندما يشعر المرء بأول علامات ضيق التنفس هذا .

أسباب القصور التنفسي

● ما مرد هذا القصور في التنفس أو هذا العجز في قيام الرئتين بوظيفتهما بشكل كامل؟

الأسباب كثيرة جداً ولا يمكن ارجاعها إلى سببين كما هو الشائع عادة بأنها تعود إما لاصابة بالربو أو لإصابة بانتفاخ الرئة ، وفي حقيقة الأمر والواقع ، فإن اصابة عرضية في القصبات الرئوية يهمل الانسان أمرها أو لا يعنى بها العناية اللازمة ، يمكن أن تؤدي إلى التهاب مزمن في القصبات ، وهذا الالتهاب أو هذه النزلة الرئوية هي السبب في ٩٠٪ من حالات القصور التنفسي المزمن .

أول نصيحة نقدمها لك هي أن لا تهمل أمر النزلة الوافدة « الكريب » وبخاصة عندما تكون مستمرة ، لأنها قد تصبح خطيرة بنتائجها . ومن الأمور التي يلاحظها الأطباء باستمرار أنهم يشاهدون الناس الذين يصابون بمرض السكر أو بارتفاع الضغط الدموي ، وهم مهتمون بمرضهم اهتماماً زائداً يكونون قلقين جداً من جراء إصابتهم به ، في حين أن الأشخاص المصابين بالقصور التنفسي المزمن يستسلمون له مكتفين بالقول : « إن السبب في هذا القصور التنفسي هو الربو الذي نشك منه » . أو أن يقولوا : « إنها النزلة الرئوية التي لم نستطع التخلص منها » . ويستسلمون استسلاماً كاملاً للمرض ولا يبذلون أي جهد في سبيل معالجتهم مما ألم بهم .

ومع ذلك ، لو أن هؤلاء المرضى كلفوا أنفسهم عناء مراجعة طبيبهم الخاص ، حتى ولو أن هذا الطبيب الملح لهم بأنه ليس هنالك علاج حاسم للقصور التنفسي ، فإنه على الأقل يستطيع أن يساعد في تثبيت حالتهم المرضية عند حد معين ، حتى أنه قد يستطيع التوصل إلى تحسين وضعهم الصحي ، مما ألم بهم شريطة أن يتبعوا القواعد الصحية المقررة في هذا الشأن ، وأن يتناولوا العلاج الذي قد يستمر لفترة طويلة .

ولنصف إلى ذلك أن المرضى أقوياء الإرادة وحدهم الذين يتمتعون بالثبات وقوة الصبر ، هم الذين يلتزمون بهذه التوصيات ، وللأسف

الشديد نقول بأنهم قلائل جداً .

الهواء .. لا الدواء

● ماذا يتوجب على الانسان أن يعمل إذا كان يشكو من القصور التنفسي؟

إن أول ما يتوجب عليه ، كما يلمح الحس السليم ، أن يستشير طبيبه لكي يحدد سبب شكواه . ولا شك في أن الدواء الذي يوصف في حالة الإصابة بالربو يختلف عن الدواء الذي يعطى في حالة عقابيل الإصابة بذات الجنب ، أو بالتهاب القصبات المزمن .

ويتوجب أن يعلم الانسان بأنه ليس من دواء يستطيع أن يحل محل الهواء ، كما أن الاختصاصي في التدليك سيعالج المريض لشهور طويلة ، وأحياناً تتطلب المعالجة بضع سنوات ، إذ يتوجب على المريض أن يتعلم كيفية القيام بعملية التنفس وأن يكبح جماح السعال لكي يجعله مفيداً .

وليس من شك في أن تخفيف الألم الذي يصاحب تناول الأدوية أمر « مشهور » إلا أنه لا بد من اللجوء إلى عمليات التدليك التي ثبتت نفعها وجدواها ، للتمكن من ممارسة التنفس الصحيح الذي لا غنى عنه في هذه الحالات لتحسين حالة المريض . وهذا التدريب على كيفية القيام بعمليات التنفس الصحيحة يهدف إلى تحقيق غرضين اثنين :

● الأول - جعل المريض قادراً على القيام بمجهودات متزايدة تباعاً بدون ارهاق للقلب أو للرئتين ارهاقاً مزعجاً ، وذلك باستعمال العضلات التنفسية استعمالاً صائباً حسناً ، وبخاصة حسن استعمال الحجاب الحاجز لدى القيام بعملية التنفس .

● الثاني - تدريب المريض على أن ينجح في نفث البلغم الذي يملأ قصبات الرئة ، وذلك بالقيام بتدليك خاص وبتمارين رياضية معينة ، إذ إن هذا البلغم يسد القصبات الرئوية ويمنع المريض عن التنفس العميق .

ومن المفيد الإشارة إلى أن الشخص صحيح البنية يتخلص من هذا البلغم بفضل السعال ، وهو رد فعل طبيعي يقوم به الجسم لتحقيق هذا الغرض .

ويطلق على هذه التمارين : « تمارين غسيل التهاب القصبات » لهذا فالتدليك الطبي أثر نافع في معالجة ضحايا الإصابة بالتهاب القصبات المزمن .

تجنب التدخين .. وأماكنه

في معظم الأحيان يقف المريض أمام المعالجة موقفاً سلبياً ، فينتظر أن يشفى بدون أن يبذل أي جهد ، إلا أنه عندما يعرض المريض أمره على الطبيب الاختصاصي يتحم عليه أن يكون إيجابياً وأن يتعاون معه ، فيبذل أقصى ما يستطيع لتنفيذ أوامره وتوصياته وبخاصة أن يتابع التمارين الرياضية في منزله ، بعد أن يكون مارسها في معهد التدريب والتأهيل

الخاص ، وبمقدار ما يبذل المريض من جهد في هذا السبيل تتحسن حالته الصحية ويتجه نحو الشفاء .

● يعلم كل إنسان أن العناية بالصحة تتطلب تجنب التدخين والابتعاد عن الأماكن الملوثة بدخان التبغ ، إذ في الأمكنة سيئة التهوية ، يتعرض المريض المصاب بالقصور التنفسي والذي لا يدخن ، يتعرض لنوبات شديدة من السعال ، وتهيج الغشاء المبطن لقصباته التنفسية تهيجاً شديداً عندما يشم رائحة دخان السجائر . لهذا يجب على المريض أن يتجنب قدر الامكان تنفس الهواء الملوث ، ويوصى بالسفر إلى الريف ، أو كما يقولون تغير الهواء لارتفاع رتبه ، ويوصي الطبيب مريضه عادة بالذهاب إلى إحدى حمامات المياه المعدنية ، حيث إنها مجهزة بعيارات التدليك ، فيقوم المريض بممارسة التمارين اللازمة فيها ، علماً بأن التجهيزات الفنية المتنوعة فيها تساعد المريض على أن يقوم بأحسن التمارين والتدريبات اللازمة ، ففيها مثلاً : « الدوش » ، وأماكن التهوية وغيرها من المعدات الفنية .

ومن الجدير بالتنويه أنه بمقدار ما يسرع المريض - منذ أول ظهور أعراض مرضه - في ممارسة تدريبات التدليك في هذه الحمامات المعدنية بمقدار ما تكون أكثر جدوى ومنفعة له .

● وأخيراً ، ما هي الأخطار الممكن حدوثها بسبب الإصابة بالقصور التنفسي؟

إن أول الآثار الواضحة لهذا المرض الاجهاد غير الاعتيادي الذي يعانیه القلب بسبب الحمل الثقيل الواقع عليه ؛ فإذا وقع المرء - لسوء حظه - في برائن هذا القصور التنفسي المزمن ، فإن الحكمة تقضي بالآلا يترك هذا المرض بحيث تزايد مضاعفاته ؛ فيسارع إلى الاختصاصي بالأشعة لأخذ الصور الشعاعية اللازمة للرئة ، ويعرض نفسه على الاختصاصي بأمراض الجهاز التنفسي لقياس قدرته التنفسية . وهذا القياس سهل وبسيط جداً بحيث يستطيع الطبيب بعد اجرائه أن يرسم مخططاً بيانياً لدى القصور التنفسي ، ثم يراقب الحالة المرضية ويتبع تطورها .

● هل تدعو الحاجة للتذكير بالحقيقة العلمية القائلة بأن الجسم الذي لا يأخذ حاجته من الأوكسجين هو أقل مقاومة للأعمال المجهدة وللإصابة بالأمراض الانسانية ؟ وأن دم هذا الإنسان يكون فقيراً بالعناصر النافعة إلا أنه يكون غنياً بالفضلات المتعددة الأنواع . وأن أفضل طريقة للتحصن ضد القصور التنفسي هي أن يمارس الإنسان التمارين السويدية الصباحية أمام نافذة غرفة نومه المفتوحة للهواء الطلق ، وأن يصاحب هذه التمارين تنفس عميق يدخل بواسطته الهواء إلى أعماق الحويصلات الرئوية ، حتى ولو أن الانسان لا يشكو من القصور التنفسي ، ذلك لأن هذه التمارين ضرورية جداً لوقاية جسمه وتزويده بالأوكسجين عصب الحياة .

حافظ على تنفسك العميق واحذر من ضيق النفس ومن الاصابة بالقصور التنفسي .



لبن الأم

أكمل عنداء

تري أيهما خير أن يرضع الطفل من ثدي أمه ، أم من لبن الزجاجة ؟ سؤال يتردد داخل آلاف البيوت ، وعلى جواب هذا السؤال يتوقف تحديد نوع الرعاية التي يحظى بها الرضيع ، والتي لها أكبر الأثر فيما ستكون عليه صحة البالغ وخلقه ، وأعظم الشأن في أن يصير بعد زمن إنساناً مستقر النفس نافعاً في قومه .

بصام
د. ندى المناقلي

وليس الثدي عضواً مستقلاً ، فإن نشاطه يعتمد على نشاط سائر الأعضاء ، وغدد اللبن تنمو في زمن الحمل ، يدفعها إلى هذا النمو مواد يفرزها المبيضان .. وفي نهاية أشهر الحمل تتلقى هذه الغدة من الغدة النخامية القاشة في قاعدة الجمجمة أمراً بالبدء في صنع اللبن .

أهمية الثدي للطفل

والثدي يؤثر تأثيراً بيناً في الرحم والمبيض ، فإن مص الطفل للثدي يحدث انقباضات متوالية في الرحم تساعده على البرء من آثار الوضع ، ويؤدي إرضاع الطفل إلى انقطاع الطمث .. فالغدة النخامية ، والخلايا التي تصنع اللبن والحلمة وأوعية الدم والأعصاب والمبايض والرحم هي كلها أجزاء في جهاز معقد ، تتعاون جميعها على القيام بوظيفة معينة . فالثدي إذن خلق أداة لنمو الطفل أفضل غو ، وصحة الأم أيضاً .. ومثل المرأة التي تحول بينه وبين عمله كممثل الصينيات يوم كن يعقن غو أقدامهن ، أو لعلها أقل منهن ذكاء .

إن حالة الثدي تلائم شفتي الرضيع ولسانه أتم الملاءمة .. وجل الحلمات المصنوعة من المطاط ليست إلا صوراً مشوهة منها .. والرضاعة تقتضي انقباضات متوالية في عضلات وجه الرضيع ولسانه وعنقه ، وحركات متعاقبة في فكه الأسفل ، وتنفساً من أنفه ، وفي نفس الوقت يضغط الرضيع ثدي أمه بيديه الغضتين ليزيد جريان اللبن .. فالرضاعة عمل شاق ، وهي أول مجهود قدر على الكائن البشري أن يبذله

ما أشد شقاء أطفال هذا العصر !!

لقد كتب على الكثير منهم أن يفظموا عن الثدي بعد أسبوعين من ولادتهم بلا ذنب اقترفوه .. لانصراف أمهاتهم عن الرضاعة الطبيعية منذرعات بخمسين سبباً مختلفاً يتخذنها معاذير لتقصيرهن : منها قلة اللبن أو عيب فيه ، أو عدم زيادة وزن الطفل ، أو ضعف الأم ، أو تشقق الحلمة ، أو واجبات الأم في المجتمع ، وهذه معاذير لا يؤخذ بها فلان ٩٠ ٪ منهن قدرات على إرضاع أطفالهن ، ولا يمنع الأم من منح طفلها حقه الطبيعي منعاً باتاً إلا الحمل والسرطان والسل المعدي وبعض أمراض أخرى^(١) .

فالجنين في الرحم جزء من الأم ، ومن كيانها .. وهذه الصلة ينبغي أن تدوم عدة أشهر بعد الولادة ، وإن كانت يومئذ أضعف ، فكلاهما يظل في حاجة إلى الآخر .. فالجسدان ، وإن كانا قد انفصلا ، مرتبطان بعدة روابط كيميائية وفيزيولوجية وعقلية .. ومن الجلي أن هذه الروابط تضعف إذا استبدلت الزجاجة بثدي الأم .

إن الثدي يصنع اللبن ، ويوزعه نوزيعاً لا يدخله الخطأ .. فعلى رأس حلمته فتحات لعشرين قناة ضيقة ، وهذه الأتية تنسج تحت دائرة الحلمة السوداء (اللوة) فتصير مستودعات للبن ، ثم تتغلغل في الثدي حتى تنتهي إلى غدد اللبن وهي فجوات متسعة تبطنها خلايا كل عملها أن تصنع اللبن .. وتحيط بهذه الفجوات شبكة واسعة من أوعية الدم الدقيقة يكثر فيها جريان الدم ، فصنع أوعية من اللبن يقتضي مرور ٣٠٠ أوعية إلى ٤٠٠ أوعية من الدم في هذه الأوعية .

التعقم يفقده بعض مزاياه . . ومع ذلك فإن لبن البقر إذا خفف بالماء وزيد فيه سكر اللين (اللاكتوز) أصبح غذاءً جيداً على ما فيه من عيوب ، إذ إن الجسم البشري قد وهب قوة خارقة على أن يلبس لكل حالة لبوسها .

آثار الرضاعة الطبيعية

للرضاعة الطبيعية آثار عديدة على الأطفال :

الأول - حظ الرضيع الذي يحظى برضاعة طبيعية من السلامة والنجاة من أخطار العام الأول - وهو أخطر عام في حياته - ما بين ثلاثة أضعاف حظوظ الطفل الذي يتغذى بغير ثدي إلى عشرة أضعاف .

الثاني - أن الرضاعة من الثدي تجعل الطفل أقل مرضاً . . والأطباء كلهم مجمعون على هذا . وبدل الإحصاء الدقيق على إصابة ٦٤ ٪ من الأطفال الذين يغذون ولا يرضعون الثدي بعلى في الأمعاء والمعدة والرتتين والحلق في العام الأول من عمرهم ، على حين أن العلل لا تصيب سوى ٣٧ ٪ من الذين يرضعون الثدي . .

لذا تنظم دعوات بين الفينة والفينة للبحث على الرضاعة الطبيعية في بلاد الغرب .

كما يعتقد كثير من الأطباء أن الرضاعة لا تمنح الأطفال الصحة وحسب ، بل تزيدهم أيضاً قدرة على الصبر وسكينة النفس وتمنحهم مقاومة أشد للأمراض المعدية . . وليس مرجع هذا كله إلى السوراة وحدها ، بل هي مناعة يكتسبها الطفل أيضاً في أيام نشأته من طعامه ، ومن الرعاية التي يحاط بها .

الثالث - أن مص اللبن من حلمة المطاط لا يضارع الرضاعة من الثدي ، وليس له ما لها من الأثر في تكوين الوجه والحلق . فالرضاعة من الزجاجات هي بعض الأسباب فيما يصاب به أطفال كثيرون من بروز الفك الأعلى وانحشاف الذقن وتشويه الأنف وسقوط سقف الحنك ، وهذه الأضرار التي تحيق بتركيب الطفل تدخل الفساد على بنات أسنانه ، وتهدد لالتهاب اللوزتين والبلعوم ، والأذنان وجيوب الجمجمة ، وأغلب الرأي أن الرضاعة الطبيعية تقلل قدرأ كبيراً مما ينفق على الطفل إذا كبر من أجور أطباء الأسنان والمتخصصين في الأنف والحنجرة .

آثار الرضاعة في الأم

إن الإرضاع والرضاعة من الوظائف الطبيعية ، إذا هي أدت على الوجه الأكمل تكون آثارها خيراً . ونحن نعلم الآن أن الرضاعة توجد حناناً وعطفاً ورحمة من الأم على ولدها ، وتوثق أواصر الناحية الروحية العاطفية بينها . . والثدي لا يناله ضرر من نشاطه في الرضاعة ، فإذا فطم الطفل أخذت غدة الثدي تضمر حتى تعود إلى شكلها السوي الأول ، ولكن ينبغي أن ينال الثدي ما يجدر به من العناية قبل الرضاع وفي زمن الرضاع ، وبخاصة ما ينبغي من رفعه وشده برفق حتى لا يسترخي ، فإن الذي يصيبه من التبدل ينشأ من قلة العناية وسوء



فيفضي إلى غمر الفكين والأنف والحنك غمواً كاملاً ويزيد الوجه جمالاً والصوت قوة .

أما رضاع الزجاجات فما أشبه بمص سائل من أنبوب ، يمص الرضيع اللبن منها مصاً سريعاً سهلاً .

يفرز الثدي في نهاية الحمل سائلاً أصفرأ يسمى اللبأ ، وهو يحتوي على أجسام المناعة التي تقي الطفل من العدوى وتمنحه مناعة كبيرة تجاه غوائل الأمراض . . وفي اليوم الثاني بعد ميلاده تبدأ الرضاعة التي تقتضي مص الثدي وتفرغه تفرغاً كاملاً . . ومن معجزات المولى عز وجل أن مقدار اللبن الذي يفرزه الثدي يزداد تبعاً لازدياد حاجة الطفل إلى اللبن ، ويتراوح بين بضعة أوقيات في الأيام الأولى وحوالي لترين ، أو لترين وربع بعد ثمانية أشهر .

وتركيب اللبن يجاري أيضاً حاجات أنسجة الطفل الأخذة في النمو ، ويحتوي لبن الأم مواد بروتينية «زلالية» تشبه في تركيبها البروتينات التي تكون جسم الطفل . وهذه المواد البروتينية في اللبن لا تؤدي قط إلى حالات الأليوجيا (الحساسية) ^(٢) التي ربما أحدثها لبن البقر لاختلاف تركيب مواده البروتينية عن تركيب المواد البروتينية في جسم الطفل كما هو مبين في الجدول .

ومقدار البروتينات والفوسفور والكالسيوم الموجود في لبن الأم ، هو على التحقيق أدق ملاءمة لحاجات الطفل من أي تلفيق صناعي يمكن . وكلما كبر الطفل قل معدل نموه ، فعندئذ يقل مقدار المواد البروتينية والأملاح في لبن الأم . . والثدي يوفق توفيقاً دقيقاً بين خواص اللبن ومقداره وبين حاجات الرضيع الدائمة التغير . وهو كسائر الأعضاء الحية يؤدي عمله المعقد بإحكام عجيب .

ولا يوجد مثل هذا التوافق بين حاجات الرضيع الكمية وتركيب لبن البقر أو الماعز ، فلبن البقر يحتوي مقداراً كبيراً جداً من المواد البروتينية والأملاح المعدنية ويعوزه الحديد ، وهو أعسر هضماً من لبن الأم ، وفيه عدد ضخم من الجراثيم لتعرضه للتلوث ، فلذلك ينبغي تعقيمه ، وهذا

الغذاء ولا علاقة له البتة بالرضاعة ، ولو تعلمت المرأة من طبيب حكيم كيف تكون الرضاعة ، لصانت ثديها حتى وإن أرضعت عدداً كبيراً من الأطفال .

ومن اليسير توقي التهاب الحلمة وتشققها ، وخراجات الثدي بالرعاية الطبية . . ولم يبق دليل قط على أن الإرضاع يورث سرطان الثدي بل على النقيض من ذلك ، فإن أصابع الاتهام تشير إلى عدم الإرضاع على أنه من جملة العوامل المهيئة للإصابة بالمرض .

وإذا أصابت الأمهات ما ينبغي لهن من الطعام والراحة والرياضة كان لإرضاعهن أطفالهن أثر يَبْنُ في تحسن صحتهم . . فبعد أن يولد الطفل يحدث رضاعه من ثدي أمه انقباضاً في الرحم يمنع حدوث النزف ويعين الرحم على أن يعود إلى طبيعته ، ومتى انقطع الطمث أتاحت حركة الثدي للمبايض فترة تنال فيها قسطها من الراحة . . ومن أهم الأمور أن تنال الأم في أثناء الرضاع طعاماً كافياً كاملاً . . وخير للعلماء أن يبذلوا من الجهد في البحث عن غذاء كامل للمرضعات أكثر مما يبذلون لتطوير شتى الوصفات لعمل اللبن الصناعي .

وجدير بالأم وهي ترضع طفلها أن تعرف ما وسعها ، كيف تحافظ على صحتها ، وأن تدرك أضرار التدخين والقهوة التي تسري في الدم وينتقل أثرها إلى الرضيع ، وعليها أن تتجنب كثيراً العادات المستهجنة ، وأن تتحاشى هياج الأعصاب وحدة الغضب .

والرضاعة الطبيعية كما نعرف ، مهمة شاقة تربية ، إذ تظل الأم بضعة أشهر مطيعة لابنها الذي يجب أن يرضع كل ثلاث ساعات أو أربع ، ويكون عليها في الوقت نفسه أن تقوم بعملها في المنزل ، فهي إذن في حاجة إلى نظام دقيق تأخذ به نفسها ، فلا يتسع لها أن تنال نصيبها من المتع كالنزهة ومعايشة الناس والرحلات . بيد أن العوض الذي تعتاضه غنيمة لا تقدر فهي تتعلم الإيثار والحب ، وهي تغتبط حين تفيض على رضيعها ما يزيد به صحة وقوة وجمالاً . . وهذا الشعور هو قوام سعادة المرء في الحياة ، فإن أكثر ما يجلب الحزن على الآباء هو ما يلحق ذريتهم من آفات تصيب العقل أو البدن .

ترى لم كتب على كثير من الأطفال أن يرضعوا من زجاجة لا من ثدي ؟

هل يوجد البديل

صحيح أن تغذية الرضيع أيسر على الأم من إرضاعه ، وأجدى على الطبيب ، وقد تحسنت أساليبها إلى حد كبير ، وأضحت عواقبها طيبة في أغلب الأحوال ، وهي خليفة أن تنفع إذا كانت الأم ذكية ، أو إذا أمكن استخدام ممرضة مدربة . . إلا أن ثقات الطب يجمعون على تزكية الرضاعة الطبيعية ، ويؤمنون أن البديل الكامل عن لبن الأم لم يوجد قط ، وأن جميع الأمهات على التقريب قادرات على إرضاع صغارهن .

إن الأسباب التي صرفت الأمهات عن الرضاعة الطبيعية هي أسباب فيزيولوجية وخلقية معاً . فالأم في هذا العصر لا تستفيد من تعليمها

وعاداتها ما يهيئها للأمومة ومقتضياتها ، ولا تعرف قيمة الوظائف التي يؤديها الثدي ، والحبل متروك لها على الغارب في اختيار ما يحلو لها من أسوأ عادات الطعام ، فهي لا تأكل زمن الحمل والرضاع ما ينبغي لها من غذاء يدر اللبن ، ولا تعنى عناية علمية بثديها وحلمتيها اللتين يجب أن تدلكا ذلكاً رقيقاً بين الحين والآخر وهي لا تدرك أن الرضاعة كالحمل وظيفة عضوية لا غنى عنها .

ويرى كثير من الأمهات أن عملهن ومستقبلهن وشؤونهن الاجتماعية أهم من رعاية أطفالهن . . وبعد أن كانت الأمهات تلقن بناتهن ما ينبغي أن يعلمن من شؤون رعاية الطفل ، فقد قل ذلك حتى كاد ينقرض في جماعات كثيرة من الناس ، وغدت الأمهات في هذا العصر تجهلن وظائف التربية وأساليب تغذية الرضيع فما أسرع ما يصغين إلى ما تشير به القابلة أو الصديقات أو الزوج بفرط الرضيع . . وكان أخرى يهن أن يتفكرن فيما للرضاعة الطبيعية من عظيم الشأن . فضلاً عن ذلك فإن قواعد الصحة في هذا العصر قد ألفت عبثاً ثقيلاً على كواهل الأمهات ، إذ أصبحت تنشئة الطفل تنشئة كاملة تتطلب أدق العناية . . ولقد غدت حاجة العالم اليوم إلى شباب أقوياء العقول والأبدان أمس عما كانت عليه في أي عهد مضى في تاريخ الحضارة .

إن الأم وهي ترضع وليدها إنما تؤدي واجبها الذي تحتّمه عليها مسؤوليتها تجاه أطفالها وترتيبهم تربية سليمة تمكنها من أداء واجبها المقدس النبيل .

جدول يبين الفروق الرئيسية بين لبن المرأة ولبن البقر

حليب المرأة ١٠٠٠ سم ^٣ (لتر)	حليب البقر ١٠٠٠ سم ^٣ (لتر)	
١٢ غ	٣٣ غ	بروتين
٧٠ غ	٤٨ غ	سكر اللبن (لاكتوز)
٣٧ غ	٣٧ غ	دسم
٤٨ %	٥٨ %	أ - مشبعة
٥٢ %	٤٢ %	أ - غير مشبعة
١٥٠ ملغ	٥٨٠ ملغ	صوديوم
١٥٠ ملغ	١٠٠٠ ملغ	فوسفور

الهوامش

(١) عن محاضرة للدكتور « الكيس كارليل » مؤلف كتاب « الإنسان ذلك المجهول » .

(٢) إلا في حالات هي من الندرة بحيث يصعب إعطاء نسبة دقيقة عنها .

بقلم : غالب حمزة أبو الفرج



أتشكين كثيراً في حديث المرأة إلى المرأة عندما يختلط هذا الحديث بدمائها فترفضه ويقلبها فتلفظه ، أم أن أموراً كهذه لا بد وتكون فليس كل كلام يمكن أن تقبله المرأة من المرأة ، قالتها رشا وعيونها مصوبة إلى وجه صديقتها التي تود .

— لا أدري يا أختاه عما تتحدثين ، قالتها سهى في روية وكأنها تريد أن تسير غور رشا بهدوء صوتها التي حاولت أن تجعله بارداً كالصقيع هادئاً كاعناق بئر ، لكن رشا لم تقتنع بل تابعت قولها :

— أنت تعرقين ما أعني ثم تتجاهلين ، لقد مررت بالتجربة واستطعت أن تقفزي على أحزاتها ببرودة أعصابك وتجلدك ، فكنت كمهدي بك قوية قادرة وأسرة معاً ، لدرجة جعلتني يعود صاعراً إليك وفي قلبه جرح يتزف وفي نفسه ألم صارخ ، استطعت أن تضمديه بعينيكي في هدوء وروية .. ثم بعد كل هذا تقولين عما أسألك عنه بأنك لا تدريين .

انظري إلى امتقاع وجهك ورعشة أطرافك وسهاد عينيكي ترين المشكلة أكثر وضوحاً مما تظنين لا لأنه أرادها هي ، وإنما لأنه استطاع أن يخفي رغبته هذه عنك أكثر من عشرين سنة .

وصمتت ثم قالت سهى :

● قد أكون عشت معه خلاها كامراً تافهة ، لا تدري من أمر زوجها شيئاً .. لم أكن أظن أنها قادرة على اقتلاع جذوره من بيته هي التي تزوجت وتركته رغم معرفتها بأنه يحبها ، وعندما أقدم على خطبتي رفضت ، لكنك أنت التي جعلتني أقبل فانا أعرف ماضيه .. أذكر حبه ولا أنسى ، فنحن كما تعرفين جيران نعيش في زقاق واحد ، وعندما تزوجته ظننت أنه شفي مما ألم به ، حتى إذا توفي زوجها يتبعها كظللها .. يرم جسور حياتها للصلة العائلية التي تربطها بها ، وقد جاء يومها يستأذني في أن يفعل ، فلم أبجل عليه بل قلت له ذاك شيء واجب عملية ظروف الحياة وتقاليدها . ومنذ ذلك الوقت أحسست بأنه لم يعد ذلك الزوج الذي عرفت .

لقد عاد الحب القديم يسري في عروقه وكانت الفرصة سانحة ليلذل نفسه معها من جديد .

— وهل رضيت أن تتزوجيه بعد انتهاء العدة ..

● لا أدري ، لكن كل من أعرفهم يؤكدن ذلك لي إلا هو
فقد رفض أن يجيب وتركني أتخبط في حيرتي ، أعائش الألم
وأعانقه .. أعنف نفسي على قبوله كزوج طيلة كل هذه
السنوات .

وتصمت ثم تعاود الحديث :

● كثيراً ما كنا نقول بأن الإنسان عندما يكبر يلفظ بعيداً كل ترهات
الماضي وينسى أخطائه ويتجنبها ، لأنه قد وهب حياته للحاضر الذي
يعيش والمستقبل الذي يأمل .

وتجيب رشا :

— ذاك امر لا يمكن أن يختلف عليه ، لكن لماذا تأكل الظنون قلبك
وانت أعرف بما يقوله الناس ، فكثيراً مما يقال لا طعم له ولا لون ،
وإن كانت هناك رائحة ، ورائحة كل ما سمعته هو أنه يقوم بإجابه
تجاهها وبعد أن استأذنتك ، فلو كنت غيورة وخائفة فلم وافقت ؟

● وافقت لأنني أثق بأنه سيصنع ما يريد ، وأن طلبه كان مجرد
تمثيلية أراد بها أن يغطي موقفاً ما شككت فيه ولم أmeen الشك فيه كثيراً ،
لأن الحقائق لا يمكن أن تغيب ، وها هو الدوي يملاً أذني يطن ، يأكل
كل وقتي في التفكير في حقيقته .

— لكنني أعرف رجاحة عقلك ، فأنت زوجته وأم أطفاله ، لا يمكن
أن يفرض في كل هذا بسهولة ، وإن اندفع ، فإلى فترة يعود بعدها ثائباً ..
هكذا أظن .

● إذن أنت أيضاً تعرفين ولا تمنحيني هذه المعرفة ، وإلا لما قلت
إنك تظنين .. فالظن بداية اليقين على ما أعتقد .

وضحكت رشا من كل قلبها وقالت :

— أوتدريين يا سهى أن هذه اللفظة التي أراها تطل من عينيك أكاد
أشاهدها في عين كل امرأة يبحث زوجها عن الجديد .. وهو أمر
محزن ، أن نكون نحن الحرائر لعبة هذا الرجل ، لدرجة تجعلني
أفكر في طريقة نستطيع أن نحارب أنايته وحبه لذاته ...

وتجيب سهى :

● ولكن الوقت ليس وقت فلسفة ، هناك مشكلة واضحة المعالم
أمام ناظريك ، وتبحثين أنت عن معالجة هذا الموضوع بشكل جذري ، قد
يكون لدراستك التي تلقيتها في الجامعة دخل في هذا التفكير ، لكن ما

ذني أنا صديقتك أن أغلف عواطفي وأكم آلامي وأبقى حبسة هذا
البيت ، هو لا يقول والناس يقولون الكثير .

وتجيب رشا :

— هناك أكثر من طريقة لو فكرت فيها لوجدت الطريق لمعرفة
الحقيقة منه ، فالمرأة بدموعها أقوى على استنطاق الصخر إذا
أرادت .. فهلا استخدمت هذا السلاح .

● أوتظنين أن دموع المرأة سلاح كاف للوصول إلى الحقيقة ..
— هو بنظري أقوى من هذا وأعظم إذا عرفت كيف تستخدمينه ،
فليس هناك أشق على الرجل من بكاء امرأة خصوصاً إذا كانت هذه المرأة
زوجته .

● أنت على حق ، سأحاول أن أعرف كل شيء بنفسني هذه المرة ..
فلقد ضقت ذرعاً بما يقال ، وأصبح من حق أن أنتزع الحقيقة من فمه
انتزاعاً .

— هكذا أريدك امرأة قوية . والان ، هلا سمحت لي بالانصراف فقد
حانت عودتي إلى الكلية ولكن ...

● ولكن ماذا .. يا رشا؟؟

— أيمكن أن أطلب منك شيئاً؟؟

● قولي فأنت تعرفين بأنك تأخذين مني كل ما ترغبين ، فأنت
صديقة عمري .

وتضحك رشا ، وتقول :

— احضري الليلة محاضرتي التي سأقدمها على مسرح الكلية ، بدلا
من هذا الضياع الذي تعيشين فيه .

● سأفعل يا رشا .

وتتعاقد الصديقتان ، وتضفي رشا في طريقها إلى البيت بينا تبقى سهى
مع أحزانها التي أخذت تفكر فيها بأسلوب جديد . فلقد منحتها صديقتها
مشاعر الشجاعة للوصول إلى ما تصبو وترغب .

أليست المعرفة هي أول درجات النجاح ، وإذا تحقق كل ما خافت
منه ترى ماذا سيكون الموقف؟؟

وتتخبط سهى في تفكير عميق جعلها تنسى نفسها وهي في موقفها
ذلك حتى إذا ما جاء زوجها قالت ببساطة :

● أراك قد تأخرت؟؟

وأجاب كالعادة :

— فأنا مشغول هذه الأيام وتعرفين ذلك جيداً ..

● مشغول بماذا؟؟

— بالضيوف الذين وفدوا إلى الشركة ، أنسيت أننا مقدمون على

عمل كبير يحتاج إلى التركيز والفهم والمعاناة أيضاً .

● وما معنى هذا الكلام؟؟

— معناه أنني لن أكون معكم على العشاء أيضاً .

● لا بأس ، قالتها في هدوء ، وأردفت ، وأنا سأذهب لحضور محاضرة صديقتي رشا في الكلية . .

— لا بأس فهذه أسلم طريقة تستطيعين بها أن تمسكي نفسك من الثثرة مع من يسوى ولا يسوى ، فكثيراً ما قتل الفراغ حياة الكثير من الناس . وصمت .

ويمضي إلى غرفة نومه لتظل هي بعيدة عن الغرفة ، تنصرف إلى للممة أفكارها في دهشة واستغراب فهذه هي المرة الأولى التي يسمح لها فيها زوجها بالذهاب لحضور محاضرة فقد كان يكره دائماً غياب المرأة عن بيتها لأي سبب .

ويجيء ولداها ، فيقبل عليها بلهفة حتى إذا ما انتهيا من أداء واجبيها سألت المريبة أن تلاحظها كالعادة ، ومضت إلى خزانة ملابسها تختار واحداً من فساتينها ، حتى إذا ما انتهت من انتقاء ما تريد أسلمت وجهها للمرأة لترى كم تغير هذا الوجه ، لقد أحاطت بالعينين هالتيان سوداوان أصابتها بالفرح بادئ ذي بدء ، لكنها عندما عرفت سبب تواجدهما ، هدأت نفسها واستكانت .

وفي الجامعة ، التقت سهى بالعديد من صديقاتها اللواتي فسوجئن بتواجدها ، أما رشا فقد كانت سعيدة بوجودها ، لدرجة جعلتها تحتفي بمقدمها في مقدمة محاضرتها التي أعددتها عن المرأة بين الشك والغيرة ، واستمعت سهى إلى المحاضرة في نصف ابتسامة . فلقد استطاعت رشا أن تصور مظاهر الشك ، والغيرة في صور متداخلة أظهرت حقيقتها كعنصرين يهدمان حياة المرأة المصرية في المجتمع النامي ، كما قدمت المحاضرة إحصائيات كثيرة عما يجري خارج البلاد ، في عرض شيق شد الكثيرات إليه ، حتى إذا ما انتهت رشا من محاضرتها أخذت صديقتها معها إلى مكتبها لتعطيها بعض الكتب قائلة :

— ربما تكون المسافة بينك وبين القراءة قد بعدت طوال كل هذه السنوات ، لكنني أجد نفسي حريصة على أن أعيدك إليها وأنت في هذه الحقبة .

وضحكت ، ثم تابعت قولها :

— لا أستطيع أن أمنع نفسي من التفكير في حياتنا معاً ونحن غمضي إلى المدرسة الابتدائية فالثانوية سوياً ثم نفترق ، لكن فراقنا لم يكن دائماً ، فلقد تزوجت أنت ومضيت أنا أستكمل دراسي ثم أتزوج ونعاود رحلة الصداقة بعد ذلك في هدوء ، ولهذا تجدني أشاركك الحقبة ولكن في

خوف لا عليه منك ولا منك عليه ، وإنما من أفكارك على نفسك ، انظري إلى وجهك في المرأة تجدينه قد تغير كثيراً بعد تلك الساعات التي أمضيتها معك والسبب يعود إلى أنك قد استطعت أن تلغي أفكارك السود وتبعدها ولولفترة عن قلبك ، وهذا هو ما أريده ، إننا نحن الحرائر أقدر على صنع مستقبلنا بيدنا إذا أجدنا صنع عجيبة أزواجنا ، قد تقولين بأن الوقت قد فات بالنسبة لزوجك وأنا أخالفك في هذا الرأي .

انظري إلى دخائل نفسك تجددين أن هناك أموراً تافهة تراكمت ، صداها في عقلك وعقله لدرجة جعلتها تغطي على أحاسيس الجمال في حياتكما ولا أظن أنني كاذبة عندما أقول بأنك قد استمرت حياة الزوجية ، فلم يعد لديك ما تمنحينه له هو الذي يعرف معنى ما تمنحه المرأة .

إن الرجال عبارة عن أطفال كبار إذا لم نمنحهم ثقتنا وحبنا ومع هذه الثقة ما يرغبون فيه ويريدونه مجدهم باحثين منقيين عن أشياء جديدة وهنا ممكن الخطر .

قد تظن كل امرأة أنها عندما تنجب قد استطاعت أن تشد قدمي زوجها إلى جانبها وتنسى بأن هذا المولود الذي جاء إذا لم تكن الزوجة قادرة على فهم معاني الزوجية قد يكون ويصبح أسلوب شقاء ومضايقة بينها وبين زوجها .

كثيرون هم الأنانيون بين الأزواج لكن أنانيتهم تخفي وراء كلمة حب وحنان صادقتين تمنحهما الزوجة في لحظة فراغ ولكن قد تكون مشاغل الزوجة أقسى من أن تمنحها فرصة هذا الفهم فتتس في غمرة مشاغلها أن الرجل مهما كبر هو مجرد طفل وطفل كبير ، ليس كما يقال لعبته المرأة وإنما لعبة المرأة الرجل .

انظري إلى المرأة أية امرأة قد تكون قادرة على كم عواطفها مدة أطول من الرجل لا لأنها جبلت من طينة مغايرة وإنما لأن الإرادة الإلهية منحها القدرة على تحمل أعباء الحمل والولادة وتربية الأطفال ، وهي أعمال في حقيقتها ليست سهلة ، فقد ينفر الرجل من بكاء طفله الصغير في الليل ، لأن هذا البكاء يزعجه ، أما المرأة فتقوم عن طيب خاطر لتهدده وليدها في نعومة ، وهذا في رأيي منتهى قوة المرأة وقدرتها على الصبر والتحمل .

وتعود سهى إلى البيت وقد ضحكت رشا في شرايينها دماء الصبر في سعادة من يعرف طريقه في هذه الحياة . فالأنثى ، أي أنثى ، ليست أسيرة أهواء الرجل مهما كان حبها لهذا الرجل لأن لها كرامتها التي يجب أن تحافظ عليها بأسلوبها الذي تجيد .

وتمضي سهى في طريقها الذي رسمت بعد أن ألقت جانباً تساؤلاتها تلك التي كانت تطل من بين عينيها ، عندما ترى زوجها وهو يعود إلى بيته منهوك القوى لكنها مع كل هذا لم تفرط قليلاً في أي حق من حقوقه عليها كزوج ، فهي تعرف حاجته إلى الراحة ونفهم متطلبات معدته ، فتعطي كل ذلك له في صمت دؤوب خالة زوجها دهرأ هو الذي تعود على أحاديثها وثرثرتها ، ولقد تجاهل ذلك في بداية الأمر لكنه لم يعد يطيقه في نهايته فسألها دون أن تحجب وإنما مضت تلوب أرجاء الغرفة تمنح عملها جل وقتها في سعادة من يشعر بأنه قد عرف أسلوب التعامل مع الآخرين ، فلقد لاحظت أن اهتمامه بها وباليبيت قد أخذت تتجدد لكنها مع كل ذلك لم تعر ما يصنع أي اهتمام وإنما مضت في سياستها تلك راضية قانعة حتى إذا ما جاء صوت صديقها رشا عبر التلفون متسائلاً أجابت ضاحكة :

● لقد وجدت طريقاً أخيراً فأنا أُلح بأنني قد استطعت أن أنقل الكرة من شياكي لشياكيه .
وأجابتها رشا :

— الحمد لله ، هذا هو الذي قصدت ولقد استطاعت حكمتك أن تزيل الأشواك ، لكنني وأنا هنا أيضاً صادقة لا تزيد كثيراً فيما صنعت حتى إذا ما عاد إلى فتح الحديث معك هذه المرة تقبلي ذلك برحابة صدر ، دعيه يحكي كل شيء دون أن تعطيه رأيك ، فهذه هي الطريقة المثلى التي يمكن لنا نحن الحرائر أن نعرف ما يصنع أزواجنا بعيداً عنا . وأقفلت السجاعة .

أما هي فقد فهمت كل شيء ووعته ، وآن لها أن تستريح ، فالمعرفة في نظرها وسيلة راحة مهما كانت نوع المعلومة التي ستصل إلى عقلها هذه المرة .

ستقبل الأمر الواقع بشيء من الإدراك لكن هذا القبول لا يعني الموافقة فهناك أكثر من طريق يستطيع خلالها الإنسان أن ينضو الأشواك عن قدميه وهي جادة هذه المرة يملاً قلبها إحساساً بالقدر الواعي المتمكنة .

ويعود زوجها هذه المرة وعلى شفه شبه ابتسامة وادعة ، ليلقي عليها التحية في هدوء حتى إذا ما ردت عليه قال :

— أولاً تسأليني سبب هذه البسمة التي تربها على وجهي . .
وأجابت :

● ومنذ متى كان لي الحق أن أسألك؟؟

وربت على كتفها في حنان وقال :

— سهى ، لا أدري كيف أبداً حديثي معك .

وصمت ، فقالت :

● لا عليك فأنا لم أعد راغبة في سماع شيء .

وأجابت زوجها :

— لكن الأمر في هذه المرة في غاية من الخطورة أوتدريين ما تريد الأخرى؟؟

وأجابت في شيء من السخرية :

● لكنني أعرف ما لا تريد وهذا يكفيني . وصمتت .

ولكن زوجها لم يسكت بل قال :

— لقد طلبت مني بعد أن أنهت عدتها أن تقترن بي ، ولقد حاولت أن تزني لي هذا الزواج وتعدد مزاياه . ثم صمت .

● ولماذا لم تحبها إلى رغبتها؟؟

— وأنت والأولاد وحياتنا التي نعيش هل أدعها طعماً للغيرة ، ثم بعد كل هذا وذاك هناك أشياء أخرى لا أريد أن أثقل عليك بسماحها إذا كنت لا تودين سماع ذلك .

وأطرق برأسه إلى الأرض قليلاً فترة من الوقت ، فقالت :

● لا بأس أفرغ كل ما في جعبتك فأنا أنتظر كل كلماتك هذه منذ زمن .

ثم نظرت إليه نظرة أسي وحسرة فقال :

— لا عليك فأنا أعرف أنك على حق في كل ما تقولين وحتى في نظرتك إليّ ، لكنني أنا الآخر محق فواجبي الأسري تجاهها يلي علي الموقف الذي وقفت ، أما الآن فكل شيء تغير ، بعد أن سمعت منها ما سمعت . .

لقد أجبته بكلمة واحدة بأنني سعيد بزواجي وبتي وأبنائي ولا أريد أن أهدم كل هذه السعادة بأحلام يقظة تعيشها أنني مات زوجها فأرادت أن تستبدل وحدتها ، بأسلوب يمنحها الحياة بينما يمنح الآخرين القسوة ، ولهذا قلت لها أنت حرة في أن تتزوجي من تريدين ، أما أنا وإن كنت قد فكرت في يوم من الأيام قبل أن تتزوجي في الاقتران بك فلأنك كنت تمثلين في نظري شيئاً تساقطت ذكرياته مع الأيام ولم يبق منها حتى الهلام ، ومضيت إلى الخارج ، وصورتك يا سهى تملاً الطريق أمامي ، أتدريين بأنني كنت حريصاً على أن آتي إلى هنا لأقول لك كل شيء ، فأنا بدونك ودون هذا البيت لا أحس بأي معنى من معاني السعادة .

وصمت ، لكنها أثرت هي الأخرى أن تشاركه صمته ومدت يدها إلى يده وأخذت تضغط عليها في حنان ونظراتها كلها مصوبة إلى الوجه الذي أحبت ، وجه زوجها الذي عرف كيف يسترد قلبها مرة ثانية ، بعد فترات من الشكوك قاتلة ومضنية .



عروسك وحرامية

كتني :

— ها .. أريد (دزينة) من الأولاد .. (دزينة) .
لم أكن أعرف آنذاك أن انفرادي بحليمة تحت سقف واحد سيثمر
جيشاً من الأولاد كما يشتهي أبي . عنفي لما أبكرت بالذهاب إلى الحقل .
أقسم على أن أترك المحراث .
— كيف تترك عروسك في يومها الأول ؟ . ألا تخجل من
نفسك ؟ !

عدت إلى «حليمة» ، لكنني لم أستطع نسيان وجهه الطافح بالعرق .
مسكين .. لم ينس أبداً أنه لم ينجب غيري من الذكور . كان أساه يبلغ
ذروته حين يسرح ببصره في الأرض المترامية .. يتهد بجرقه .
— لو كان لي ولدان غيرك أو ثلاثة ، لارتحت من هذا
التعب .

ثم لا يلبث أن تفرش وجهه السعادة حين يرى الأرض تفتق عن
سيقان القمح ، أو وهو يعي الأكياس من البيدر بقح أصفر .. يفتل
شاربيه ويرت على كتفي بزهو :

— انظر يا ولد إلى نهاية التعب .. انظر إلى هذه
الأرض .. هل ترى أجمل منها ؟

ثم يرسل ببصقة إلى الخواجا «داود» حيثما كان ، ويعلم كل من
يفكر بالسقوط تحت إغراء المال ، فيبيع ولو جزء يسير من أرضه ليسكت

إنني أعرف ذلك البيت .. أعرفه حق المعرفة .. فيه أطلقت أول
صرخة بين يدي القابلة الضريرة «نزهة» .. فيه تعلمت الكلام صوتاً
صوتاً .. فيه حبوت ومشيت وتعثرت وسقطت .. فيه احتضنت أقواسه
الشائخة يقوم عليها سقف مقبب منتفخ .. فيه حلمت أمني أن يولد ابني
البكر «عايد» على يديها بعدما تحرم الموت القابلة الضريرة تلك . كانت
لا تفتأ ترقب بطن «حليمة» وهو يتكور .. تتحسسه برفق وحنان ..
تضغط على نواجذها الهشة .

— اكبر يا مصطفى ، اكبر يا ولد ، اكبر أيها الشقي .

وتقدم لي كوباً من الحليب الساخن يطفو عليه الزبد .

— سنسميه مصطفى .. هل تسمع ؟ .. مصطفى .

أشرب الحليب حتى آخر قطرة .. أسح الرغبة عن شاربي الذي
ما زال كزغب القطا .. أنجشاً .

● وما أدراك أنه ولد ذكر ؟

تمرر يدها على بطن «حليمة» .. تقرب أذنها منه .. تحديق إليّ
متحدية .

— ذكر ، وسنسميه مصطفى .

أبي أيضاً كان يناديني «أبو مصطفى» .. يرم شاربيه سروراً من
أن ابنه الوحيد كبر وتزوج وهناك في الطريق حفيد سيحمل اسمه . ربما
لهذا زوجني قبل أن يغلف شاربي . أوصاني في الليلة الأولى وهو يشد على

إلحاح الطمع .. يسترخي تحت شجرة لوز أو زيتون ظليلة .

— تعال يا ولد استحم بهذا الظل .

كان لا يخطئ في التعبير عن مشاعره . لذة الجلوس تحت الشجرة كما لمست أفضل بكثير من الاستحمام في البئر الغريبة ذات الدرجات الخمس . الجلوس هناك يمتص التعب ويزرع الرأس بألف حلم جميل : الزرع والخصب والبيادر العامرة والزيت السائل ذهباً أصفر ، ثم الزواج من « حليلة » ، وإلحاح (دزينة) من الأولاد أنثرهم في الأرض ، بعضهم يقتلع العشب ، والبعض يشذب الأشجار وبعضهم يتربص بالعصافير ، وآخر النهار تنوجه الأسرة بكاملها وجلالها إلى البيت ذي الأقواس الشائخة والقبعة المنتفخة .

إنني أعرف هذا البيت .. أعرفه حق المعرفة . لقد تراصت البيوت من حوله وارتفعت سائمة مشرعة الثوافة ، ولكنه البيت . ها هي ذي أقواسه الشائخة تنوء بحمل قبته المنتفخة . لم ينسني فراق عشرين عاماً هذا البيت . لقد أطلقت فيه أول صرخة .. فيه تعلمت الكلام صوتاً ، صوتاً .. فيه حبوت ومشيت وتعثرت وسقطت .. فيه كان من المقدر أن يولد ابني البكر ، وكل أولادي ، لو لم يمزقنا سيف أيار القاطع . قال لي أبي في تلك الليلة الحالكة والناس يخطفون المتاع ويهربون أفواجاً بعكس البحر .

— اذهب يا بني بزواجك .. اذهب .. لقد غدا البقاء هنا مستحيل .

ضمت أمي « حليلة » وقبلتها على وجنتيها والتمت بطنها . حين نظرت إلي كانت عيناها تسبحان بالدموع .

— انج باينك يا بني .. إنهم يبقرون بطون النساء .. اليهود يبقرون بطون النساء .

رفضت في البداية أن أنرك البيت . تفرق الدمع في عيني والدي . هجم عليّ يلثمني ثم دفعني بغلظة .

— قلت لك اذهب .

تمدد على المسطبة قائلاً بحزم :

— أما أنا فلن أغادر البيت مهما كان الثمن .

تربعت أمي بجانبه . نظرت إلى بطن « حليلة » بيأس . أطبقت يد وحشية عليه . مزقته . انزلق منه « مصطفى » بغير صراخ . لطمت وجهي . دفعت « حليلة » فتدحرجت أمامي كرة مهترئة من المطاط . انضممنا إلى من كانوا يمشون هرولة . ينعاهم رصاص وصراخ صبية يجلداهم سلطان النوم .

كانت الأرض ليلتها تنن تحت أقدام عمياء ، والسماء كدرة متجهمة تفرش الطرقات والحقول بالفحم . لا أدري كم مشيت به « حليلة » ، ليلة ، ليلتين ، عشراً . المهم أننا انتهينا إلى خيمة بقرنين عظيمين .. المهم أن أمي لم تعد تتحسس بطن « حليلة » وتقدم لي كوباً من الحليب الساخن يطفو عليه الزيد . ما عاد أبي يدعوني « أبو مصطفى » وهو يركض خلف المحراث ، أو وهو يستلقي تحت زيتونة يستحم بظلها الظليل .

تعلمت بالتدريج كيف انضم إلى الرجال في الخيم ، نلعب (السيجة) و(الضامي) ونحلم بالعودة على أجنحة الطير فيما الأولاد مبعثرين على التراث الأعزل يعفرون به رؤوسهم . يعجنونه تصنع منه الصغيرات عرائس ، والصغار كرات صغيرة يلعبون بها حين تحف عوضاً عن كرات الزجاج . وجوههم شاحبة شحوب فراخ جفتها أمهاتها . يثير منظرهم في نفوسنا نحن الكبار الأسى ، بيد أنا نواظب على اللعب والحلم بالعودة على أجنحة الطير .

نسيت « حليلة » ونسيت بطنها إلى أن جاءتني جارة عجوز أضحت قابلة للمرة الأولى .

— مبروك مصطفى .

أغمض الفرح عينيه وانزوى في ركن مهجور . حين طلبت مني « حليلة » أن آتي لها بسمك طازج ابتعته من شباك الصيادين في بحر يافا الجميل . زغردت أمي وقبلتني بفرح .

— مبروك .. سأصبح جدة .

فهقه أبي وهو يستلقي تحت شجرة لوز خضراء .

— آه .. لم تخيب رجائي فيك .

عشت أصابعه طويلاً بشاريه قبل أن يمتص رحيق مشاعره الدافقة بالسرور :

— ستدع لي أمر تربيته .. سأجعل منه كما جعلتك رجلاً وأنت بعد في السادسة .

دست يدي في جيبي . أخرجت ما فيه من قروش ، دفعتها إلى العجوز فتراجعت مذعورة تستعبد من الشيطان . أعتها وصرخت بلا وعي .

— اسمه عايد ... عايد .

قالت « حليلة » وهي تلثم الصغير ثديها :

— انظر .. إنه يشبهك .

لم أنظر . رميتي بنظرة عاتبة .

— لم لم تسمه مصطفى؟ . سيفضب عمي لو علم .
أطرت براسي طويلاً . تساءلت إن كان أبي قد ظل صامداً في وجه
الخوaja داود ولم يبعه الأرض ، أو إن كان هذا قد استولى عليها عنوة
بعد الاحتلال . آه الخوaja داود !

أيقظني أبي . تركت الفراش متبرماً لانقطاع الحلم . كنت أركض
خلف « حليلة » . تعثرت وسقطت فارتعت بجانبها الهث . مددت يدي
إلى صدرها . ضربتني برفق . فتحت عيني على سبابة أبي وهي تداعب
أنفي كي أنهض . أخرجت البغل من الحظيرة .
هناك عند البوابة رأيته يتحدث إلى رجل أشقر ذي أنف أفنى وعينين
زرقاوين بغضبتين . سمعته يرطن بكلام غريب تخالطه عربية مفككة فيما أبي
يهز رأسه استنكاراً . تناول رسن البغل من يدي وقفز على ظهره تاركاً
الرجل يرطن بلكنته الغريبة . ظل طيلة الطريق يلعن ويسب .

— اليهودي الخبيث .. يراودني عن أرضي .. الخبيث .
لم يباس ذلك الرجل الذي عرفت أنه يدعى الخوaja داود . ظل
يتردد على البيت والأرض .. يفترسها بعينه . ينطلق من تل أبيب
يتشمم الأراضي الدسمة . كان أبي يكرمه غاية الكرم ولكن حين يأتي على
ذكر الأرض يكفهر وجهه وبالكاد يكبح جماح نفسه يقول بهدوء ما
استطاع :

— يا خوaja .. لقد تغديت وشريت القهوة .. مع
السلامة .

يمضي وعلى ثغره ابتسامة من يرى أن حلمه سيتحقق ذات يوم .
تكويت على التراب وسط الخيمة أتسمع لأنفاسي وقد غدت
حشرجة . ابتسمت « حليلة » مجاملة .
— اسم عايد جميل أيضاً .
هزئت راسي بلا كلام . خلت أبي سأنفجر فتمزق شظاياي الخيمة
وموت ولدي بالانفجار ...

قالت وهي ترضع الصغير الجائع :
— هل تذكر . كنا دائماً نقول إنه ولد ... انظر ما
أجله ؟

توسدت ذراعي أحصي الثقوب في الخيمة . قلت لها زاجراً .
— الأرض هناك كانت بحاجة للأولاد أما الآن ، أما هنا فلم
ننجهم؟ .. للجوع والمرض .. أم للتراب والعفن؟
انتحر السرور على وجهها . طوت نديها وأجهشت بالبكاء . كانت

دموعها خلاف ما توقعت زيتاً أبيض ناراً تضطرم في صدري منذ زمن . لم
أندم أبي زعقت بها بل تفت إلى الصراخ حتى انفجر .
طيلة عشرين عاماً — إلى ما قبل حزيران — رزقت بأولاد ذكور
وبنات دون أن يتغير الحال . لقد استعصت بالخيمة ذات القرنين حجرة
من طين أسمر ولكن لم يتغير الحال . حتى الأمل بالعودة اضمحل . طردته
الرغبة في موت عاجل ينهي حياة تافهة .

ها هو البيت بأقواس شاخة وقبة منتفخة لم تضع حملها بعد . ها هو
الباب الضخم أكاد أرى بصماتي عليه . لم أنس رغم أن الشمس خلال
عشرين عاماً فقدت استدارتها ، ورغم أن القمر عاد إلى مدرسة ليلية يتعلم
كيف يعود كما كان بديراً . لم أنس .

امتدت يدي مرتعشة تقرق الباب . امتد أمامي عمر كامل من الغربة
والوحدة واليأس انفتح بصير ناعم صلصلت له أجراس صدري .
أطل وجهه سحبت من قاع الذاكرة . إنه الخوaja داود . رغم هذه البزة
العسكرية وهذه النجوم والنياشين .. إنه الخوaja داود . لم يتغير . بل ربما
غدا أصغر سناً . لم يظهر عليه أنه يعرفني ، أو رأي مجرد رؤية من قبل .
لم أدعش . في الخم أرى الوجوه تشيخ باطراد . تتغير في الصباح والظهر
والمساء .. لكل فرد هناك وجوه بلا عد أو حصر . أنا أيضاً حين أرى
وجهي أنكره .

أتساءل متى رأيته؟ أين رأيته؟ . « حليلة » أيضاً تغيرت . تغيرت
كثيراً . كل شيء تغير . أجل كل شيء . أما هنا . لا أدري . المهم أن
الخوaja حشر الزمن في فقم وختم عليه بالرصاص . بات فتياً أكثر .
ولكن ما زال في عينيه الخبث القديم .. الحقد القديم .

زوى ما بين حاجبيه . أنكرني تماماً . تحسست الباب . احتضنت
الأقواس . انداحت في صدري موجات حنين مبهم . اقتحمت رأسي
أصوات صبية يطاردون صبياً منهم .. يطلقون عليه الرصاص من بنادق
ومسدسات لامية . يحاول أن يجتمى بالأقواس . تنهال من حوله
الطلقات . يرتجف رعباً . يرفع يديه مستسلماً فيقتادونه إلى الخوaja الذي
كان يضحك .

— لقد قبضنا على هذا « الخرب » :

ربت على ظهورهم ممتناً . نقدهم مبلغاً من المال فانطلقوا يواصلون
« اللعب » تزفهم ضحكة نشوى اخترقت عظمي سكيناً مرهفة النصل .
ركلني عبر البوابة . سرت أغذ الخطى مفكراً أن كيف أنتشل أبناشي
من التراب وأعلمهم هذه اللعبة التي رأيته حول البيت .. بيتنا؟ !

ميتسوبيشي اليكترونيك

اسم يستحق ثقتكم في مجال التبريد

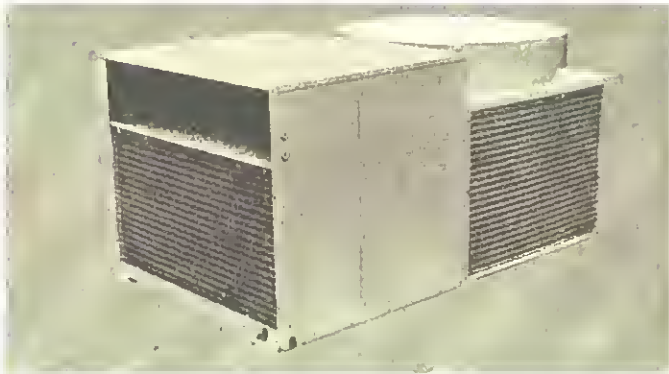


وبجانب وحدات الشبائك المألوفة

نحن نقدم مجموعة من :-

الأجهزة الصامتة ذات القطبين وأجهزة التكيف المركزي

وكلها ممتازة بكفاءة عالية - أسعار منافسة - خدمة تامة وضمان شامل



للمعلومات إتصلوا ب: وكالة ميتسوبيشي اليكترونيك

الشركة السعودية للإلكترونيات

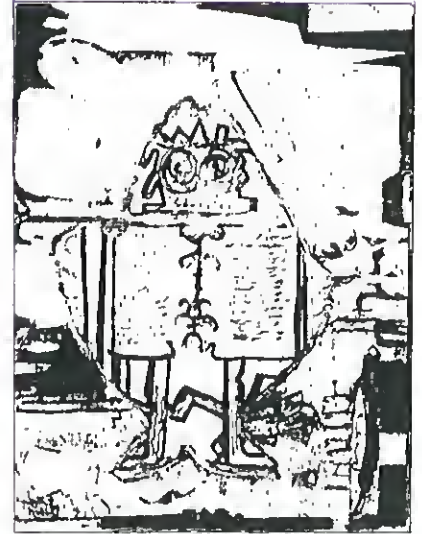
الرياض : ب ٣٩١٩٢ - ص.ب ٦٢١٤ عمارة الرصيص الجنوبية - شارع الملك فيصل

جدة : ب ٢٦٨٥٨ - ص.ب ٦٥٩٢ عمارة البنك الأهلي - طريق مكة - كيلو (١)

الدمام : ب ٢٨٣٤٤ - ص.ب ٢٨٤٠ الشارع ١٥ من الشارع العام - خلف سوق السمك



أذرع الواحات المشمسة بين الحداثة والتقليد



مطالعات...
في الكتب

بمّسلم :

عبد الرحمن شـلش

تشابه الأذرع ، وثمر العطاء في واحات الغماء ، ويتدفق الجهد تحت شمس الواقع والفن ، وتأخذ
القصة القصيرة مكانها في الأدب العربي في المملكة العربية السعودية بعد الشعر ، فن العربية
الأول ، الذي يأتي في الصدارة .

ونحيء الفمار مجموعة قصصية بعنوان (أذرع الواحات المشمسة) الصادرة حديثاً عن نادي
القصة السعودي .

وقبل المضي في تناول القصص التي احتوتها المجموعة ، نتوقف قليلاً لإلقاء نظرة سريعة على فن
القصة عند العرب منذ قديم الزمان .

العشرين بعد ازدهاره في موطنه الأصلي . وهذا رأي بحاجة إلى إعادة نظر لوضع
الأمور في مكانها الطبيعي .

وكان شكل القصة القصيرة في البداية أقرب إلى شكل الحكاية التي تسرد
بضمير المتكلم أو ضمير الغائب ، فجاء السرد سمة غالبة عليها . وظل الشكل
التقليدي (الكلاسيكي) للقصة من مقدمة وعقدة وحل ، منعكساً في أعمال
كثيرين من كتّابنا العرب الذين يشكلون الآن أكثر من جيل قصصي في الحركة
الأدبية العربية المعاصرة .

ولكن هذا الشكل تطور تطوراً فنياً واضحاً بظهور القصة الحديثة التي هجرت
الحكاية والسرد المباشرة والتقريبية ، وانجذبت إلى داخل إنسان عصرنا لتعبر عن
همومه ومعاناته بكل ما فيها من قلق وغموض وتناقض واضطراب . وبدأ الشكل
الفني في هذا الاتجاه مستفيداً من فنون أخرى ، فاستفاد من معاني الشعر وشغافيته ،
ومن حوار المسرح ، ومن السيناريو السينمائي بما فيه من مزج وقطع ونقل خاطف
وتلاش وتداخل بين الصور ، ومن الفنون التشكيلية بخطوطها وألوانها وتنسكيلاتها .

كما استفاد من منجزات علم النفس في التحليل ، فتدفق تيار الوعي الذي برز من
رواده : جيمس جويس ، وفرجينيا وولف ، وغبرها . وسار على الدرب ذاتها
بعض كتّابنا العرب ، وخصوصاً بعض كتّاب الجيل الجديد .

ولو تلمسنا جذور الفن القصصي في الأدب العربي القديم ، لوجدنا النبع الر
والشواهد الكثيرة في قصص القرآن الكريم .

صحيح أن العرب في الجاهلية قد عرفوا لوناً من ألوان الحكاية في بعض
قصص الأساطير الخرافية وقصص أيام العرب التي كانت تمجد بعض البطولات
الفردية ، وتحاول أن تمجد لها مكاناً في فن الملحمة ، غير أنهم لم يعرفوا الشكل
الفني المتكامل المتميز للقصة إلا بعد ظهور الإسلام .

ولو رحلنا مع تاريخ فن القصة لوجدناه يحاول الوقوف على قدميه مستفيداً من
خبرته في القصص الديني ، فبنساً فن المقامة التي تعتبر لوناً من التعبير النثري
في أدبنا العربي ، وإن لم يرق إلى مستوى الأداء الفني الرائع في القصة القرآنية .
وكانت الصفات الإنسانية من مروءة وشجاعة هي أبرز الدواعي لهذا الفن
عند العرب . وما أكثر الكتب العربية التي ضمت عديداً من الألوان القصصية .

وهكذا عرف العرب القصص الديني ، والقصص الإنساني الذي ابتدعه
العرب ، مما يؤكد وجود القصص في تراث العرب قبل وجوده عند غيرهم من الأمم
التي تعد رائدة هذا الفن .

والملاحظ أن كثيراً من باحثينا وتقادنا يجمعون على أن فن القصة القصيرة
بمفهومه الحديث هو فن أوروبي المولد والنشأة ، ثم وفد إلى أمتنا في أوائل القرن

القصة السعودية بين الحداثة والتقليد

تشهد الحركة الأدبية المعاصرة في المملكة العربية السعودية ميلاداً جليلاً جديد واعد من كتاب الفن القصصي، ويتمثل في هذه الأصوات القصصية، وفي سواها، ممن يغمرسون الساحة عزفاً ثرياً. فهو جيل يواصل معظمه ما بدأه جيل رواد القصة وفرسانها أمثال: أحمد السباعي، وحامد دمنهوري، وإبراهيم الناصر. بل تطورت القصة عند البعض مواكبة للاتجاه السائد في عالم القصة الحديثة.

وتضم المجموعة التي بين أيدينا تسعة عشرة قصة قصيرة لسبعة عشر كاتباً وكاتبة من كتاب هذا الفن وكاتباته. وهي فصوص فازت من بين مائة وخمس عشرة قصة اشتركت في مسابقة نظمت للقصة القصيرة. وغالبية الأعمال القصصية لشباب لم يكونوا معروفين من قبل، وبعضها لكتاب ينشرون في الصحف والمجلات المحلية، ومنهم من له مجموعة قصصية مطبوعة.

وتنوع الأعمال القصصية بين شكلين فنيين، هما: الشكل التقليدي، والشكل الحديث في بناء القصة القصيرة. وهذا ما نحاول أن نعرف عليه من خلال رؤيتنا هذه التي لا تضع تقسماً أو تصنيفاً للفصوص، بقدر ما ننظر إليها نظرة تقريبية موضوعية. وسنناول قصص المجموعة، بادئين بالأعمال التي تنتمي إلى الشكل التقليدي، ومتينين بالأعمال التي تنتمي إلى الشكل الحديث.

قصص الشكل التقليدي

تمثل الشكل التقليدي قصص: (المجهول) و(حب بلا لقاء) و(الكاريكاتير القاتل) و(عمود الكهرباء) و(من حكايات جدتي) و(العقوق) و(وكانت البراءة هي الضحية) و(بدون عنوان) و(الزرقاء تحدد نظرها) و(السر الدفين).

ونراها قصصاً ذات بناء تقليدي من خلال اتباع طريقة الشكل المتعارف عليه للقصة عند الأقدمين الذين كانوا يميلون إلى هذا الاتجاه: حكاية وسرداً وأسلوباً. ففي (المجهول) لعبد الحميد علي محمد القطري، فكرة لا بأس بها لقصة، ولكن المعالجة سردية من بداية العمل إلى نهايته، وتغلب عليها الحكاية التي تروى بضمير الغائب. تصور لنا (أميرة) الفتاة التي أوشكت على أن تخرج من الجامعة، لكن خلافاً لحدث بين أبيها وأمها، أدى إلى سفرها بالقطار إلى مكان غير معلوم، فذهبت كمن يمضي إلى حكم أرغم على تنفيذه، وانتهى بها الرحيل إلى المجهول في حادث مروع. وكانت وهي تستقل الفطار تتذكر حياتها: «طافت برأسها مواكب من الصور متنوعة... يراحم بعضها بعضاً - بعضها مشرق باسم وبعضها قائم مكفهر - راحت أميرة الخاترة نستعرض هذه الصور. تحفزت تخيلتها ونشطت حتى بلغت قاعة المحاضرات بالجامعة - فرأت زملاءها وزميلاتها وأساتذها - بل تهذمت تلك الجواجز حول أذنها، فسمعت أصواتهم وهي تصبح بالمناقشة حيناً، وتخفت بالحديث الهامس حيناً آخر»^(١). وبدأت شخصية الفتاة والشخصيات الأخرى مرسومة من الخارج دون أن بغوص الكاتب داخلها، مما جعلها شخصيات مسطحة، غير قادرة على التصرف.

وبدا المجهول وكأنه قدر انسأقت إليه الشخصيات التي لم تستطع أن تغبر شيئاً من واقعها، في حين أن الفتاة كانت تملك ذلك لا سيما وأنها تدرس في الجامعة. وكان الإنسان في هذه الرؤية هو ضحية للمساءة التي لم تعالج بعنق كافٍ.

وتأتي قصة (حب بلا لقاء) لعبد الرؤوف أحمد العبد الواحد العباسي، رؤية تقوم على السرد، ولتقرأ ما جاء في بدايتها: «ازداد الليل وجوماً وأوغل في صمت أشد رهبة من ذي قبل - وعلى الجبال المترامية المنتشرة حول أسوان الجديدة - جثم الليل صامتاً كاللوت، وقد لف الوجود في غلالة رقيقة من الصمت لا تنشف إلا عن أصوات خافتة لهُوم الليل أو حشرات الأرض... طال (بليفا) الإنتظار وأحست بأصابع الملل تتحسس عنقها وقالت بصوت بكاد يكون مسموعاً: لم بات هذا المصري الغبي... ألم يعدني بالحضور ريثما ينتهي من عمله بعد منتصف الليل؟»^(٢).

ويكشف لنا السرد عن سائحة باريصة متحررة من كل شيء، فقدت الزوج والابن، وراحت تطوف العالم بثروة زوجها، وجاءت إلى أسوان كي تنعم بدفء شمسها، فاشتت الشاب الأسير الذي يعمل بالفندق وظلته نزيلاً به، ولكنه كان متزوجاً وله ولد، وعندما علمت بذلك انهارت أحلامها. ولا تقدم المحاولة قصة حب بلا لقاء كما يوحي بذلك عنوانها، بل تقدم سرداً لرغبة امرأة في شاب رسمته بخيالها وأحلامها ورغباتها، ولكنه كان شاباً جاداً، فشتان بين الحب كعاطفة سامية وبين الرغبة كنزوة طائشة، ولهذا جاءت المحاولة ضعيفة، غير متأسكة شكلاً ومضموناً.

ونجى قصة (الكاريكاتير القاتل) لنوال عباس عبد الغني جبار، صورة قصصية ساخرة تضم ثلاث شخصيات مرسومة من الخارج بعناية: الأب المدرس الفاضل الذي علم أجيالاً، والأم الطيبة التي دلت ابنها الوحيد، والابن الذي اعتاد السهر خارج البيت حتى وقت متأخر من الليل، وترك البيت بعد موت أبيه، ولم يعد إلا بعد مرور خمسة أعوام، ولم يكن كما هو عندما ذهب، فقد تغير: «ظهرت عليه معالم شيخوخة مبكرة فقد غزا الشيب رأسه»^(٣). وعندما دخل الابن إلى غرفة أبيه التي لم تفتح منذ وفاته، شغل بالكاتب التي لم يرها من قبل، واقترب من المكتب وراح يعبث بمحتوياته، ووجد صحيفة يومية دفعه حب الاستطلاع لرؤيتها: «وما كاد يفعل حتى صمق. لقد رأى صورة له مع والده في منظر كاريكاتيري ساخر مع جملة صغيرة: انقذوا أبناءكم»^(٤). ولم تحل القصة من السرد ومن المباشرة، وإن كانت تضم حواراً، لكنه قليل.

ونلتقي في قصة (عمود الكهرباء) لعلي المحسن بنموذج قصصي يطرح شكلاً تقليدياً من خلال حكاية يقصها الشحاذ الذي اعتاد الجلوس بمحور أحد أعمدة الإنارة، يبدوها قائلاً: «طرقت الباب طرقة خائناً كعادتي، وانتظرت برهة، فسمعت خطوات تقترب من الداخل»^(٥). ويمضي سارداً لنا متى طرق باب هذا المنزل وكيف فتحت له الخادمة المعجوز التي أغلقت الباب في وجهه ولكن صاحب المنزل أرسلها في طلبه، ودعاها للجلوس إلى جواره وأمر له بطعام وأعطاه بعض المال وطلب منه أن يحضر في ليلي الجمعة حيث يكون موجوداً كي يتناول طعام العشاء معه. وذات يوم حضر ولم يكن صاحب البيت موجوداً، وقرر بعد أن دخل البيت أن يخرج منه بسبب مقابلة الخادمة ونظراتها وشتاتها: «فرحت انهب الخنطى، كي ابتعد عن هذا المنزل الذي أصبحت عودتي إليه شبه محالة، فلقد أحسست أن مهنة التسول - على ما فيها - خبر لي، ألف مرة من كل ذلك»^(٦). وجاء استخدام الحكاية أقرب إلى الشكل التقليدي، وإن لجأ الكاتب إلى ضمير المتكلم كي تكون الحكاية منطقية، مع أن النهاية تمثل موقفاً انهماكياً، فضلاً عن أن الحل الذي وضعه للرؤية الفنية ليس محل فني، بل يدعونا للتساؤل: ترى ماذا يريد الكاتب أن يقول عن هذه الشريحة الاجتماعية؟ وما القيمة الأخلاقية التي يدعو إليها؟ ويمكن القول إن المضمون ضعيف، وكذلك الشكل الفني بوصفها بشكلان وحلة العمل الفني.



وتقدم قصة (من حكايات جدي) لعبد الرحمن مشستاق، حكاية بقصتها الخفيد من خلال صوت جدته القادم من وراء اللوت. يبدوها بقوله: «حككت لي جدي وكنت صغيراً مئات الحكايات الجميلة عن الفرسان ذوي الجيصاد المظلمة والسيوف البراقة المذهبة وحبيباتهم الأميرات الحسنات اللاتي يدفعنهم إلى القتال وسفك الدماء وركوب المخاطر لكسب وذهن ونبل رضا من الذي يظل بعيداً عن كل حكاية». (٧). ثم يجيء صوت الجدة بحكاية طويلة تدور حول امرأة بدوية جميلة ذات مال وجاه، لكنها لم تكن سعيدة في حياتها لأن زوجها تم حسب التقاليد ولم يستطع الرجل الذي اختارته بقلها وعقلها أن يسفر مهرها. والحكاية حافلة بالتفاصيل والأحداث والفواجع، التي يمكن أن تصنع رواية طويلة وليس قصة قصيرة تحتاج إلى تركيز وتكثيف. وتنصف هذه الحكاية بطابع السرد المروي على لسان الخفيد ولسان الجدة، مما يجعلها محاولة تتبع الخطى التي سار عليها كتاب القصة الأوائل.

وفي قصة (العقوق) لفهد بن علي النفيسة، معالجة سردية كذلك، فهي تتناول شقاً وشجاراً حدث بين أب وأم على مرأى من أبنائهم، وعندما تدخل الابن الأكبر لتنجع أباه من ضرب أمه، صاح الأب في ابنه: «أخرج من داري أيها العاق... أخرج من داري... تريد أن تضربني؟ أنت لست ابني... لست ابني... أخرج... أخرج...» (٨). وأصيب الابن بصدمة، وزاح يصرخ: «أنسا لست عاقاً... اذهبوا بعيداً عني... وأظهراه» (٩). وبدأ السرد غالباً على هذا العمل الفصفي، وإن كان قد تخلله بعض الحوار الذي يحتاج إلى عناية أكثر من الكاتب، مع ضرورة التعمق في تقديم الرؤية الفنية التي بدت مسطحة إلى حد ما، إلى جانب تعبيره المباشر عن الواقع الذي عالجها كما هو.

وتصور قصة (وكانت البراءة هي الضحية) لنايف حامد عبد الله همام، مشكلة من مشكلات الحياة في إحدى القرى، عولجت في شكل حكاية تزواج بين السرد والحوار في تحديد أبعادها، ويستخدم الكاتب ضمير المتكلم بين شخصين في التعبير عنها. يقول أولها في عبارة تقريرية: «العناد يعمي... هذه الحقيقة عرفتها بل ولمست معناها الحقيقي من خلال تجربة إنسانية... لم أعشها لكنني عايشتها وخرجت منها بفهم عميق لهذه الحقيقة» (١٠). ويسري الصديق الآخر مقدماً المشكلة: «في قرية صغيرة هادئة... أمنة مطمئنة... كنت أظن مع زوجتي وكان مجاورنا سيد وفور ذو شخصية قوية صارمة... إلى جانب أخلاقه الرفيعة وتمسكه بالفضائل وسير الصحابة والأسلاف الكرام، فقد كان يتمثل بكلامهم وأفعالهم كثيراً وكان متزوجاً بفنأة تنوسطه الحال، لكنها كانت على جانب كبير من العناد، وذات حظ عظيم من القسوة» (١١). فهذه الزوجة تركت بيتها وطفلها حديث الولادة بسبب سوء تفاهم بينها وبين زوجها الذي عاد من عمله ذات مساء فوجد زوجته مع نساء القرية في سمر ومرح وفرح، مما جعله يثور ويطرد النسوة من بيته، ولم تنجح محاولات الصلح بين الزوج وزوجته، وهكذا تحطم كيان الأسرة، وكانت الطفلة البريئة هي الضحية. ونلاحظ في هذه المحاولة كثرة السرد المباشر والتقريرية ووصف الموقف من الخارج، بالإضافة إلى طول الجمل الممل.

وفي قصة (بدون عنوان) لصالح السليمان الخضيري، فكرة عادية، ومعالجة سردية تصف موقف عودة إنسان إلى الأرض التي عاش نوحها قبل سفره إلى الخارج للعمل محاضراً بإحدى الجامعات، ولم يكن موقفه نجاة ابنه الذي يبلغ الخامسة من عمره ويريد أن يعود إلى الوطن الذي نشأ فيه، مقبولا من الناحية الفنية، فقد حاول الأب أن يقتنع طفله بأنه في بلده، لكن الطفل لم يقتنع، وحتى إن حدث ذلك في الواقع، فإن الفن شيء، والواقع شيء آخر، فالفن يعطي رؤية لما ينبغي أن يكون عليه الواقع، وليس الواقع حرفياً. وكان الحوار أضعفاً غير مناسب للشخصية، ومثال ذلك الحديث الذي دار بين الدكتور إبراهيم وصديقه عثمان المحاضر بالجامعة:

- ألم تكن تحدث ابنك عن البلد يا عثمان؟
- لم أفعل إلا في العام الماضي وبعبارات مناسبة لسنه.
- إنها غلظتلك إذن يا عثمان.
- نعم أعترف (١٢).

ومثل هذا الحديث لا يصح أن يكون كلام إنسان مثقف، ولا يقبل من غير متعلم، إذ يجذث الإنسان في الخارج أولاده غارساً فهم حب وطنهم وأهلهم. وتبدو قصة (الزرقاء، تحذع نظرها) لمحمد المنصور الشقحاء، محاولة لا بأس بها تعرض لهموم إنسان يعاني من أفكار وهواجس وانفعالات شتى. ومما يؤخذ عليها طول العبارات وتقريريتها، ومثال ذلك: «الضباب يلف المدينة وموجة كل واحد في دارة أمام المدفأة يتابع في سأم وملل برامج التلفزيون منفساً عن ما في أعماقه من غضب بالصراخ في وجه أطفاله ومجالسبه كان لا شيء يعنيه من كل ما حوله سوى الهدوء» (١٣).

ويتخلل السرد بعض الحوار الجيد مثل:

- إنهم يقتلون العصافير كل يوم.
- أين؟
- في الناحية الشمالية من الوادي.
- والمسؤولون.
- إنه مكان بعيد عن الأنظار لا يعرفه غير أهل الديرة.
- ما فيه عقال فيكم؟
- نيه.
- وماذا يعملون؟

— يشاركون في القتل بكل لذة... إنهم يمتدحون لحم العصافير المشوية على نار تلتهم أغصان الأشجار التي يجب أن نحافظ عليها (١٤). ولولا السرد لتخلصت المحاولة من كثير من المآخذ التي نأخذها عليها.

وفي قصة (السر الدفين) لسحر عبد الرحمن القطب، ليست الفكرة جديدة، وليس التناول كذلك. فالأبنة غير الشرعية — ولا يصح القول: الغير شرعية كما ذكرت مرتين ص ١٧٨ لأن (غير) لا تلحقها أداة التعريف بل ينبغي أن تلحق المضاف إليها — كانت ثمرة خداع رجل وظلمه دفع بأمها إلى الخطيئة والهلاك، وظلت تحيى هذا السر طيلة خمسة عشر عاماً قضاها في السجن، ثم ظهر على مسرح حياة الابنة بعد زواجها كي يدهها من أجل الحصول على المال، وإلا أفشى سرها وسر والدتها لزوجه فيتسبب في خراب البيت. وإذا كان الزوج قد ساورته الشكوك في البداية نحو زوجته حينما سمعها تردد اسم هذا الرجل، إلا أنه في النهاية كان راضياً عنها، قائلاً: «لا يحاسب بريء بإثم غيره» (١٥). وتأتي هذه المحاولة

سردية كما في سابقاتها ، وإن جاء أغلب السرد هنا على لسان الشخصيات ، ومن أمثلة ذلك قول الزوجة لزوجها : « لك الحق أن تغضب . أنا المخطئة لأنني أخفيت عنك عندما طلبت يدي وطوال هذه السنين ، لا شيء ، وإنما خروفاً من أن تحترقني ، ولكن الآن سأعترف لك بكل شيء »^(١٦) . ونرى النهاية أقرب إلى الموعظة ، وهذا أمر لا يجوز في الفن الذي يوحى مقدماً رؤية للحقيقة قد تنفق معها ، وقد تختلف .

قصص الشكل الحديث

ولئن كان الشكل التقليدي يمثل عشر قصص ، فإن الشكل الحديث تمثله تسع ، هي : (بالحب بالفرح بالحزن بحيا) و(المسافر في قطار السهد) و(تداعي الألوان) و(همس القبور) و(حول القلعة) و(هجرة قلب) و(حياة من ورق) و(القض والأعتاق المبتورة) و(موت على الماء) . ونرى هذه الأعمال قصصاً حديثة الشكل تبعد عن الحكاية والسرد والمباشرة والتقريرية بعكس الأعمال التي تناولناها ذات الشكل التقليدي . فجاءت رؤى فنية أكثر تركيزاً وتكثيفاً وتعميقاً وتجديداً .

تقدم قصة (بالحب بالفرح بالحزن بحيا) لمحمد سراج بدوي (أبو سماح) معالجة جديدة وجيدة ، ففيها رؤية تتميز بالصدق الفني وتكشف لنا تجربة غنية بالأفكار والمشاعر والأحاسيس في زمن الحرب والعطاء والشجاعة والجسارة عبر بطولات ونضحيات حرب رمضان ١٣٩٣ هـ - أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ م . كما تشكل موقفاً إيجابياً ، فهذا هو (سرحان) الشاب السعودي الذي تطوع في جيش بلاده وشارك في معركة أمه على الجبهة المصرية ، بمخاطب (سعاد) الفتاة المصرية التي تطوعت للإسعاف والتمريض خلال المعركة وأحبها وتزوجها قائلاً : « من هذه اللحظة يمكننا أن نبدأ زمننا الجديد ، زمن الفرح والمستقبل .. لقد انتهى يا حبيبتي زمن الحزن والألم ، وعوضني الله هذه اليد الطيبة وستظل في وجودي اليد التي صنعت المعجزة وأعادتي إلى حياتي »^(١٧) . ولئن كان هذا المقاتل فقد يده اليمنى في الحرب ، إلا أنه لم يفقد الإيمان والأمل والحب . وهذه سعاد تقول له : « سرحان الحبيب التقيتك جريحاً نازفاً غصياً بغير المعركة وعطر القتال ، واخترتك رجلاً ، أحبيتك كما أنت ، بصمتك ، بجراحك ، ولا أعرف عنك أكثر من اسمك ، وصفتك العسكرية ، وهذا يكفي فليس لمة ما أريد بعد ذلك ، سعادتي أن أراك تستعيد صحتك ورغبتك في الحياة والفرح »^(١٨) .

وتركز القصة على جوانب من الحياة العسكرية والحياة المدنية في عملية مزاجية بينها تجعل البناء الفني أكثر قوة سواء في تحديد أبعاد الموقف ، أو في رسم الشخصية ، أو صياغة الحوار ، بالإضافة إلى استخدام أسلوب (الفلش باك) أو العود إلى الماضي عن طريق التداعي النفسي والتذكر والمزج والتداخل ، مع امتلاك الكاتب حرية التقديم والتأخير في عملية تداعى الحدث وغوه ، وبدا الوليد القادم للزوجين رمزاً للأمل . وليس في القصة سرد أو مباشرة أو خطابة أو وعظ ، وكلها مما نلاحظه في معظم النتاج الأدبي الذي يحاول التعبير عن المعارك والبطولات فيما يسمى بأدب الحرب .

وتأتي قصة (المسافر في قطار السهد) لصاحب القصة السابقة ، رؤية ناضجة تطرح شكلاً حديثاً عبر تفسيرات خمسة يتألف منها العمل القصصي ، وعبر تداعي هموم الشاب (أسعد كنيب) الذي كان متفوقاً في دراسته الجامعية ونجاحاً في علاقاته ، ولكن حادثاً تعرض له أدى إلى توقف دراسته وهو في السنة الأخيرة كي يتابع العلاج ، فظل مدة غير قصيرة يخوض معركة إنهاء إجراءات السفر من أجل علاجه ، ومع هذا لم تذهب هذه المدة عبثاً ، فقد كسب حب الناس ، وعمل في التجارة ، وسافر إلى بلدان أخرى ، وحقق ربحاً يكفي لعلاج الحوادث القديم ، بل كان أهم ربح هو ثقته بنفسه وبنجاحه رغم كل شيء . وجاءت هذه الهموم خليطاً

يجمع بين الحزن والألم (والمرارة والسخرية) والكآبة والسعادة . وفي أسلوب الكاتب شاعرية تحتوي القصة كلها بحرارة التعبير وشفافيته ، ومن أمثلة ذلك قوله : « قطار السهد المسافر عبر محطات الليل ، يقطع مدن الذكريات ، ويعبر قرى الأحزان ، ودساكر الأفراح ، و (أسعد كنيب) امتلات سماء عمره بالآثار الوردية ، وغادرته الكآبة حتى فكر في تغيير كنيته وتسمية نفسه (أسعد حبيب) »^(١٩) . ويلخص هذا التعبير المكثف رحلة هذه الشخصية على طريق المعاناة ، وكان الكاتب متعمقاً في داخلها ، كاشفاً عن آلامها وأفراحها ، مقدماً نموذجاً ينتمي إلى دراما الشخصية .

وفي قصة (تداعي الألوان) لمحمد عبد الله بافرط ، فكرة عادية ، ولكن المعالجة فيها جدة وحدانية الشكل الذي يقدم رؤية فنية نزاوج بين التعبير بالكلمة والتعبير بالصورة ، فبدت القصة أنشبه بلوحة تعبيرية لفنان يرسم بكلماته وفرشاته معطية لنا مقابلة بين صورتين : صورة زوجة الرسام التي لا تكف عن الشكوى والتمرم والسخرية من زوجها بسبب اشتغاله بالفن الذي لا تفهم فيه ولا تقدره وكادت أن تقضي على حياته عندما اشتعل فيه البزوين ، وصورة (نور) التي كان متعلقاً بوجهها قبل زواجه وبعده ، فصوره في إحدى لوحاته وقد أنقذته من الموت حرقاً . وهكذا تداعي الألوان في الصورتين من خلال هذه اللوحة القصصية المركزة التي تتباين فيها الخطوط والمشاعر ، كما يمتزج الحوار بالهموم ، فعندما رأت الزوجة اللوحة التي رسمها زوجها ضحكت وصاحت في اندعاش وهي تتحدث معه :

— إنها صورتها !!

— من هي ؟

— نور .. جارتنا .

— لا يا شيخه .. هذه صورة أي امرأة في الدنيا .^(٢٠)

وتغفل القصة بنادج أخرى مثل هذا الحوار الجيد الذي يشكل خيطاً من خيوط نسيجها الفني . وبدا الكاتب مستفيداً من لغة التشكيل في عملية التصوير التي أضفت على العمل الروائي جملة ساعدت على صيغ الجو النفسي بصيغة لها دلالاتها . وبدت قصة (همس القبور) لعلي المحسن ، رؤية حديثة الشكل يعكس ما في عمله الأول (عمود الكهرياء) ، فهي تغادر دائرة الحكاية والمباشرة والتقريرية التي وقع فيها من قبل ، فتجمع بين الحقيقة والخيال ، أو الواقع والحلم بكل ما فيها من غرابة وتناقض ، وجاء الحلم موظفاً جديداً في إثراء الرؤية الفنية ، وإن لم تحل من السرد المروي بضمير الغائب مثل : « كان ذلك حين تهبّات للولادة .. وكان هو في تلك الساعة يطوي بهو المستشفى روحه وإياباً ، في اضطراب عنيف »^(٢١) . ولو جاء السرد بضمير المتكلم أو ضمير المخاطب ، لكان ذلك أفضل .

وفي قصة (حول القلعة) لحسن أحمد النمر ، صياغة جديدة لفكرة عادية تتعرض لموقف الناس في مواجهة الخرافات . وفي القصة رمز للخرافة أو الجهل يتمثل في ذلك الثعبان الضخم الذي زعم أحد الرجال أنه شاهده ، وراح الرجل يلقي كلامه على سمع كل قادم لرؤياه ، فقال وهو يشير بعصاه ناحية ثقب توسط القلعة : « في ذلك الثقب .. له قرنان ولسان مشقوق .. لا أقول لكم إنني سمعت به مجرد سمع .. إنني رأيته بعيني .. إن بمقدوره أن يبتلع إنساناً »^(٢٢) . واحتشد الأهالي وتكتلوا حول إحدى القلاع الموجودة في حصن قديم ، وامتد الحديث وكثر حول الثعبان المزعوم الذي صورته الرجل بصورة بعثت الرعب في نفوس الجميع ، وقال أحد الأهالي في ثقة وتأكيد : « إن داخل الحصن شجرة نبق حسب ما اسمع .. فقد يكون هذا الفحيح الذي يسمع هو الصوت الناجم عن تحلل الهواء بين فرووعها »^(٢٣) . ولم يكن وجود الثعبان حقيقة ، بل كان خيراً مفتعلاً ثم انتشر وتضخم وكأنه إشاعة . واستخدم الحوار في القصة بوفرة ، وكان معبراً ، دالاً ، عللاً للموقف الذي تناوله الكاتب من خلال شكل ابتعد عن القصة التقليدية ، وإن تحللها بعض السرد .

ملاحظات

ويمكن أن نسجل في ختام هذه الدراسة على قصص المجموعة ملاحظات عامة ،
لجملها في النقاط التالية :

أولاً - تنتمي غالبية القصص إلى الشكل التقليدي المتعارف عليه بما فيه من
حكاية وسرد ومباشرة وتقريرية ، وعددها عشر .

ثانياً - تندرج التسع الأخريات في عداد القصص الحديثة التي تحاول إعطاء
رؤية لدراما الحدث أو الشخصية من خلال التركيز على لقطة محددة وتعميقها ،
فاستفادت من الفنون المعاصرة لها كالشعر والمسرح والسيتا والفن التشكيلي ، وكذلك
من معطيات علم النفس .

ثالثاً - تتباين الرؤى الفنية في طريقة طرحها من كاتب إلى آخر ، ومن عمل
قصصي لآخر عند الكاتب الواحد ، وهذا أمر طبيعي أن تختلف الرؤى في الأعمال
الفنية .

رابعاً - تحمل معظم الأعمال مواقف إنسانية إيجابية مؤكدة أن الفن الحقيقي هو
الفن الذي يتبنى موقفاً معبئاً ملتزماً في العمل القصصي ، وإن انفطعت بعض
الفصوص هذا الموقف .

خامساً - تبدو قلة من القصص وكأنها محاولات أولى بما فيها من سطحية
التجربة وضعف المعالجة وتفكك البناء . وبالمقابل نجد في المجموعة فصصاً متميزة ،
متفردة في الرؤية والمعالجة والشكل .

سادساً - اتصفت الفصوص بحليتها إذ انطلقت من السوانع السعدي ،
باستثناء قصة واحدة لم تلتزم هذا الخط .

سابعاً - صورت قصص الكتابات - وهن ثلاث - جوانب من هموم المرأة
وطموحاتها تصويراً نراوح بين اللفظة العادية والجرينة ، مع تحليل وغوص في أعماق
المرأة .

ثامناً - تنوعت الأساليب القصصية للكتاب والكتابيات ، فاستخدمت الضائائر
الثلاثة : المتكلم والمخاطب والغائب ، وأخذ كل منها بنصيب .

تاسعاً - لجأ بعض الكتاب إلى الرمز الشفاف الموحى ، وإن لم تكن هناك
قصص رمزية .

وتبقى المجموعة القصصية (أذرع الواحات المشمسة) نموذجاً من نماذج كثيرة ،
يشير إلى فن القصة القصيرة عند الجيل الجديد من كتابها في المملكة العربية
السعودية الذين يواصلون الإبداع ، فيبشرون بالعطاء والأمل . كما يمثلون حضوراً
لهذا الفن في الساحة الأدبية العربية .

هوامش

- | | |
|---------------------------------|---------------------------|
| (١) المجموعة - ص (٣٥) . | (١٥) المجموعة - ص (١٨٣) . |
| (٢) المجموعة - ص (٤٥) . | (١٦) المجموعة - ص (١٧٨) . |
| (٣) المجموعة - ص (٩٤) . | (١٧) المجموعة - ص (١١) . |
| (٤) المجموعة - ص (٩٥) . | (١٨) المجموعة - ص (١٦) . |
| (٥) المجموعة - ص (٩٧) . | (١٩) المجموعة - ص (٢٩) . |
| (٦) المجموعة - ص (١٠٣) . | (٢٠) المجموعة - ص (٤٣) . |
| (٧) المجموعة - ص (١١٩) . | (٢١) المجموعة - ص (٥٨) . |
| (٨) المجموعة - ص (١٣٦) . | (٢٢) المجموعة - ص (٦٢) . |
| (٩) المجموعة - ص (١٣٨) . | (٢٣) المجموعة - ص (٧٣) . |
| (١٠) المجموعة - ص (١٤٣) . | (٢٤) المجموعة - ص (٧٥) . |
| (١١) المجموعة - ص (١٤٣ ، ١٤٤) . | (٢٥) المجموعة - ص (٧٦) . |
| (١٢) المجموعة - ص (١٦٢) . | (٢٦) المجموعة - ص (١٥٥) . |
| (١٣) المجموعة - ص (١٦٧) . | (٢٧) المجموعة - ص (١٥٨) . |
| (١٤) المجموعة - ص (١٧١) . | (٢٨) المجموعة - ص (١٥٨) . |

وجاءت قصة (هجرة قلب) لعبد الإله عبد الرزاق عبيد المجيد ، لقطة
تصور حنين ابن المدينة إلى القرية ، بل تصور حبه لإحدى بناتها ، فتعنى لو
تزوجها ، ولكن موتها فرق بينه وبينها . ويعتمد الكاتب على طريقة العود إلى
الماضي في تقديم الحدث وتتابعه من خلال التركيز على ملامح تجسم أبعاد الصورة .
كما يبدو أسلوبه أقرب إلى طريقة كتابة السيناريو السينمائي ، وفي وصفه للمكان
تدرج أو تصوير تدريجي ، ونسوف بعض الأمثلة التي تؤكد هذا كقوله : « سيارة ..
وأنفاس متهدجة ، وطريق ممل طويل .. ساعتان ويذوب بعدها غبار
الطريق عن الوجه الصامت وتهدأ الأنفاس المتلاحقة عن استنشاق
التراب ، أفكاره تتحلق ، تتراكم »^(٢٤) . وقوله أيضاً : « البحيرة ساكنة ..
الماء فيها صاف جداً ، لا يتحرك الوجه المتلطف بالخمار الأسود إنعكست
منه العيون المكحولتان الواسعتان »^(٢٥) . فهنا نحن أمام صور تتلاحق
تدريجياً صورة وراء أخرى في تنابع سينمائي . كما أن القصة مقسمة إلى مشاهد أو
مناظر تدور كلها حول محور الحدث . والحوار فيها كثير وجيد .

وفي قصة (حياة من ورق) لفوزية اليكر ، رؤية فنية فيها جدة وجرأة ،
تكشف عن أفكار امرأة ريفية ومشاعرها ، فيفيض نهر الخواطر متدفقاً بالحب
للقرية ، وللحصاد ، وللقمر ، وهذا ما يجعل القصة أغنية حب ودعوة لحياة أفضل
وأجمل . فهي لا تخلو من تداع نفسي ، ومن التعمق داخل الشخصية ، ومن الحوار
الجيد ، ومن الرمز الموحى للتمثل في القمر ، وكلها مقومات تجعلها قصة ذات شكل
غير تقليدي .

ويمتزج في قصة (الفقر والأعناق المتبورة) لمطلق محمد الدوسري ، الواقع
بالحلم أو بتحديد أكثر يمتزج الواقع بكابوس مزعج ، ويتعائق الماضي والحاضر
والمستقبل من خلال ثلاثة أجيال : الأب والابن والحفيد . فالقصة رؤية هموم
فنان تشكيلي لا ينفصل عن واقعه الذي يجمع بين النقيضين : اليأس والأمل ،
العملقة والتقرم ، الفوز والإخفاق ، الفقر والسقوط . وجاءت القصة
لوحة فنية تعبر عن الواقع ، واستخدم الحلم استخداماً جيداً لتجسيد أبعاد الصورة ،
وزاد الحوار هذه الصور وضوحاً وتجسماً ، فبدأ العمل فقرة من المستوى التقليدي إلى
المستوى الحديث في عملية بنائها الفني من خلال شكلها الذي يختلط فيه السوانع
الحياتي والواقع الكابوسي ، ومن خلال مضمونها القافر من اليأس إلى الأمل .

ويكتمل الشكل الحديث في قصة (موت على الماء) لعبد العزيز مشري
الذي يبدو شاعراً وقاصاً في آن واحد ، ففي رؤيته الجيدة الناضجة مزاجية بين النثر
والشعر ، وعزف منفرد جاء تنديعات على لحن متميز ، وتقطيراً وتركيزاً وتكثيفاً
للكلمات والصور ، وتدفقاً لتيار الوعي ، وتوغلاً في أعماق الإنسان والمكان والزمان .
ونستوفنا صور ذات دلالات وإجاءات للكاتب مثل تعبيره : « غنت عصافير
اللوذ .. صاحت ديكة الجيران : تسابق تذاكير الشايب ، وخيوط
الفجر »^(٢٦) . وكذلك تعبيره في مقطع آخر من القصة - الشعر : « في شتاء
الأيام تهب الرياح بساحة الحوش تلعب بالإبريق المعدني المتعرج ..
تقدف به في الأحلام العقيمة ليتنظر تباشير فجر قادم أت من مسافات

البعد .. يفتح فاه للسحابة القادمة من عقبات (تهامة) .. لتطر ماء
الوضوء .. تسح عن أعشاب البراءة سحنة الغربة الدائمة »^(٢٧) . وجاء في
المقطع الأخير : « كان الأولاد يحملون زهوراً .. يطوفون بها على (الجرن)
الفقيرة .. يفترشون أحزان غريتهم .. ويموتون في انتظار الأفراس
الوهمية الميتة »^(٢٨) . فغير مقاطع تسع تتكون منها القصة ، بتشكيل البناء الدرامي
للحدث بكل ما فيه من رحيل وأحزان وغربة وانتظار ، فيجيء العمل القصصي
مواكباً للمعمار الفني المتكامل في القصة الحديثة .

دائرة المعارف

أدباء سعوديون

ل

الأنصاري (عبد القدوس) :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٤ هـ ، ودرس فيها حتى نال الشهادة العالية لمدرسة العلوم الشرعية ١٣٤٦ هـ ؛ أنشأ مجلة (المنهل) ١٣٥٥ هـ . أصدر أول رواية بالحجاز هي (التوأمان) طبعت في دمشق ١٩٣٠ م . قام برحلات ل مختلف البلاد العربية . أصدر عام ١٣٨٤ هـ ، ديوان شعره (الأنصاريات) . من مؤلفاته : تاريخ مدينة جدة ، والتحقيقات المعدة بحجامة ضم جيم جدة ، وأثار المدينة المنورة ، والسيد أحمد الفيض آبادي ، وإصلاحات في لغة الكتابة والأدب ، ورحلتان من جدة ، ورحلة بني سليم ، والطائف تاريخاً وحضارة ومصادر ثراء ، ورحلة إلى الرياض ، وعبد المحسن الكاظمي ، وتاريخ العين العزيزية بمجدة ، وتحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة ، بناء العلم في الحجاز الحديث ، ومن التاريخ والآثار ، والملك عبد العزيز في مرآة الشعر ، ومع ابن جبير في رحلته . وما زال يواصل عطاءاته الفكرية والتاريخية .

ب

البواردي (سعد) :

ولد بمدينة شقراء في نجد عام ١٣٣٠ هـ ، تلقى تعليمه الابتدائي بها ، وبتدار التوحيد بالطائف ، ثم عمل بالتجارة . أسهم في الصحافة بإصدار مجلة (الإشعاع) في الخبر ، شارك في مجلة (المعرفة) . من قصصه مجموعة (شيخ من فلسطين) . ومن درأونه الشعرية : (أغنية العودة) ، و (ذرات في الأفق) ، و (لقطات ملونة) ، و (صفارة الإنذار) ، و (رباعياتي) . ومن كتب المقالات : فلسفة الجبائين ، وأجراس المجتمع ، وثرثرة الصباح . وما زالت الصحافة تنشر شعره ونثره .

ج

الجباسر (حمد) :

ولد في قرية البرود من إقليم السر عام ١٣٢٩ هـ ، حفظ القرآن الكريم ، وتعلم في الرياض ومكة المكرمة . عمل في التعليم والقضاء وإدارة المعارف ، درس الآداب بجامعة القاهرة . عمل مديراً لكلية : الشريعة واللغة

العربية بالرياض . وهو أول من أصدر مجلة بالرياض ؛ إذ أصدر صحيفة المجامة شهرية أول أمرها ١٣٧٣ هـ ، ثم أسبوعية ، عني فيها بشؤون الأدب ، وبفضية شغلته وما زال يكرس لها جهده وهي تحقيق أسماء المواطن والأماكن في قلب الجزيرة .

وفد أصدر «المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية» . ويبدو ذلك في تأمل مؤلفاته العديدة ومنها : أبو علي الهجري وأبحاثه في تجديد المواضيع ، واكتشاف جزيرة العرب (تقديم) ، والإمام أبو إسحاق الحري (كتابه في المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة - تحقيق) ، وبلاد العرب للأصفهاني (تحقيق) ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، وسوق عكاظ ملحق لكتاب موقع عكاظ لعبد الوهاب عزام ، وغزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة ، وفي شمال غربي الجزيرة .

ويذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه لما اتسعت المادة العلمية عدل عن الاسم المقترح (رحلات من بلادنا) إلى هذا الجزء والجزء الذي تلاه (في سرة غامد وزهران) ، وله : نبذة تاريخية عن نجد ، ومدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، والمغائم المطابة في معالم طابة (تحقيق) للفيروزآبادي ، وأمرأ نجد ، ومعادن نجد ، والبرق الجبائي في الفتح العثماني للنهراني ، وكتاب (المجددون من الشعراء وأشعارهم) .

يضاف إلى ذلك أنه أصدر مجلة (العرب) التي يرأس تحريرها والتي تمضي في المضمار نفسه . وهو إلى جانب ذلك عضو في الجمع اللغوية العربية . وهو ما زال ثر العطاء ، دائم التحقيق والبحث والسفر .

د

الحازمي (منصور إبراهيم) :

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٥٤ هـ ، وتلقى علومه ودراساته حتى حصل على درجة الدكتوراه ببحثه (الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث) من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ١٣٨٦ هـ ، صار عضو هيئة التدريس بجامعة الرياض ، وتدرج في الترقى من مدرس إلى أستاذ ، وعمل عميداً لكلية الآداب (١٣٩٣ - ١٣٩٦ هـ) فريساً للقسام (١٣٩٧ هـ) حتى الآن . وهو عضو بمجالس كل من : جامعة الرياض ، والمجلس الأعلى لجامعة الرياض . وهو رئيس تحرير مجلة كلية الآداب ، وعضو في هيئة تحرير مجلة دار الملك

٣

زخشري (طاهر عبد الرحمن) :

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٣٢ هـ، ودرس بها . من دواوينه : على الضفاف ، وأحلام الربيع ، وأغاريذ في الصحراء ، وأحلام الربيع ، وممسات ، وعودة الغريب ، والأفق الأخضر ، وإليها ، وأغاريذ المذيع ، وحببيتي على القمر ، ومن الحيام ، ومن كتبه : لبيك ، والمهرجان أو ذكرى المرحلة الفيصلية الأولى للدنيا الجديدة ، وليالي ابن الرومي ، وأقوال مبعثرة ، وعلى هامش الحياة . دارت حول ظاهرة الهروب في شعره أطروحة الماجستير المقدمة من الدكتور عبد الرحمن الأنصاري . أصدر أول مجلة للأطفال بالملكة وهي مجلة (الروضة) ١٣٨٩ هـ .

لس

سرحان (حسين) :

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٣٢ هـ، وتلقى علومه بها وبمدرسة الفلاح . عمل في وظائف حكومية متعددة ، منها رئاسة تحرير مطبعة الحكومة بمكة المكرمة . صدر له ديوان أجنحة بلاريش ١٣٩٦ / ١٣٩٧ هـ ، ثم أعاد طباعته نادي الطائف الأدبي ، وكتاب في الأدب والحرب ٩٦ / ١٣٩٧ هـ ، عن نادي الطائف أيضاً ، كما صدر له الطائر الغريب عن النادي نفسه .

ش

شاكر (فؤاد) :

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٢٢ هـ، وتلقى تعليمه الابتدائي بها ، ثم سافر إلى القاهرة في أول بعثة سعودية عام ١٣٤٧ هـ ، حيث تخصص في الأدب . عمل بجريدة (كوكب الشرق) التي صدرت بمصر ، وأصدر جريدة (الحرم) في القاهرة ١٣٤٩ هـ ، ورأس تحرير جريدة (صوت الحجاز) ثم عاد للقاهرة لاستئناف دراسته . ورأس تحرير (أم القرى) سنة ١٣٥٥ هـ ، لمدة ١٥ سنة ، تولى أثناءها رئاسة تحرير جريدة (صوت الحجاز) ، وجريدة (البلاد السعودية) بين عامي ١٣٥٧ و ١٣٦١ هـ ، ورأس تحرير جريدة (البلاد السعودية) ١٣٧٥ هـ ، ثم رأس تحرير جريدة (أخبار العالم الإسلامي) . من مؤلفاته : (دليل المملكة العربية السعودية) ، (حي على الصلاة) . وله ديوان (وحي الفؤاد) صدر ١٣٧٨ هـ . توفي ١٣٩٢ هـ .

ص

الصبيان (محمد سرور) :

ولد في مدينة القنفذة عام ١٣١٦ هـ ، وتعلم في مدارس مكة المكرمة وجدة . تولى عدة مناصب منها وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، وأمانة رابطة العالم الإسلامي . أصدر كتابه الشهير (أدب الحجاز) ١٣٤٥ هـ ، وفيه يذكر (ص ١٤٦) أنه شغل أن يكتب سيرته بعد أن كتب عن أكثر الأدباء ، واختار من أشعارهم ، فاعتذر ، ثم اقتنع أمام إلحاح معاصريه بأهمية ذلك علمياً ، فكتب شيئاً عن سيرته على استحياء . وكتابه هذا مرجع مهم في الأدب

عبد العزيز ، وفي لجنة الأدب العربي لجائزة الملك فيصل العالمية . وقد مثل جامعة الرياض في مؤتمرات عديدة .

ومن مؤلفاته : رسالته لنيل درجة الدكتوراه عن الرواية التاريخية ، ومحمد فريد أبو حديد (١٩٧٠ م) ، ومعجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية (ج ١) (١٣٩٣ هـ) . ومقالات وبحوث عديدة في المجالات التالية : العرب ، الآداب ، الجامعة ، ملف الإمامة ، حول : المحاولة الأولى لتقيد القصة في الأدب العربي الحديث ، والرواية السعودية ، ومضمون ثمن التضحية ، ومعالم التجديد في الأدب السعودي ، وباتكير ، وشوقي ، في محاولاته القصصية وغيرها ، وهو إلى جانب ذلك شاعر لكنه مقل .

خ

خميس (عبد الله بن خميس) :

ولد بالملق عام ١٣٣٩ هـ ، حفظ القرآن الكريم ، وقرأ على أبيه ، وتعلم بالدرعية ودار التوحيد بالطائف ، ثم بكلية الشريعة واللغة العربية بمكة المكرمة . عمل مديراً للكلية بالرياض ، وتولى عدة مناصب منها وكيل وزارة المواصلا .

من مؤلفاته : الأدب الشعبي في جزيرة العرب ، وشعر في دمشق ، والمجاز بين الإمامة والحجاز ، والشوارد ، وراشد الخلاوي ، وديوان علي ربي الإمامة ، ومعجم الإمامة ، وقد أسهم في إصدار مجلة الجزيرة التي أصبحت صحيفة الجزيرة .

د

الدمهري (حامد) :

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٠ هـ ، ودرس بها ، ثم ابتعث إلى مصر فنال الدبلوم العالي لدار العلوم ١٣٦٣ هـ ، ثم حصل على درجة الليسانس من كلية الآداب بجامعة الإسكندرية . عمل بالتعليم ، وشغل عدة مناصب أخرى . كتب الشعر والنثر ، كما كتب قصة (ثمن التضحية) نشرت ١٩٥٩ م ، وأعاد طباعتها نادي الرياض الأدبي ، ومرت الأيام التي نشرت ١٩٦٣ م . توفي عام ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

ز

الرفاعي (عبد العزيز) :

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٢ هـ ، ودرس بها . تقلد عدة وظائف مرموقة . يعقد ندوة أسبوعية في داره بالرياض تعد زاداً ثقافياً متنوعاً .

من مؤلفاته : أم عمارة الصحابة الباسلة ، وضرار بن الأزور ، وكعب بن مالك الصحابي الأديب ، وأوطاة بن سهية ، ومن عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين ، وتوثيق الارتباط بالتراث العربي ، وهي محاضرة ألقاها في مؤتمر الأدباء العرب السابع المنعقد في بغداد في صفر ١٣٨٩ هـ ، (أبريل / نيسان ١٩٦٩ م) ، ومن كتبه أيضاً : جبل طارق والعرب ، والحج في الأدب العربي ، و ٥ أيام في ماليزيا . وهو يصدر سلسلة باسم (الكتبة الصغيرة) ، وأخرى باسم (دراسات) ، وأخيراً مجلة (عالم الكتب) فصلية .

السعودي ، ضم مجموعة من شعر ونثر أدباء المملكة ، فهو بذلك من الرواد المهتمين بدراسة الأدب السعودي . وله أيضاً كتاب (المعرض . آراء شبان الحجاز في اللغة العربية) . وهو إلى ذلك شاعر . توفي سنة ١٣٩٢ هـ .

ض

ضياء (عزيز) :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٣٢ هـ ، وتلقى تعليمه الأولي بها . تولى عدة وظائف . أنشأ مؤسسة الشرق الأوسط للإعلان والثقافة والنشر بجدة . تولى إدارة مطابع مؤسسة الصحافة والنشر بجدة ورئاسة تحرير (عكاظ) ، وجريدة (المدينة المنورة) . رحل إلى الهند مديعاً ومترجماً . ثم عاد إلى الوطن . له نتاج أدبي منشور في الصحف بين مؤلف ومترجم في النقد والقصة ، كما أنه يكتب في القضايا السياسية .

ع

عواد (محمد حسن) :

ولد بجدة عام ١٣٢٠ هـ ، ودرس بها ، كتب الشعر منذ يفاعته حتى صار شاعراً . له عدة دواوين هي : أماس وأطلاس ، والبراعم أو بقايا الأمس ، وروى أبولون ، وفي الأفق الملتب ، ونحو كيان جديد . ومن كتبه النثرية : (خواطر مصرحة) صدر ١٩٢٦ م ، في جزئين . وفيه يستخدم الأسلوب الفكاهي . وكتابه مجموعة من الخواطر والمقالات تعالج قضايا أدبية واجتماعية . وعدها محمد سرور الصبان عنواناً بارزاً للبقظة . ومن كتبه أيضاً : تأملات في الأدب والحياة ، فصول وأبحاث متفرقة ، ومن وحي الحياة العامة ، ومؤتمر أدباء العرب في لبنان ١٩٥٤ م ، وسليمان عبد عبد الملك ، والساحر العظيم أو يد الفن تحطم الأصنام . توفي في شهر جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ أبريل (نيسان) ١٩٨٠ م ، حيث كان رئيساً لنادي جدة الأدبي .

ف

الفصيل (الأمير عبد الله) :

ولد بمدينة الرياض عام ١٣٤١ هـ ، وتلقى تعليمه بالحجاز . من دواوينه المطبوعة (وحي الحرمين) ، وسوف يصدر له ديوان خريف العمر ، وديوان حديث قلب . نشرت قصائده بكثير من الصحف والمجلات . وله قصائد يشدو بها المطربون والمطربات ، مثل : ثورة الشك ، وسمراء ، ومن أجل عينيك ، ويامالكاً قلبي . كتب الشعر النبطي - شعر بادية الجزيرة العربية - رئيس مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية .

ق

القصيبي (غازي عيد الرحمن) :

ولد بالأحساء عام ١٣٥٩ هـ ، حصل على درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية من أميركا . تولى مناصب متعددة ، ويتولى حالياً منصب وزير الصناعة والكهرباء . من دواوينه : أشعار من جزائر اللؤلؤ ، وقطرات من ظمأ ، ومعركة

بلا راية ، وأبيات غزل . ومن مؤلفاته : كتاب عن هذا وذالك ، ومحاضرتان القاهما بنادي الطائف الأدبي هما : هل للشعر مكان في القرن العشرين ، وخواطر في التنمية وغيرها . كما صدر له عن دار الفیصل الثقافية «قصائد مختارة» ، و«سيرة شعرية» . ودارت حول شعره دراسات عديدة .

ك

الكردي (عبد الله بن محمد الكردي) :

أحد علماء الأحساء ، ولد عام ١١٣٠ هـ ، كتب أدب الرسائل في مطلع الحياة الأدبية . وهو كاشف جعفر البيتي في انتهاج المنهج التقليدي في النثر الأدبي . توفي عام ١٢١١ هـ .

ل

لندي (أمين) :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٨ هـ . رأس تحرير مجلة (المدينة المنورة) التي صدرت ١٣٥٦ هـ ، وأعانته محمد حسين زيدان ووضياء الدين رجب . وقد ألف كتاب (العرب في أحقاب التاريخ) موسوعة تاريخية ، والتاريخ العربي ومصادره ، وهما عبارة عن موسوعة ضخمة .

لندي (عبيد) :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٤ هـ . أرسله أبوه إلى ضواحي المدينة فبقى زمناً ، ثم حفظ القرآن الكريم ، وتعلم في المدارس وفي المسجد النبوي الشريف ، فنال على يد شيخه محمد الطيب الأنصاري الشهادة العالمية التقليدية ، ثم اتجه للأدب والتاريخ . تقلد عدة وظائف ، وقام بعدة رحلات . من مؤلفاته : (تاريخ المدينة المنورة) في خمسة مجلدات ، وديسوان المدنيات ، وتاريخ المسجد النبوي ، وتاريخ مساجد المدينة المنورة ، وتاريخ أكام المدينة المنورة ، وتواريخ المدينة المنورة ومؤرخوها . توفي بمصر .

ن

نوي (محمد) :

ولد عام ١٢٣٠ هـ ، اشترك مع بكري شطا (١٢٦٦ هـ - ١٣١٠ هـ) في شرح منظومة زين الدين المليباري (هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء) ، فاتبعها الطريقة التقليدية التي استقرت في عصور الضعف الأدبي في شرح معاني الكلمات وإعرابها ، وفي معالجتها لتعريف الأنواع الأدبية مما يبين عن تلك الطريقة التقليدية ؛ إذ يرى الشيخ «نوي» أن النثر هو إنشاء الرسائل وأن الشعر هو الاتيان بالكلام الموزون المقفى . توفي عام ١٣١٤ هـ .

ي

يحيى (محمد أمين) :

ولد بجدة عام ١٣٤٢ هـ ، وتخرج في مدرسة الفلاح . شغل عدة وظائف حكومية في وزارتي المالية والعمل والشؤون الاجتماعية . له إنتاج قصصي نشر معظمه في مجلة (المنهل) ، وصحيفة (الرائد) ، إلى جانب بعض الكتابات الاجتماعية .

و - تعليقات

ذو القرنين .. من هو ؟

جاء في الصفحة ١٦١ من العدد ٢٧ ، في أثناء أجوبة مسابقة العدد ٢٠ أن ذا القرنين هو إسكندر المقدوني . وأحب أن أشير إلى الآتي : ورد ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ سورة الكهف ، آية ٨٣ . وتستمر الآيات الكريمة بعد ذلك مبينة عقيدة ذي القرنين وعدله واتساع ملكه .. لكن دون ذكر الاسم الحقيقي له . وقد اختلف المفسرون والمؤرخون في تحديد شخصيته ...

ففي «تاريخ ملوك حير وأقيال اليمن» : «أنه تبع بن شمر يرعش بن أفريقس بن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرانش ، وأنه غزا بلاد الروم وأوغل فيها حتى وصل إلى وادي الظلمات حيث قيل إن هناك وادياً فيه الياقوت ، وعلى مقربة منه عين «ماء الحياة» فلما بلغه مرض ومات» .

وفي رواية عن علي بن أبي طالب وابن عباس أنه الصعب بن مالك بن يزيد .

وفي رواية أخرى أنه الصعب بن تبع الأقرن المذكور . ويذكر الإمام ابن كثير في تفسيره أنه إسكندر المقدوني ثم يطل هذا ، ويذكر أنه كان في عهد إبراهيم عليه السلام وطاف معه بالبيت ، ويذكر أيضاً أنه عبد صالح .

وهناك كثير من الأقوال لا يتسع المجال لذكرها .

وجاء «أبو الكلام آزاد» بحبي الدين أحمد (١٨٨٨ - ١٩٥٨ م) ، وزير المعارف الهندي السابق ، وقال إن ذا القرنين هو كورش (أو قورش) مؤسس الأسرة الأخمينية ، ومنشئ الإمبراطورية الإيرانية القديمة وباني سد ياجوج وماجوج .

وقال أبو الكلام آزاد : إنه ليس من المعقول أن ذا القرنين هو إسكندر المقدوني ، إذ إنه لم يكن مؤمناً بالله ولم يكن عادلاً .

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد عن كورش (أو قورش) : إننا إذا أمعنا النظر في التاريخ نجد أن أوصافه تنطبق على ما وصف به القرآن «ذا القرنين» ، إذ كان ملهماً وفاتحاً عظيماً ، غزا الأرض شرقاً وغرباً ، وأقام سداً ليصد به هجيات المغيرين من «ياجوج وماجوج» على بلاده .

هذه بعض الأقوال التي كتبت عن ذي القرنين ، أردت أن أنقلها إليكم فأرجو أن تتقبلوها بصدر رحب .

صبري أحمد نصره
دمهور - مصر

الصحافة الإسلامية
القضية .. والحل .. والمسؤولية

مجلة «الفصل» مشكورة ، منذ صدرت وهي تنشر لبعض الكتاب كلمات عن الإعلام الإسلامي .. والصحافة الإسلامية . وقد تابعت ككاتب صحفي عرف بالخط الإسلامي كل ما نشر ، وجدت أنه لا بد من كلمات صريحة لكل من كتب .. ولكل من يقرأ .. ولكل من يفكر أن يكتب أو يدرس عن الإعلام الإسلامي والصحافة جزء منه ، وبالتالي لنذكر بضرورة التعجيل بما دعوت إليه منذ سنوات من وجوب عقد مؤتمر (للمصحفين) الإسلاميين ، والذي استجابت له مشكورة وابططة العالم الإسلامي وأضافته إلى نشاطها الرائع المتجدد والمتزايد والمستمر من أجل الدعوة والدعاة .

والمطلوب اليوم - وبالحاح - أن نحدد مجالات الإعلام ونبينها واحدة .. واحدة .. لا أن نأخذها جملة فتضيع الحقائق لكثرتها وتشابكها وتشعبها .. أي إنني أأمل من الذين يكتبون أن يلجأوا إلى التخصيص والتفصيل عند الحديث عن الإعلام الإسلامي ففرق بين النظرية .. وبين دقائق التطبيق .

وأجهزة الإعلام الإسلامي لها طبيعتها وتاريخها ، ولذا فهي أكثر من أي مجال .. لأنها تضيف إليها فيما تضيف المسجد وهو أعظم مراكز الإعلام الإسلامي في عصرنا الحديث والقديم على السواء .

ولا أتصور كيف ينسى كل من كتب عن الإعلام الإسلامي أن يقارن بين النظرية الإسلامية الأصلية في الإعلام .. وما يتحدث به رجال الإعلام عن نظريتهم التي لم يتوصل إليها العلم الحديث إلا قريباً وبالتحديد عام ١٩٢٠ م ، وجاء مستشرق إلى مصر عام ١٩٦٩ م ، ليحدثنا بها وهو جان بيرك من غير أن يشير إلى فضل الإسلام وأسبقته .

مطلوب من أساتذة الإعلام الإسلامي وكتابه أن يوضحوا لنا معالم الإعلام الإسلامي .. وتاريخه .. ومقارنات مع الإعلام الحديث .. وهذا موضوع آخر إن شاء الله .

أما اليوم .. فقد شدني ما كتبه الأخ الدكتور عبد الحليم عويس في العدد ١٩ من مجلة «الفصل» عن الصحافة الإسلامية ، وكان لزاماً وواجباً ووفاء علي أن يكون لي كلمة من واقع الحياة التي عشتها ووهبت نفسي لها . ومشكلة الصحافة الإسلامية أو قضيتها ، ليست في نوع الجريدة أو المجلة ، ولا أن يكون اسم الجريدة أو المجلة مصحوباً بكلمة إسلامية .. إنما القضية الأولى التي يجب أن تعرف وتطرح تبدأ بالصحفي المسلم .. الذي يجب أن (نوفره) أي نربي .. ونطلق بعد ذلك في كل مكان .. وفي كل مجال .. وفي كل تخصص بفكر إسلامي .. وثقافة إسلامية .. وروح إسلامية .. وبذا يمكن أن نقدم الفكر الإسلامي الصحفي في جميع المجالات وعلى أيدي مسلمين .

و — تهليقات

ومن هنا يجب أن تكون الصورة واضحة أمامنا من خلال أسئلة
معدة .. ونحن نعالج قضية الصحافة الإسلامية .. ومن هذه الأسئلة
أهمها :

— هل عندنا صحفي مسلم ؟

— ماذا أعدنا (لإنشاء) وتكوين الصحفي المسلم .. ؟

فإذا عرفنا الجواب .. أو أوجدناه .. أمكننا أن نسير في الطريق
المطلوب وهو الصحيح .

وحقيقة .. أن لدينا من يسمى بأنه صحفي مسلم .. ولدينا عدد من
الصحف الإسلامية .. لا يمكن أن ننكر فضل القليل منها وأثره وجهده .
ولكن .. هل هذا يكفي ..

وهل هذا هو المطلوب ..

وهل هذا هو سلاحنا في معركتنا القاسية والطويلة التي نخوضها اليوم ضد
خصوم يهددون (حصوننا في الداخل) ومحاربوننا بضراوة في الخارج .
لقد عشت في (قلب) الصحافة الإسلامية وعرفت كل مشاكلها من
خلال (المعيشة) اليومية .

ومرت بي فترات قائمة كنت في الظلمات وطوال الليالي السطوية كنت
أستعيد خطى عمري بين الصحافة الإسلامية والصحفيين الإسلاميين ، لأبحث
عن مشكلة ومعاناة الصحافة الإسلامية ، فوجدت أسباباً عديدة ، ولكن أهمها
وأولها غياب الصحفي المسلم .

وبسبب غياب الصحفي المسلم بدأت الفجوات والمتازعات
وضاعت الحقوق ، وطمست الحقائق وذهب ميثاق وألوف من
الضحايا المسلمين وفقدنا أرضاً إسلامية .

وكمثال .. فالقضايا الإسلامية لا (تعالج) صحفياً كما يجب .. بل
نشر عنها بعض الأخبار ثم نتركها إلى غيرها ، وحتى حين نكتب عنها نعتد
أساساً على ما يصلنا من وكالات الأنباء ، و ٩٥ ٪ من وكالات أنباء العالم
يسيطر عليها اليهود .. وهذا يعني لنعرف مدى صحة وأمانة ما ينقل إلينا ..
ولم تفكر صحيفة .. أو صحفي مسلم — وهو معذور — إلى حد ما — أن
يذهب إلى أرض المشكلة ويكتب لنا عنها وينقل تفاصيل تطوراتها و .. و ..
كل ما يتعلق بها .. حتى يحرك الرأي العام الإسلامي والعالمي لنصرة قضية
ما .. مستعملاً كل الفن الصحفي من الخبر إلى الصورة .. مروراً
بالتفاصيل . وأقرب الأحداث مسلمي أرتيريا .. ومسلمي
القبليين .. ولا أقول الأقليات الإسلامية في روسيا وأوروبا
الشيوعية ..

هذه واحدة ..

وبسبب غياب الصحفي المسلم الحقيقي .. ووجود جماعة تساند بعضها
بعضاً ، نشأت أو ظهرت طبقة تزعم الإسلام .. وهي بعيدة عنه من أعماقها

ويكل تصرفاتها .. وساندتها السلطات ورفعتها الصليبية العالمية إلى القمة ..
وذلك بهدف أن تسد الطريق أمام الصحفيين الإسلاميين .

وقد اتخذت الصليبية العالمية هذا المنهج والأسلوب .. اعتماداً على نظرية
(آسيوي يقتل آسيوياً ، وأفريقي يقتل إفريقياً ، ومسلم يقتل مسلماً) ..

وقد فرح هؤلاء العملاء .. بمناصبهم وأموالهم .. وللحق فقد أدوا
رسالتهم كاملة .. فهم حرب على المسلمين والدعوة في بعض البلاد ..
وهم في بلاد أخرى يعملون الفساد في الصفحات حتى (يخربوا) القيم
والمعتقدات بدعوى التطور .. والمدنية .. إلخ .

أعرف عشرات من الذين يعملون .. في الصحافة .. ويزعمون أنهم
خصوم للشيوعية .. وأنهم مسلمون (غارقون) في الإيمان ، وبعضهم لا يترك
فرصة لأداء العمرة .. ولا يترك منذ سنوات فريضة حج ليعود فيؤدي جانباً
من مهمته في تقديم التقارير .. ثم يعاتب من لا يؤدي صلاة الجمعة في
مساجد معينة .

ومع هذا فهم سوط عذاب على الدعاة .. يرفضون من مواقفهم نشر
الإسلام ويمنعون كتابة الدعاة .. ويطلبون إسلاماً حديثاً كأننا نصنع الإسلام
أو نفصله .

من هنا .. ولما سبق .. فقد تأخرت الصحافة الإسلامية وأيضاً كانت
هذه النتيجة لأسباب أخرى .. قد يكون منها عدم مجاهدة الصحفيين
المسلمين الصادقين لهذا الكابوس .
إذن ما الحل ؟

● أولاً : المطلوب للصحافة الإسلامية .. قبل الاسم «الصحفي
المسلم» .

● وثانياً : المطلوب من الصحفي المسلم .. قبل (الهوية) رؤية واضحة
لما هو مطلوب منه .. وليبدأ بنفسه .. فيتعلم ويعرف أن كل ما هو موجود
من نظريات في أي مجال لدينا خيراً منه و .. « ما فرطنا في الكتاب من
شيء » .

لا بد أن يتثقف الصحفي المسلم ثقافة إسلامية يستطيع بها أن يرد على كل
عدوان يهدف الإسلام والمسلمين .

● ولا بد للصحفي المسلم أن ينمي معرفته بالاطلاع على أحوال المسلمين
في كل مكان .

● ولا بد للصحفي المسلم من أن يتابع كل ما يقال عن الإسلام والمسلمين
معه .. أو ضده .

● ولا بد للصحفي المسلمي من أن يكون أميناً مع نفسه .. ويعلم أنه
قدوة .. وأنه داعية لأشرف دعوة .

ولا أرد الإطالة فإن مقالتي هذا بمثابة مدخل لموضوع كبير يجب أن يسهم
فيه كل من له تجربة وكل من له في هذا المجال سبيل .

مناقشات و تهليلات

«الشائعات الخطيرة» .

فيتناول إحدى هذه الشائعات الأدبية التي تنصل بسالكاتب الأديب «عمود تيمور» وعلاقته بأديب لغوي ليس له شهرة في أوساط القراء لابتعاده عن الأضواء وعكوفه عن البحث والدراسة وهو الأستاذ «شوقي أمين» عضو المجمع اللغوي الآن . يقول رجاء النقاش :

«لقد تردد كثيراً أن عدداً من أعمال «عمود تيمور» قد مرت على قلم شوقي أمين ، وأطالت الوقوف عند هذا القلم ، وبمعنى آخر فإن شوقي كان يشارك «عمود تيمور» في تأليف عدد من قصصه ورواياته ومسرحياته ، وقد بدأت هذه القضية عندما أراد عمود تيمور أن يستعين بشوقي أمين لتصحيح لغته ، وذلك لضعف تيمور في اللغة العربية ، وانتقلت القضية من التصحيح إلى التنقيح ، ثم إلى ما هو أكثر من التنقيح . لكنني أحب أن أوضح - وهذا حق يقال أمام التاريخ الأدبي - هل معنى أن يقوم لغوي بتصحيح موضوع أدبي لغوياً أنه هو الذي أبدع هذا الأدب؟

إن رسالات الدكتوراه يقوم بتصحيحها وتنقيحها لغوياً عالم بأسرار اللغة ، وقد رأيت بعين رأسي تصحيح وتنقيح رسالة دكتوراه في القانون الدولي على يد طالب بكلية اللغة العربية . والحق يقال أمام التاريخ الأدبي : إن عمود تيمور ، كان أديباً كبيراً له منزلته في ثقافتنا العربية المعاصرة ، وهو رائد من رواد القصة والرواية ، وفضله في هذا المجال معترف به لدى جميع الباحثين والدارسين . إنه أحد أفراد أسرة مشهورة بالعلم والثقافة والمهبة والتضحية الصادقة من أجل الثقافة والمعرفة .

فوالده رحمه الله هو العالم الأديب أحمد تيمور «باشا» .

وقد كتب تيمور «الأب» الكثير من المؤلفات الممتازة التي تنصل بالتراث العربي ، وصرف جهده وحياته وماله في البحث عن المخطوطات العربية ، وأوصى بمكتبته المليئة بالكنوز لدار الكتب المصرية ، وفي أسرة تيمور شقيقه محمد تيمور وعمته الشاعرة «عائشة التيمورية» .

هذه هي الأسرة الشهيرة أديباً وفناً وفكراً والتي ظهر فيها «عمود تيمور» . لقد كان إنساناً طيباً رقيقاً رحيماً شديد التواضع عظيم المودة للناس كارهاً العنف والخصومات ، بعيداً عن الأحقاد التي تتحكم أحياناً في الحياة الأدبية . إن هذه الأقلام التي تنشر هذه الأقاويل والذين يدعون أن أدب تيمور مزور إنهم بذلك يهدرون كرامات أناس وتاريخ أدب وأعمدة تراث وأركان أجيال وعائلة فن .

أحمد خضير

مصر

لهذا .. فإني من المؤمنين بضرورة عقد مؤتمر للصحفيين الإسلاميين وعاجلاً .. ليضع أول ما يضع قاعدة للتضامن الإسلامي بين العاملين في الصحافة من المسلمين الدعاة . وإذا كان لنا أن نقترح ورقة عمل تضاف إلى جدول أعمال هذا المؤتمر .. وإلى اهتمامات كل من يتمنى إصلاح الصحافة الإسلامية .. ويعمل على أن يكون لها مكانها اللائق بها وسط (النوعيات) العائمة على سطح مجتمعاتنا الدولي ، فإني أقترح ضرورة التركيز على أمرين كضمان لوجود الصحفي الإسلامي .. واستمراره :

● الأول : وحدة الهدف .

● الثاني : وحدة الصف .

وحدة الهدف في وضع خطة عمل يلتزم بها كل صحفي إسلامي ويعمل في إطارها وفقاً لمتغيرات منطقة عمله .. فيكشف نوايا الصليبية العالمية والتبشير والشيوعية وكل خصوم الإسلام .. ويكشف أيضاً جهالتهم بهذا الدين .. ويعمل على نشر تعاليم الإسلام وأحكامه بأسلوب عصري حديث . ويقف إلى جانب القضايا الإسلامية في أي موقع .. فالأخوة الإسلامية لا تعرف لوناً ولا جنساً .. والأرض الإسلامية أرض لكل المسلمين في كل بقاع الدنيا .

وكما يفعل ذلك في الميدان العام كذلك يطبقه في المجال الخاص ، فكل كفاءة إسلامية عليه إبرازها وإفساح المجال لها . ووحدة الصف .. في توفير ضمانات للصحفيين الإسلاميين في كل مكان .. وتشكيل نوع من التضامن في صورة اتحاد أو هيئة عالمية .. تسأل عنهم إذا اختفوا وراء الأسوار .. وتقف إلى جانبهم إذا تعرضوا للظلم والاضطهاد .. وتساندهم في حياتهم ، وتساعد ذويهم إذا غابوا أو حدث لهم مكروه .. وتتمى ثقافتهم وتقدمهم بالمعلومات الحديثة عن مسلمي العالم .. وبالإجمال تحقق كل ما تهدف إليه معاني وحدة الصف .

بقي شيء آخر .. وأخير .. وهو أن تنهض وبهمة .. وسرعة أقام الإعلام في جامعات بلاد الإسلام لتقدم لنا الصحفي الإسلامي حقاً .. وصدقاً ..

صلاح عزام

حول موضوع قن تيمور في نظير الأنصار والخصوم

في هذا العصر كثر التطاول على كل ذي عظمة أدبية ، وفشت بدعة الاستخفاف والزراية حتى أوشك التوقير لمن يستحق التوقير أن يعاب . يقول رجاء النقاش في موضوع «أدباء ومواقف» عدد رقم «٢٢» من مجلة «الدوحة» القطرية : في حياتنا الأدبية تتردد بين الحين والحين بعض

أسرار العاقبة

تأليف الصيدلي مسلم غازي ، يتناول فيه بطريقة علمية شؤون الصحة والدواء وفن التغذية على أسس سليمة ، كما يجتوي الكتاب على لمحة عن الجهاز الهضمي والطاقة الحرارية ،

بالإضافة إلى تزويد الكتاب بفهارس تضم أنواعاً كثيرة من الأمراض ومجموعات كبيرة من أنواع الأغذية التي يحسن تناولها عند الإصابة بنوع من تلك الأمراض ، وهو مع كل ذلك يوصي بضرورة استشارة الطبيب خوفاً من حدوث رد الفعل الذي قد ينتج عن سوء استعمال الدواء أو الغذاء . طبع الكتاب في دمشق - مزرة ، ويقع في ٢٢٨ صفحة من الحجم المتوسط .

حقوق الطفل في الكويت

من منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية التي تصدر عن جامعة الكويت ، إعداد الدكتور بدريّة العوضي ، تتناول فيه بالدراسة جانباً من جوانب رعاية

الطفل وحمايته ، وتحلل القواعد المتعلقة بالطفولة في النظام المعمول به في الكويت ومقارنتها بالقواعد المنصوص عليها في الإعلانات العالمية لحقوق الإنسان بشكل عام ، والإعلان العالمي لحقوق الطفل بشكل خاص ، كما تتناول بشكل مختصر موقف الإسلام من حقوق الطفل . تقع هذه الدراسة

في ٧٥ صفحة من الحجم المتوسط .

الكاتب المتمرد

كتيب صغير عرض فيه المؤلف مصطفى النهيري دراسات فكرية في الإنسان ، والأدب ، والقسم ، والاجتماع ، والصحافة ، مكون من (١٢٧) صفحة من القطع الصغير . صدر عن دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء - المغرب .

سهرة ديمقراطية على الخشبة

عبارة عن مسرحيتين من تأليف وليد اخلاصي ، الأولى بعنوان (سهرة ديمقراطية على الخشبة) ، يحاول الكاتب فيها وبأسلوب واقعي أن يفضح انحطاط التعامل بالنفاق والكذب من خلال شريحة من الطبقة المتوسطة . .

والثانية بعنوان (إطلاق النار من الخلف) صور فيها الكاتب تدهور العلاقات القائمة على الزيف عندما يندفع الإنسان في سلوكه من هواه الشخصي متناسياً من حوله . تقع

المسرحيتين في (١٦٥) صفحة من القطع المتوسط ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب في سورية ، طبع مطبعة الكاتب العربي بدمشق .

سيف واتلي ، توفيق الوكيل

كتيب من تأليف محمود

عوض عبد العال ، صدر ضمن سلسلة (أقلام الصحوة) ، يتحدث فيه عن الفن التشكيلي المصري المعاصر وخاصة عن فن سيف واتلي ،

وتوفيق الوكيل . يقع في (١٠٥) صفحات من القطع الصغير ، صدر عن دار

لوران للطباعة والنشر بالإسكندرية .

مواجهات إسلامية

طائفة من الدراسات نشرت في فترات متباعدة في مجلات إسلامية ، أضاف إليها ما أملت عليه الظروف

وتطور الأحداث ، ثم جمعت ووضعت في كتاب يقع في (١٠٣) صفحات من القطع المتوسط ، تأليف محمد المنتصر

الريسوني ، صدر عن مطبعة ديسبريس بالمغرب .

محمد علي زينل

رائد نهضة ، وزعيم إصلاح ، ومؤسس مدارس الفلاح

كتيب يروي فيه مؤلفه محمد أحمد الشاطري قصة حياة محمد علي زينل المليئة بضروب الكفاح

والبذل والنبل والتضحية في سبيل المثل العليا والقيم الروحية والخلقية والوطنية النبيلة ، يقع في (١٥٦) صفحة من القطع الصغير ، صدر عن دار الشروق بمكة .

العدوى بين الطب وأحاديث المصطفى

كتيب تناول فيه مؤلفه الدكتور محمد علي البار أحاديث النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم ، المتعلقة بالعدوى بموضوع علمي ذكراً العلاقة بينها وبين العلم الحديث في الطب والعدوى فيه وما

أثبتته التجارب من أن العلاقة بين تلك الأحاديث والأبحاث علاقة وطيدة ، يقع الكتيب في (٨٥) صفحة من القطع الصغير ، صدر عن دار الشروق بمكة .

عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل العربي

كتاب تناول فيه مؤلفه الدكتور محمود حسن عيّد ربه الشاعر العربي المعروف عمر بن أبي ربيعة كزعيم للغزل العربي مقارناً بيته وبين بعض شعراء الغزل في عصره ، يقع في (٢٢٠) صفحة من القطع الصغير ، صدر عن دار الشروق بمكة .

المجموعة الراوية على المنظومة الرحبية في المسائل القرضية

يعالج فيه جامعه والمعلق عليه عبد الفتاح بن حسين راوه المكي علم الفرائض وما يتعلق به من الإرث ، يقع في (١٣١) صفحة من القطع المتوسط ، صدر عن مكتبة عالم الفكر بالقاهرة .

مسابقة مجلة الفيصل

إيضاح

انطلاقاً من رغبة عدد كبير من قراء المجلة المهتمين بالمسابقة في توسيع نطاق قيمة الجائزة بحيث تشمل عدداً أكبر من الفائزين ، وتجاًوياً من المجلة مع هذه الرغبة فقد أجرينا التقسيم المطلوب اعتباراً من هذا العدد الذي يمثل بداية السنة الرابعة للمجلة .. نأمل أن نكون بهذه الخطوة قد حققنا رغبات الكثير من أصدقاء المسابقة مع تمنياتنا بالتوفيق لكل مجتهد .

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

- أ - الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال
- ب - الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال
- ج - الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. ورافقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص. ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .
٥ - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

للقارئ

يهمنا جداً في الدرجة الأولى أن يستفيد المشترك في المسابقة من المعلومات التي يحصل عليها القارئ عند بحثه عن إجابات الأسئلة ، كما يهمنا أن يقضي القارئ أو بعنا على زيارة المكتبات للاستفادة مما بها من كتب تحمل زائداً ثقافياً .

ونأتي الفائزة من الفوز في المسابقة في الدرجة الثانية ، لأننا حين وضعنا المسابقة لم تكن نهدف للأغراء المادي بقدر ما كنا نهدف إلى استفادة القارئ ثقافياً .. والفوز يأتي نتيجة للجهد الذي يبذله القارئ ، وبهذا - عند الفوز - يكون الكسب مرتين ، مرة الكسب الثقافي ، ومن ثم الكسب المادي ، ومن لم يتمكن من الكسب المادي فإن الكسب الثقافي لم يفته . وهو أكبر كسب .. لأن الحكمة تقول : « المال تحرسه ، والعلم يحرصك » .

ونحن حين وضعنا شروط المسابقة ووضعنا من بين الشروط أنه من حق القارئ أن يشترك في المسابقة الواحدة مرتين على أن يرفق قسمتين كنا نعطي القارئ فرصة للإجابة عن أي سؤال قد يجد له إجابتين ، ونحار في أي الإجابتين اصبح .

لهذا فالمطلوب أن نوضح كل إجابة مع قسمتها في ظرف مستقل لتسهيل مهمة اللجنة في الفرز والاطلاع .

كما ننبه القارئ بأن تكون الإجابة على وجه واحد من الورق ، ومخط واضح وفي حدود المطلوب ، وأن يوضع رقم العدد على الظرف من الخارج ، لأننا لاحظنا أن هذه النقطة تفتت على بعض القراء ربما عن غير قصد .. وهذه الكلمة للتنبيه .. والله الموفق .. وهو من وراء القصد .

المجلة



السؤال الأول :

عرف الشعر العربي بظاهرة « المعارضات » اذكر أسماء ثلاثة شعراء ممن عرضوا قصيدة « البردة » لليوصيري ؟

السؤال الثاني :

على ماذا تدل الكلمات التالية :
البحيرة (بفتح الباء) - السائبة - الخاء .

السؤال الثالث :

من أول من أقطع القطائع ، وخفض صوته في التكبير ، وفوض الناس إخراج زكاتهم ، واتخذ صاحب شرطة ، واتخذ منفورة في المسجد ؟

السؤال الرابع :

يوجد نوع من أدب الرسائل في الأدب الأندلسي سمي بـ « الزروريات » .. ما هو .. ومن أول مبتدئ له ؟

السؤال الخامس :

ما اسم كاتب الحقيقة التي كتبت فيها قرش على بني هاشم ، وبني المطلب ؟ وماذا حدث له ؟

السؤال السادس :

من أول من ألف في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

السؤال السابع :

كم عدد دوائر الشعر العربي ، وعدد بحوره ؟

السؤال الثامن :

أين تعيش قبائل « الأيركوا » ؟

السؤال التاسع :

أحد الخلفاء الراشدين أول من سن التقويم الهجري ، وأول من اتخذ بيت المال . ودون الدواوين ، وأغار المساجد في ليالي رمضان ، وعسّ الليل ، وعاقب على الهجاء .. من هو ؟

السؤال العاشر :

اذكر أشهر مراكز تربية اللائ ؟

تسليمية
مسابقة مجلة
الفصل

العدد (٤٠)

الاسم :
المهنة :
العنوان :

نتائج مسابقة العدد الثالث والثلاثين

- من دمشق - سورية ، فازت بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف ريال سعودي الأخت براءة أحمد حميد .
- وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخ آيت ولراس أحمد ، وعنوانه باب اقتوح - الزنقة ١٢ ، الدار ٨٠ ، بني ملال - المغرب .
- من بووت سودان - السودان ، بواسطة سعاد عمر محمد حمزة بالهيئة المركزية للكهرباء والمياه ، فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسة ريال سعودي الأخ محمد قاسم أحمد .
- بالإضافة إلى سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسة ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات وهم :
- من لبنان - بعلبك - معسكر الجليل ، مدرسة القسطل ، الأخ عبدالله عشول عسقول .
- من الأردن الأخ عبد الغني عبد الهادي صاحب مكتبة نضال الثقافية - البقعة .
- من العراق ، محافظة البصرة ، الأخت رقية عبد الجبار علي .
- من الجزائر الأخ مولود بن قاسمي بن عمر ، بواسطة التاجر شروف عبد الرحمن ، بركة - بانه .
- من الرياض الأخ فؤاد محمد جابر عزام ، مدرسة الكرامة الابتدائية ، شارع جرير .
- من مصر الأخت سامية رشاد إسماعيل .
- من تونس الأخ رضوان السلامي ، ١٥٥ نهج المنجي سليم - صفاقس .

أجوبة مسابقة العدد الثالث والثلاثين

- ج ١ يتألف طاقم الطائرة النفاثة الموجود في غرفة القيادة غالباً من أربعة أفراد : قائد الطائرة ، مساعده ، مهندس طيران ، ضابط لاسلكي .
- ج ٢ أول من اخترع بندول الساعة ابن يونس المصري .
- ج ٣ من مشاهير الرجال ضعاف البصر : ألبرت آينشتين صاحب نظرية النسبية ، كونت كافور رائد الوحدة الإيطالية ، الموسيقار شوبرت ، نبرون الإمبراطور الروماني .
- ج ٤ من أفراس الرسول صلى الله عليه وسلم : السكب ، اللحييف ، اللزاد ، المرتجز ، البعسوب .
- ج ٥ ولد في حلب - سورية عام ١٨٤٨ م ، صال بقلمه في محاربة كل أنواع الظلم والاستبداد ، له كتاب بعنوان «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» ، اسمه عبد الرحمن الكواكبي .
- ج ٦ يتركب الفيروس من حامض نووي على هيئة أشرطة مثلث بعضها على بعض ، يحيط بها غشاء بروتيني على هيئة وحدات صغيرة متراكبة .
- ج ٧ علم السيمياء من العلوم الخفية ، وهو واحد من خمسة علوم شملها التقسيم ، ومعناه خداع البصر .
- ج ٨ الدراجة العادية ، هناك أقوال متعددة حول مخترع الدراجة ، فمنهم من يقول جيلميث وماير ، إلا أن الثابت أن الدراجة المأمونة وهي ذات دواستين وجنيزير ، وأول نموذج صنع في فرنسا ، غير أن أفضل شكل لها كانت دراجة «لوسونز» .
- ج ٩ عرفت بالورع والقضيلة ، كانت ابنة خليفة ، حسنة الصوت ، مطبوعة على الغناء ، كانت تنظم الشعر وتلحنه وتغنيه كجوارها ، إنها العباسة علية بنت الخليفة المهدي .
- ج ١٠ أسماء عواصم البلدان الآتية : زامبيا : لوساكا . مالي : باماكو . تابلاند : بانكوك . نيجيريا : لاغوس . السنغال : داكار .

Tel.: 4543026 – 4543027

هاتف : ٤٥٤٣٠٢٦ - ٤٥٤٣٠٢٧

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	\$	5

للافراد ١٥٠ ريالاً سعودياً
لغير الافراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

ريالات	٨	المملكة العربية السعودية
فلس	٦٠٠	الكويت
دراهم	٧	الإمارات العربية المتحدة
ريالات	٦	قطر
فلس	٥٠٠	البحرين
بسة	٦٠٠	سلطنة عمان
فلس	٤٠٠	الأردن
ريالات	٦	ج.ع. اليمنية
فلس	٨٠٠	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية
ملهم	٣٠٠	مصر
ملهم	٣٠٠	السودان
دراهم	٥	المغرب
ملهم	٥٠٠	تونس
دنانير	٥	الجزائر
فلس	٤٠٠	العراق
ليرات	٥	سورية
ليرات	٥	لبنان
درهم	٨٠٠	ليبيا

[illegible]

لومبياز (Lombard)

تنهاية

للإعلان والعلاقات العامة